محمد بن ناصر العبودي

رحلات الشمال

مواطن إسلامية ضائعة

مشاهدات في مولدوفا وأرمينيا

الطبعة الأولى

١٤٢٠-٢٠٠٠

رحلات الشمال

مواطن إسلامية ضائعة

مشاهدات في مولدوفا وأرمينيا

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

مواطن اسلامية ضائعة .- الرياض .

...ص ، .. سم

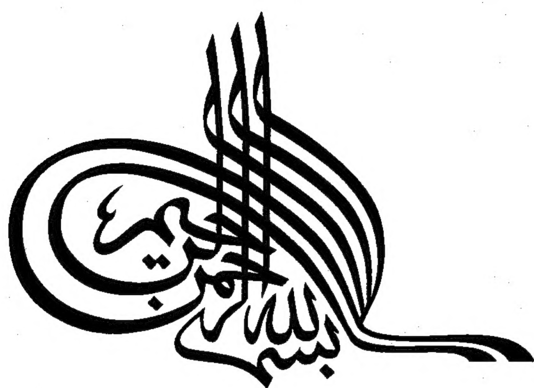
ردمك : ٠-٢٠٠-٣٦-٩٩٦٠

١-ارمينيا - وصف ورحلات　　　أ - العنوان

ديوي ٩١٤,٧٩٢　　　١٧٨٨ / ٢٠

رقم الايداع :١٧٨٨ / ٢٠

ردمك : ٠-٢٠٠-٣٦-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤)جولة في جزائر البحر الزنجي أوحديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - الرياض - دار العلوم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - بريدة - نادي القصيم الأدبي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - الرياض - المؤلف ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض المؤلف ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض المؤلف ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨)بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١)داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض

عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبع رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق البرازيل، طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٥٨) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٥٩) شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية، طبعته مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) من بلاد القرشاي إلى بلاد القبرداي... مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦١) بلاد التتار والبلغار... نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) العودة إلى الصين، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٦٣) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٦٤) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٦٥) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٦٦) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٦٧) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٦٨) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٦٩) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٧٠) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٧١) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٧٢) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٧٣) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٧٤) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية)، وهو أحد بحوث مؤتمر المملكة في مائة عام، نشرته الأمانة العامة للاحتفال، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٧٥) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٧٦) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، طبعته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وعليه نعتمد ونتوكل

الحمد لله رب العالمين؛ الذي خلق الناس أجمعين، من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وفرق مساكنهم في أرضه مثلما فرق بين لغاتهم وألوانهم، آية من آياته، وعبرة من عبره.

والصلاة والسلام على نبي الهدى؛ عبده ورسوله محمد بن عبد الله الذي بلغت دعوته العالم: أقصاه وأدناه.

أما بعد؛ فإنني انطلقت من بلادي في رحلة إلى أقطار كلها شمالية، بدأت بمغادرة مدينة جدة إلى إسطنبول، وليس لنا من غرض فيها إلا السفر منها إلى أذربيجان، فزرت أذربيجان، ومعها جمهورية نخجوان التي تتبعها، وإنْ كانت مستقلة استقلالاً ذاتياً، ثم انطلقت من أذربيجان إلى موسكو؛ حيث حضرت مؤتمراً إسلامياً هناك؛ بعضه في موسكو، وبعضه في مدينة ((دربند)) من جمهورية داغستان؛ ذات الحكم الذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية، و((دربند)) هي التي تعرف في كتبنا العربية القديمة بالباب، أو باب الأبواب.

ثم عدت إلى موسكو من داغستان، وكتبت عن ذلك كتاباً عنوانه: ((رحلة الشمال)) لكونه أول الكتب في هذه الرحلة الشمالية.

ومن موسكو توجهت إلى كييف عاصمة جمهورية أوكرانيا، وبعدها تجولت في عدة مدن ونواح في أوكرانيا مما ألف كتاباً قائماً بذاته عنوانه: ((خلال أوكرانيا، بحثاً عن المسلمين)).

ومن أوكرانيا توجهت إلى جمهورية مولدوفا التي كانت تسمى: ملدافيا سابقاً، وبعدها إلى «أرمينيا»، وكلا البلدين كان من مواطن المسلمين في القديم، أما مولدوفا، فقد حكمها وسكنها المسلمون الأتراك، وقبلهم المسلمون التتار. وأما أرمينيا، فقد حكمها وسكنها المسلمون العرب، ولكن ذلك كله قد مضى وانقضى، وضاعت تلك المواطن، حتى عم الجهل مسلمي مولدوفا، وعم التعصب ضد الإسلام جمهورية أرمينيا، حتى صار التلفظ بلفظ (إسلام) محظوراً من المحظورات، وأغلقت فيها المساجد، حتى لم يبق فيها مسجد مفتوح للصلاة، وحرم حتى على الطلاب المسلمين فيها اتخاذ غرفة داخل مبنى مستخف بالحيطان مكاناً للصلاة!.

وبذلك صدق وصف الجمهوريتين هاتين بالضياع، وصدق عنوان الكتاب في كونهما من المواطن الإسلامية الضائعة.

وليس المراد من وصفها بالضائعة المطالبة بها واستردادها، وإنما المقصود العظة والعبرة، فلا تضيع مواطن إسلامية مثل ضياعها، والمراد من ذلك أيضاً تقوية الدعوة الإسلامية فيها، عسى أن يهتدي بعض أهلها بالحجة والإقناع، فتعود بلاداً لبعض المسلمين، كما كانت في السابق كلها بلاداً للمسلمين.

وكان يرافقني الأستاذان: رحمة الله بن عناية الله، وحسن علي أزميرلي.

وهذا هو الكتاب الثالث والأخير من رحلة الشمال هذه، وسوف أقص عليك ذلك مع بيان تاريخه اليومي كما تعودت على ذلك مني في

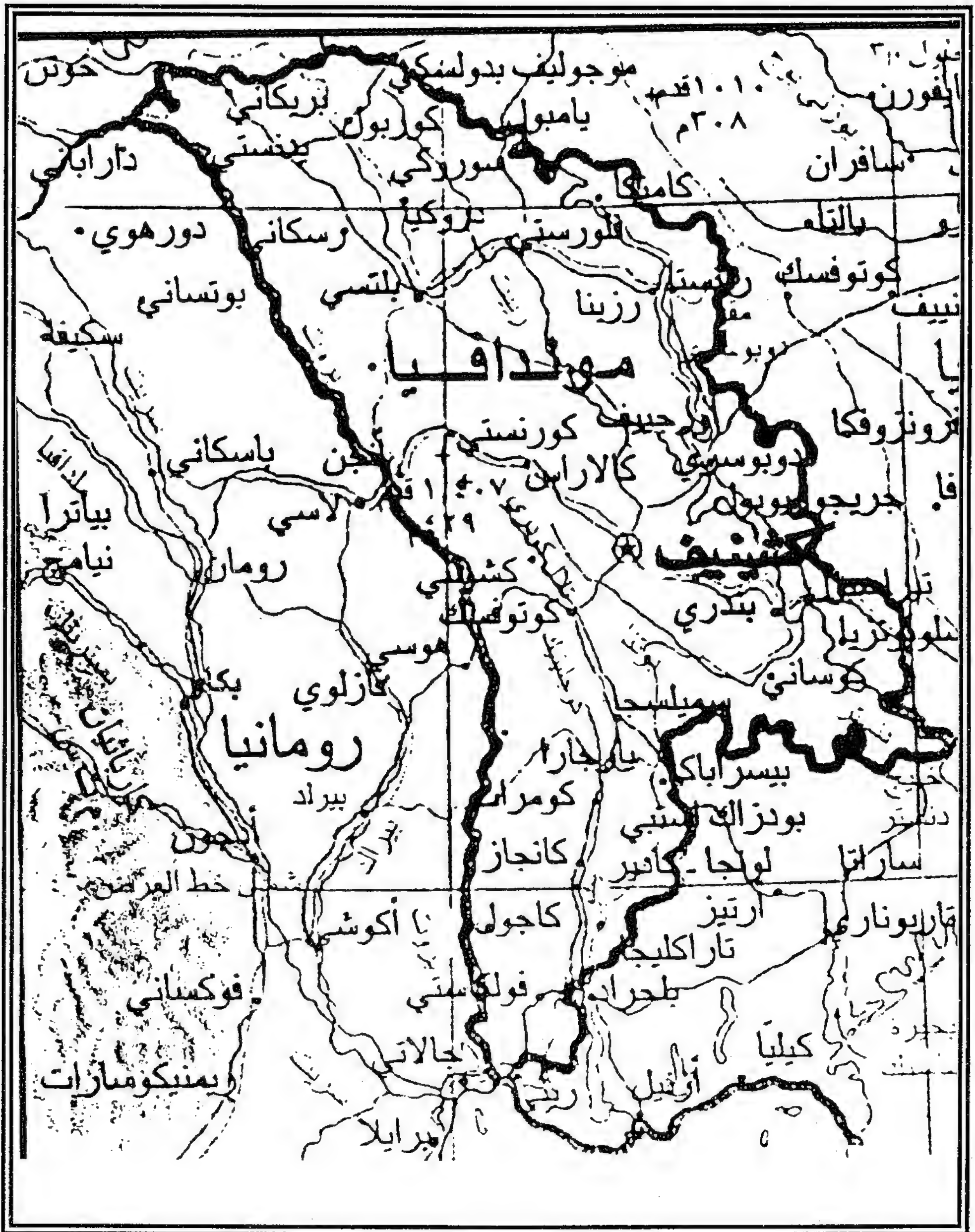
كتب الرحلات، وأرجو أن يحظى منك - أيها القارئ الكريم - بالقبول، كما عودتني على ذلك في كتب سالفة. وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

الفصل الأول

مولدوفا



مـــولـــدوفـــا

مولدوفا أو مولدافيا

مولدوفا بلاد داخلية تقع في جنوب شرق أوروبا، تحدها رومانيا من الغرب، وأوكرانيا من بقية الاتجاهات، وهي إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتى السابق منذ عام ١٩٤٩م، وعقب انفراطه أعلنت مولدوفا استقلالها بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٩١ م.

وجمهورية مولدوفا الحديثة تشكل جزءاً ضئيلاً من أراضي مولدوفا التاريخية التي يقع جزؤها الأكبر في رومانيا، ويقع الجزء الجنوبي لمقاطعة بسارابيا BESSARABIA، والجزء الشمالي لمقاطعة بوكوفينا BUCOVINA في اوكرانيا، ويمثل الجزء الذي تقع عليه جمهورية مولدوفا مساحة ٣٣٧٠٠ كم، وعاصمتها كيشينيف، ومن أهم مدنها تيراسبول - بالتى- بندر.

السكان

يقدر سكان مولدوفا بنحو ٣٦٠. ٣٣٥. ٤ نسمة بموجب إحصاء عام ١٩٨٩م، ويتألفون من القوميات التالية:

المولدوف	٢٧٩٤٧٤٩	٪ ٦٤،٥
الأوكران	٦٠٠٣٦٦	٪ ١٣،٨
الروس	٥٦٢٠٦٩	٪ ١٣
الكاكوز	١٥٣٤٥٨	٪ ٣،٥
البلغار	٨٨٤١٩	٪ ٢
اليهود	٦٧٧٩٩	٪ ١،٥
آخرون	٧٩٥٠٠	٪ ١،٦

وهكذا يتضح أن ثلثي سكان مولدوفا هم من العنصر المولداڤي، والباقون من الأوكرانيين والروس والأتراك والبلغار، ويعيش الغالبية العظمى من السكان في قرى ريفية حيث يحترفون الزراعة.

يتكلم المولدوف اللغة الرومانية، ويستعملون الأبجدية اللاتينية في كتاباتهم حالياً بعد إلغائهم استعمال الأبجدية السلافية التي فرضت عليهم إبان الحكم السوفياتى عام ١٩٨٩م، والكاكوز يتكلمون اللغة التركية، ويكتبون بالأحرف السلافية.

ويدين معظم السكان بالمذهب الأرثوذكسي الشرقي، والكاكوز بالرغم من أصلهم التركى يدينون أيضاً بالأرثوذكسية، ويرتبطون حالياً بالكنيسة الرومانية بعد خلاصهم من السيطرة الروسية، ويأتي بعدهم اليهود الذين لهم وجود مؤثر في مولدوفا. وأما المسلمون، فهم من القوميات المسلمة التي هاجرت إليها من أنحاء الاتحاد السوفياتى السابق، مثل التتار والأوزبك والشيشان والاذار؛ بالإضافة إلى الطلاب القادمين إليها من الدول الإسلامية.

التاريخ

قبل الميلاد قدمت إليها قبائل الإسكيذ، ثم اتجهت إليها قبائل داك وغيت من تراقيا، وفى عام ١٠٦م استولى الإمبراطور الروماني تراجان على مقاطعة داشيا DACIA ثم تركتها الإمبراطورية الرومانية لقبائل الغوط الجرمانية الغربية VISIGETHIC التي احتلتها عام ٢٧٠ م، ثم عبرتها قبائل الهون، وقدم إليها السلاف البلغار. وفي عام ١٣٥٩م أسس الأمير دراغوش DRAGOSH أول إمارة مولدافية في الأراضي التي تقع بين جبال كارباثيان CARPATHNIANS ونهر دنسيتر DNESTR الذي يتفرع

منه نهر مولدا MOLDA فيصب في الأراضي التي اشتق اسمها منه.

وعلى أثر الاضطرابات التي ضربت دولة التون أورده استقل إستيفان الكبير الثالث بمولدوفا عام ١٤٥٧م، ومع أن مولدوفا بلغت أوج قوتها وتوسعها في عهده إلا أنها خضعت بعد وفاته لحكم العثمانيين عام ١٥١٢م الذي استمر بالرغم من التدخلات الخارجية والثورات المحلية لمدة تزيد عن ثلاثة قرون إلى أن احتلت روسيا منطقة بسارابيا عام ١٨١٢م؛ بينما ضمت مولدوفا الغربية مقاطعة ولاشيا WALLACHIA إلى رومانيا التي استقلت عن العثمانيين عام ١٨٧٨م.

وخلال الثورة الشيوعية أعلن المولدفيون في بسارابيا تأسيس جمهورية بسارابيا المولدافية الديمقراطية في عاصمتها كيشينيف عام ١٩١٧م، ثم انضمت إلى رومانيا في ١/ ١٢/ ١٩١٨م، بيد أن الاتحاد السوفياتي أقام جمهورية مولدافيا السوفياتية الذاتية الحكم في الضفة اليسرى لنهر دنستير، وادعى أن رومانيا احتلت بسارابيا، وفي ٢٧/٦/ ١٩٤٠م دخلت قوات الجيش الأحمر بسارابيا، وفي ٢/٨/ ١٩٤٠م أعلن عن تكوين جمهورية مولدافيا السوفياتية التي أصبحت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي بعد أن ألحقت أجزاء من شمالها وجنوبها بأوكرانيا.

ومع بداية البروتستريكا في الاتحاد السوفييتي تأسست الجبهة الشعبية الرومانية لمولدوفا عام ١٩٨٩م، ونجحت في جعل الرومانية لغة الدولة الرسمية، وأعادت استعمال الأبجدية اللاتينية بدلاً من السلافية في ١٩٨٩/٨/٣١م.

وفي ٢٣ يونيو ١٩٩٠م اتخذ مجلس الشعب المولدوفي الأعلى قرار إعلان السيادة، وبطلان ضم بسارابيا لأوكرانيا، واستعمال اسم

مولدوفا بدلاً من الصيغة الروسية مولدافيا.

وفي ١٩ أغسطس ١٩٩٠م أعلن الكاكوز GAGAUZ الأقلية التركية المسيحية انفصالهم في خمس مقاطعات مؤسسين جمهورية كاكوز السوفياتية الاشتراكية في جنوب مولدوفا، وانتخب استيفان توبول STEPAN TOPOL رئيساً لها، وفي ٢ سبتمبر ١٩٩٠م أعلن السلاف انفصالهم عن مولدوفا بتأسيس جمهورية دنستير DNNESTR السوفياتية الاشتراكية، وعاصمتها تيراسبول TIRASPAL في الأراضي التي تقع شرق نهر دنستير، وتولى رئاستها إيغور سنيونوف IGOR SNIYNOV ، وفي ٢٧ أغسطس ١٩٩١م قرر مجلس الشعب المولدوفي الأعلى استقلال مولدوفا عن الاتحاد السوفياتي، وإغلاق مكاتب الحزب الشيوعي، ثم اعترفت بها رومانيا، ووقعت مولدوفا إعلان تأسيس رابطة الدول المستقلة في الما اتا بتاريخ ١٩٩١م ٢١/ ١٢/ ١٩٩١م، ثم أصبحت عضواً في منظمة الأمم المتحدة في عام ١٩٩٢م.

ومع أن مولدوفا وقعت أيضاً مع روسيا الاتحادية معاهدة سلام في ١٩٩٢/٧/٢١م إلا أن الحركات الانفصالية لم تتوقف؛ مع أن حكومة مولدوفا عرضت عليهم حكماً ذاتياً إذ صوت الكاكوز والسلاف لصالح اتحاد فيدرالي مع مولدوفا، على أي حال، فإن نتائج الانتخابات العامة، وعمليات الإصلاح مع استمرار استقلال مولدوفا جعل الاتفاق على السلام أكثر تحقيقاً.

الأحزاب السياسية:

١-حزب الفلاحين الديمقراطي، ويضم مؤيدي استقلال مولدوفا من الجبهة الشعبية، والحزب الشيوعي المحظور، ومن دعاة

الإصلاح الاقتصادي والزراعي، ويتزعمه بترو لو سينش PETRO LUCINSCHI رئيس البرلمان.

٢- الجبهة الشعبية الديمقراطية المسيحية، وكانت في الأصل الجبهة الشعبية لمولدوفا التي تدعو للاتحاد مع رومانيا، ويسيطر أعضاؤها على البرلمان، وفي الحكومة، ورئيسها ميريكا دروس MIRCEA DRUS.

٣- حزب العمال الديمقراطي، ويرأسه الكسندرو أرسينى ALEXANNDRU ARSENNI.

٤- حزب الإصلاح، ويمثل مصالح الطبقة الوسطى بزعامة أناتول سالارل ANATOL SALARLI.

٥- الحزب الديمقراطي الاجتماعي، ويقوم بتمثيل مصالح المدنيين والأقليات العرقية، ويدعم الإصلاح الاقتصادي والاستقلال.

٦- الحزب الاجتماعي، وهو بديل الحزب الشيوعي، ويدعو للإصلاحات الاجتماعية والاشتراكية، ويدافع عن مصالح الأقلية الروسية وغيرها من الأقليات، ويطالب بتعزيز العلاقات مع رابطة الدول المستقلة، ويرأسه فاليريو سنيك VALERIT SENNIC.

التعليم:

منذ إعلان الاستقلال عام ١٩٩١م أخذ التعليم يتغير عما كان في عهد النظام السوفياتى، فقد أضيفت مادتا الأدب والتاريخ الروماني في منهج التعليم، واعتمدت الرومانية اللغة الأولى في التعليم، واحتلت الروسية المرتبة الثانية؛ بالإضافة إلى أنها أصبحت لغة الأقلية الروسية.

وجامعة مولدوفا الحكومية تأسست عام ١٩٤٥م، وتضم ١٣ كلية، منها كليات: الهندسة، والطب التي يدرس فيها طلاب عرب ومسلمون، ومنهم بضعة طلاب من خريجي الثانوية العامة السعودية.

الاقتصاد:

مولدوفا بلاد زراعية خصبة؛ حيث يعمل ٥٢,٥ ٪ من سكانها في الزراعة، وتبلغ حصيلتها ٤١,٧ ٪ في الاقتصاد الوطني، وأهم محاصيلها القمح والشعير والذرة، كما تربى المواشي، والأغنام، والخنازير، ويزيد عدد كل واحد منها عن مليون رأس.

وأما الصناعة، فتشمل الصناعات الغذائية مثل الزيت والدقيق والسكر، والآلات الزراعية، والأدوات الكهربائية، ومواد البناء، والملابس، وتشكل بعض هذه المنتجات صادرات مولدوفا لدول الاتحاد السوفييتي السابق.

في حين تستورد منها الوقود، والسيارات، والأجهزة الأليكترونية. وفي عام ١٩٩٢م بلغت صادراتها نحو ٤٧,٨٠٠ مليون روبل، والأجهزة الأليكترونية نحو ٧٩,٩٠٠ مليون روبل، أما مع أوروبا وأمريكا واليابان، فقد بلغت الصادرات ٣٣١,٨ مليون روبل، والواردات ١,٢٠٦,٥ مليون روبل.

الحكم الإسلامي:

مولدوفا التي قد لا يوجد فيها أثر إسلامي يذكر، أو مسلمون أصلاء يشار إليهم في الوقت الحاضر، عرفت في عهد الدولة العثمانية باسم بلاد بغدان BOGHDAN Ili أو ولاية بغدان، وهو الأمير بغدان الذي

أقام إمارة بين نهر دنستير DNIESTER والسفوح الشرقية لجبال كارباثيان عام ٧٦٠ هـ/١٣٥٩م، ثم قام العثمانيون بالاتفاق مع خانية القريم بغزو مولدوفا، وهاجم الأسطول العثماني ميناء آق كرمان AK KIRMAN ،والذي يقع حالياً في أوكرانيا عام ١٤٥٤م مما أجبر أميرها بترو أرون PETRO ARON على قبول الاستسلام بدفع جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ دوقية ذهبية.

ومع أن استيفان الكبير استقل بالإمارة عن العثمانيين عام ١٤٥٧م إلا أن السلطان محمد الثاني استولى على سوجيفا SUCEVA عاصمة مولدوفا حينذاك عام ١٤٧٦م مما أجبر استيفان على الاعتراف بسيادة العثمانيين في عام ١٤٩٢م، ولكنه عاد وتحالف مع البولنديين والمجر.

ولما وافته المنية في ١٥٠٤/٧/٢م أوصى ولده بغدان بالخضوع للأتراك، وتم هذا بالمعاهدة التي عقدت عام ١٥١١م، ولما تآمر بطرس وارش مع فرديناند ملك المجر، واشترك في قتل الويزيوكرتي ALOISIID GRITTI خرج إليه السلطان سليمان القانوني في ١١ صفر ٩٤٥ هـ/ ٩/٧/ ١٥٣٨ م، ولكن وارش التجأ إلى ترانسلفانيا، وسقطت سكزوه في يد السلطان سليمان القانوني، فعقد مجلساً من أمراء البلاد انتخب استيفان ليحل محل أخيه وارش، ودخل استيفان في الإسلام، وهو آخر من حكم من أسرة بغدان إذ توفي عام ١٥٥٢م.

وكانت الصلات بين العثمانيين ومولدوفا تقوم على مبدأ في المعاهدة في الإسلام؛ كما تبين من العهود التي منحها سلاطين العثمانيين، وكان السلطان العثماني يصدر البراءة بتعيين الأمير على إمارة بغدان، وكان مصدر سلطة الأمير كلها هو السلطان في براءته يوجب على جميع

البويار والقسس والجمهور الاعتراف بأميرهم حاكماً عليهم، وإذا رفض ذلك عدت أرضهم (دار حرب)، وكانت شارات سلطة الأمير: العلم، والخلعة، والقلنسوة الحمراء، ويصحب الآغا التركي الأمير إلى حاضرة إمارته، ويجلسه على العرش، ويقرأ براءة تعيينه على الناس.

وكانت الفدية التي تؤديها مولدوفا بوصفها من أهل العهد تعد خراجاً مقطوعاً، وحددت الجزية أولاً بألفي دوقية عام ٨٥٩ هـ/١٤٥٥ م، ثم بلغت اربعين ألف دوقية، وكانت تدفع أيضاً جزية قدرها سبعة آلاف دوقية إلى خانية القريم.

وكان العهد الذي يمنح للأمير ينص أيضاً على أن واجبه أن يكون صديقاً لأصدقاء السلطان، وعدواً لأعدائه، وأن يقدم العون العسكري إذا طلب منه ذلك، وأن يخدم الأمير بشخصه إذا خرج السلطان إلى ميدان القتال، وأما البراءة فكانت تؤكد أن العمال العثمانيين لا يجوز لهم التدخل في الشئون الداخلية، كما تتضمن منع بناء القلاع والحصون للأتراك في مولدوفا.

ومع ذلك، وبمرور الزمن، استطاعت الدولة العثمانية أن تستوعب أجزاء عدة من الإمارة، وتدخلها في دار الإسلام، كما حدث لناحية بجاق BUDJAK أو بسارابيا إذ عمد خان القريم إلى إسكان قبائل نوغاى معززاً بذلك السكان التتار الأوائل، وقد ذكر أولياجلبى أن لهؤلاء التتار مولدوفا مائتي قرية، وهم على ثراء عريض، وكانت القرى قائمة تجاه مدينة بندر التي تقع في جنوب شرق مولدوفا حالياً، وقد عرف هؤلاء التتار المسلمون باسم تتار بجاق، وكان تتار بجاق يتبعون خانية نورالدين الذي كان مقره في خان قشلة سى جنوبي بندر في مولدوفا.

والواقع أن مولدوفا أثناء الحكم العثماني كانت ملجأ لتتار مسلمي بولندا وليتوانيا حيث انتقلت سبعة فرق من تتار ليبكا LIPKA من بولندا إلى مناطق الحكم العثماني في ميجى بورز Miedzyborz وجوسيم Chocim سيزرنوفيتش Czerniowce وكامينيتش Kamience وصدت هذه الفرق هجمات بودوليا Podolia على مسلمي بسارابيا (مولدوفا).

كما يذكر التاريخ دخول ملوك المولدوف الذين يلقبون باسم Voyvoda مهينا الثاني التركي Turcituli 11M hneA وإلياس Ilias الذي أسلم عام ١٥٥١م، وتسمى باسم محمد بك، ولكنه عزل عن إمارة مولدوفا ، وجعله الأتراك أميراً لولاية سيلستر Silistre.

وفي الوقت الذي كان يوجد فيه أكثر من ١٥٠ ألف كاكوزاى من أتراك النصارى الأرثوذكس، فإنه لا يلاحظ وجود المسلمين القدماء في الإحصائيات والأرقام الرسمية؛ مع أن دائرة المعارف التركية الجديدة Ansiklopedisi Yeni Turkiyالمنشورة في إستانبول عام ١٩٨٥م ذكرت في مادة مولدافيا Moldavya بأن عدد المسلمين السّنة هو ١٨٠ ألف نسمة، وأن عدد الكاكوز ١٤٥ ألف نسمة في عام ١٩٨٠ (المجلد ٧ ص ٢٤٤٦) مما يعني أن المسلمين الأتراك أكثر من النصارى الأتراك، ولكن في الإحصائية الحديثة لا يوجد أي ذكر للمسلمين، ولا لمساجدهم، ولا يعرف سبب اختفائهم؛ مع أن الشواهد التاريخية تؤكد على تواجدهم على الأقل خلال الحكم العثماني الذي استمر لأكثر من ثلاثة قرون إلى عام ١٨٦١م، وحتى الآن لا تزال المدن والقرى تحمل أسماء إسلامية مثل: رمضان، وبندر، وتتار، وبالتي، ولكن يتضح من أسماء بعض الأسر المولدافية مثل تيلمان، وكرمان أن عمليات التنصير القسرية فتنت أولئك المسلمين عن دينهم.

يوميات مولدوفا

يوم الخميس: ١٠/ ١٢/ ١٤١٧هـ-١٧٠/٤/١٩٩٧م

عيد أوكرانيا ومولدوفا:

هذا اليوم هو يوم عيد الأضحى، وقد صلينا صلاة العيد مع الإخوة المسلمين في مدينة أوديسا: ميناء أوكرانيا المهم على البحر الأسود، وبعد الظهر منه توجهنا من أوكرانيا إلى مولدوفا.

وحلول عيد الفطر في هذه البلاد النائية الباردة أمر كنا قررناه من قبل عندما قررنا القيام برحلة الشمال، فقد تعمدنا أن نستفيد من عطلة عيد الأضحى، وهي طويلة في بلادنا هذا العام؛ إذ تبدأ من يوم الخميس ٣ ذي الحجة، وتنتهي يوم الجمعة ١٨ من هذا الشهر، فأضفنا إلى العطلة بضعة أيام قبلها اعتبرنا أنها هي وحدها التي أنفقناها في هذه الرحلة؛ لأن أيام العطلة ذاهبة في غير عمل لرابطة العالم الإسلامي فيما لو قضيناها في بلادنا.

وعندما كنت أصلي العيد في مدينة أوديسا في أوكرانيا كنت أفكر في الفروق بين عيدي في أوكرانيا، وعيدي في بلدتي مدينة بريدة؛ حيث اعتدت على أن أقضي عطلة عيد الأضحى فيها، وهي مسقط رأسي، وملعب ذكرياتي، وموطن آبائي وأجدادي، فأذهب هناك لأصلي صلاة العيد في مسجد العيد الذي لم يتغير منذ أن صليت فيه وأنا صغير مع والدي لأول مرة قبل ٦٥ سنة، واذبح بعد ذلك الأضاحي لنفسي وآبائي وأجدادي، وآخذ خلال ذلك فسحة من زحمة العمل.

أما في أوديسا اليوم، فالبلاد غريبة عني، وأنا غريب عنها، لولا الإخوة المسلمون الذين آنسوا وحشتي، وأنسوني غربتي، وذكر الله الذي يتردد بين القلوب وعلى الأفواه، وكتاب الله الذي تجلجل آياته بين

جنبات هذه الدور التي اتخذت فيها مساجد يذكر فيها اسم الله.

وأنا فيها أيضاً مستمر الحركة، جم الشغل، لا عطلة لي في ليل أو نهار، ولا في خميس ولا جمعة، ولا سبت ولا أحد؛ بل الأسبوع كله أيام عمل، إن أتعبت البدن، فإنها أفعمت القلب بالرضا والحبور.

أما الفروق المادية بين عيد بريدة وعيد أوديسا هذه، فإنها كثيرة إلى حدٍ يصعب حصره في ورقات، ولكن الذي لمسنا هنا البرد الشديد الذي يقبض الأطراف، ويصك الأضلاع، ولا تنفع معه الملابس، وذلك الجو الربيعي في بلادنا الذي يعتبره الناس هنا صيفاً من الصيف.

ومنها ما من الله به علينا فجعل بلادنا من أرخص بلاد الله أسعاراً، وآمنها داراً، وعلى عكس ذلك هذه البلاد، وما أعطانا الله فأعطيناه موظفينا وعمالنا رواتب جيدة، ومكافآت مجزية، وبعضها مغنية - من الاستغناء لا من الغنى - وما في هذه البلاد من رواتب هي اسم بلا معنى، وفتات لا تساوي حفنات مما يحتاجه الموظفون والعاملون من عيش ضروري، وعيشة غير كافية.

ثم ما في بلادنا من مرافق نافست بها بلدان العالم المتقدم في الإدارة، والعريق في الغنى في أوربا وأمريكا، وطرق هذه البلاد الأوكرانية التي صارت الأرض الخالية من الطرق أحسن منها، إذا كانت تلك الأرض الخالية غفلاً لم تسلك.

ولو ذهبنا في المقارنات ملأنا ورقات كما قلنا قبل كلمات، فلنبدأ بما نحن بصدده فنقول:

من أوديسا إلى كيتشنيف:

في الساعة الثانية من بعد الظهر دفعنا للفندق الذي كنا نقيم فيه في مدينة (أوديسا) في أوكرانيا أجرته، وأنزلنا أمتعتنا وكانوا سمحوا لنا أن نبقى في الغرف إلى الساعة الثانية بديلة من الثانية عشرة التي هي الموعد المحدد عندهم لإخلاء الغرف، واسم الفندق: (جرنا موره) أي البحر الأسود على اسم البحر الأسود التي تقع عليه مدينة (أوديسا)، وأجرته (٦٠) دولاراً أمريكية، وهي أجرة قليلة بالنسبة إلى مستواه، وبالنسبة إلى ما دفعناه لفنادق هي أدنى مستوى منه في (كييف)، و(خاركوف)، وسواهما من مدن أوكرانيا.

حفلة العيد:

كانت جمعية المسار الإسلامية التي تشرف على مصلى العيد في (أوديسا) قد أعلنت في مصلى العيد وغيره عن إقامة حفلة لمناسبة العيد، ودعتني إليها والأخوين اللذين معي في وفد الرابطة إليها دعوة خاصة.

وقد ذهبنا إليها استجابة لدعوتهم ولمشاركتهم الفرحة بالعيد، وبدأت الحفلة في الثالثة والنصف، وكان من بين فقراتها تمثيليات ومسرحيات قصيرة.

فخرجنا منها في الخامسة قبل أن تنتهي، وذلك للسفر إلى مدينة (كتشنيف) عاصمة مولدوفا التي تبعد عن أوديسا بأكثر من مائتي كيلو متر تقريباً.

وقد ذكرت ما جرى في هذه الحفلة مما حضرناه في آخر كتاب: ((خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين)).

استأجرنا حافلة صغيرة لأن سيارة الركوب المعتادة لا تتسع لنا مع أمتعتنا، وكنا نستأجر حافلة صغيرة في تنقلاتنا بالطرق البرية؛ حيث لا نعدم رفيقاً عربياً يصحبنا في الطريق، إلا أننا في هذه الرحلة من أوكرانيا إلى مولدوفا ليس معنا أحد من العرب؛ لأن سمة الدخول إلى مولدوفا يصعب الحصول عليها للعرب مع سمة العودة إلى أوكرانيا، لذا لم يكن معنا إلا السائق الذي لا يعرف أية لغة أخرى غير الروسية، ولا نستطيع التفاهم معه إلا بالإشارة التي لا توضح المقصود في أكثر الأحيان.

وذكروا أن السائق روسي الجنسية، لذا يستطيع أن يذهب إلى مولدوفا ويرجع إلى أوكرانيا بدون أية صعوبة.

وقد ذكرتني حالنا معه بالمثل العالمي الذي يقول: «مثل المسحاة مع البدو»، والبدو: جمع بدوي، وهو الأعرابي الذي يسكن الصحراء، ولا يحسن ما يحسنه أهل الحضر من أمور الفلاحة والزرع، والمسحاة: هي المجرفة.

أما الجو في هذا اليوم فإنه بارد، يقول الإخوة من اهل أوديسا: إن درجة الحرارة الكبرى هي ٣ درجات مئوية فوق الصفر، مع أننا الآن في شهر إبريل الذي هو من أشهر الربيع، وقد سمعنا في الإذاعة السعودية البارحة بأن درجة الحرارة في «منى» هي ٤٠ درجة مئوية.

وقد وقف السائق بسيارته مع سيارات أخرى، وحافلة من حافلات الحبال الكهربائية (الترولي باص) من أجل مرور قطار، ثم سرنا قليلاً وإذ بنا نفاجأ بأن الطريق مسدودة لكونهم يصلحونها، والغريب أنهم لم يضعوا لافتة، ولا تحذيراً، ولا شيئاً يدل على أن الطريق تصلح، فعاد السائق أدراجه، وسلك طريقاً أخرى، وهنا تبينت حالة الشوارع غير الرئيسية، وإذا

بها أسوأ وأكثر فساداً من الشوارع المسلوكة، وكنا نشكو من سوء حالة الشوارع في أوكرانيا كلها ما عدا مناطق من قلب العاصمة (كييف)، والأماكن التي يرتادها السياح، والسوء هنا هو في ذهاب الزفت منها، وأحياناً في ذهاب التعبيد كلية، أو بتكسر الزفت وبقائه كذلك دون إصلاح، وبشيء آخر مهم لا يحتاج إلى أموال كبيرة، ولكنه يدل على سوء الإدارة، وعدم العناية منها، وانعدام الرقابة الشعبية الكاملة على عمال الحكومة، أو هو عدم استماع الحكومة للشكوى منها متذرعة بسوء الحالة الاقتصادية، ونقص الأموال، وهو عدم النظافة في الشوارع، وأحياناً وجود القذارة فيها متمثلة في النفايات التي لم تجمع، أو التي جمعت ولم تبعد؛ بل بقيت أكواماً مكومة في حواشيها.



القمامة على حافة الشارع في ضواحي أوديسا

ثم وصل السائق إلى طريق واسع جيد، وإن كان واحداً للاتجاهين مفصولاً بينهما بخط، فسار معه قليلاً، ثم تركه إلى آخر قديم، ولكن حالته جيدة، وهذا تكرر في البلدان الشيوعية بأن تكون الطرق خارج المدن في الأرياف أحسن منها داخل المدن، أو فيما قرب منها.

وتباري هذا الطريق أخشاب عليها أسلاك الكهرباء مرفوعة في الهواء، وهو الأمر الذي صار نسياً منسياً في بلادنا وأمثالها من البلدان المتقدمة.

وأشجار الشوارع وما حولها لا تزال عارية من الأوراق؛ بل ذات لون رمادي كئيب، لأن فصل الشتاء وإن كان خرج حكماً فإنه لا يزال هو المسيطر في الواقع، ودرجة الحرارة الكبرى اليوم هي ٣ أو أربع كما تقدم.

وهذا جو قاسٍ، ويدل على قسوته، غير الإحساس بها أن أنابيب البخار الحارة ترى من هذا الطريق ذاهبة إلى القرى وتجمعات المنازل، وهي مياه تنطلق من محطة لتوليد البخار الحار تكون في كل البلدان الباردة في الاتحاد السوفييتي السابق، وتدخل إلى البيوت كما تدخل أنابيب المياه المعتادة، وذلك لقسوة البرد، وعدم إمكان البقاء بقاءً معتاداً في المنازل من دون تدفئة.

والعادة في الاتحاد السوفييتي كله أن يجعلوا الأنابيب الكبيرة التي تحمل هذا الهواء الساخن أو البخار مرفوعة عن الأرض، فلا يدفنونها كما تدفن الأنابيب الأخرى.

ورأيت على الطريق عجوزين على غاية البدانة تدفع إحداهما دراجة عليها أغراضها وطفلة صغيرة.

ووصلنا إلى مفرق طرق وجدنا عليه اثنين من جنود الشرطة يفتشون السيارات، وهذا كله قبل مفارقة ضواحي مدينة (أوديسا) التي يبلغ عدد سكانها مليونين ونصفاً.

ثم خرجنا للريف، فكان من أهم ما فيه قمح قصير؛ لأنه استفاق من برد الشتاء الثالج بالغريزة، فبدأ قبل فترة قصيرة بالخروج من الأرض، وهذا يسمونه القمح الشتوي، ذلك أنهم يبذرونه في أواخر الخريف قبل سقوط الثلج، فينبت قصيراً، ويقع فوقه الثلج، فيميت ما نبت منه، ثم يطبق عليه الثلج فلا يبقى له أثر حتى إذا ذهب الشتاء، وحلّ الدفء، بدأ بإخراج الأوراق، وصار ينمو بقوة.

وقد ذكر لي الإخوة في عدة بلدان شمالية أن مثل هذا القمح يخصبه الثلج، ويزيده الشتاء قوة؛ لأن نموه يكون في جذوره فتقوى، فذكرني هذا بمثل لزرَّاع القمح عندنا، وهو قولهم: «يا الله بركة مجرود والا مصرود»، - ويا الله - دعاء لحصول البركة والزرع المجرود: الذي أكل الجراد أوراقه، والمصرود: الذي أصابه الصَّرد، وهو البرد الشديد. يزعمون أن ذلك أقوى لجذوره، وأنه يخرج بعد ذلك قوياً كثير السنبل.

ورأينا على الطريق عجائز معهن بضائع قليلة يعرضنها على الطريق يتعرضن لأصحاب السيارات الذين يمرون منه، وبيوتهن غير بعيدة من الطريق.

ورأيت أعداداً كبيرة من الغربان - جمع غراب - يقعن على الأرض، ويتجمعن، ولا أدري علامَ يقعن، لأن سائقنا لا يُفْهِمُنا، ولا يفهم منا شيئاً.

وذكرت أنني رأيت في فندقنا في (أوديسا) فروع شجرة من نافذة الفندق، فعجبت من كون أطراف أغصانها تبدو سوداً مع أنها عارية من الأوراق، ثم رأيت أن سرباً من الغربان كان قد وقع عليها.

ثم كثرت الغربان بمقادير لافتة للنظر حتى صارت هي الطيور الوحيدة التي ترى ظاهرة من الطريق، وظني أنها مهاجرة، أو أنها كالطيور المهاجرة الأخرى تقصد شمال الأرض في فصل الربيع، ثم تعود إلى جنوب الأرض في فصل الخريف، وهي غير الغربان المحلية الموجودة في بلادنا، فهذه لا تهاجر.

قرى لا نعرف أسماءها:

مررنا ببلدة صغيرة فيها كنيسة ظاهرة، فسألت عن اسمها وأنا أشير إليها، فظن أنني أسأل عن الكنيسة، فأشار إلى أنها كنيسة، فسألت عما إذا كانت للكاثوليك أو للأرثوذكس، فلم يفهم الإشارة.

وأكثر بيوت القرى التي مررنا بها هي صغيرة منفردة، أي غير متلاصقة، وليس لها أحواش أو أفنية، وإنما يبدو البيت منها على هيئة غرفة واحدة، وإن كان طابقين، وفي داخله أكثر من غرفة، وكلها مسنم السقوف لئلا يثقل عليها ثلج الشتاء ومطر الصيف.

ورأيت أعشاش الطيور على صف من الشجار، فهي تعشش هنا، وهي الطيور المهاجرة التي ذكرت أنها تهاجر إلى شمال الأرض في فصل الربيع، وذلك أنها تعرف بالغريزة والجبلة التي فطرها الله عليها أن النهار يكون طويلاً في المناطق الشمالية من الأرض، فتستطيع أن تجد لها من الغذاء ما يكفيها؛ لأنها تتغذى طول اليوم.

والطيور تحتاج إلى الغذاء الكثير لكونها تبذل مجهوداً كبيراً في الطيران والحركة أكثر مما تحتاجه الزواحف والدواجن التي لا تطير إذا كانت في مثل حجمها.



شارع مدينة كوجورقان الأوكرانية على الحدود مع مولدوفا

على الحدود:

وصلنا مدينة كوجورقان، وهي مدينة أوكرانية فيها مركز الحدود بين جمهوريتي أوكرانيا ومولدوفا، وذلك في السادسة والنصف مساءً.

وتبعد هذه المدينة عن (أوديسا) ٧٢ كيلو متراً.

أوقف السائق سيارته عند الحدود، وأخذ منا جوازاتنا، وهي ثلاثة، اثنان منها (دبلوماسيان)، ونزل وبقينا في السيارة، فجاء ضابط الجوازات إلى السيارة وصعد إليها، وصار يفتح الجواز ويقول: لمن هذا؟ ثم يقارن بين الصورة في الجواز وبين وجه صاحبه.

ثم انصرف، وظننا أن الأمر انتهى.

وكنا مررنا بالجمرك، فنظر الضابط في جوازي (الدبلوماسي) وتركنا نمر دون أن يطلب الاطلاع على الأمتعة، وكنا رأيناهم يشددون على الركاب الآخرين في هذا الأمر ويفتشون أمتعتهم تفتيشاً دقيقاً.

كان الجو بارداً إلى درجة أنه يصعب على أمثالنا النزول من السيارة والوقوف في الخارج رغم الملابس الثقيلة، وقد رأيت جندياً واقفاً عليه الملابس العسكرية الثقيلة، ومع ذلك ينتفض من البرد، ويفرك كفيه إحداهما بالأخرى، كما أن السائق كان إذا خرج من السيارة ثم عاد إليها مثّل الانتفاض من البرد وفرك أيضاً إحدى كفيه بالأخرى.

وقد تمثلنا هنا بالمثل العربي القديم: ((قالت الحصاة: ما أشد الغرق؟ فقالت المَدَرَةُ: وأنا ماذا أقول؟)).

والمدرة: هي كسرة الطين اليابس.

فماذا نقول نحن الذين عشنا في بلاد حارة لا نعرف قدرها إلا إذا عضنا البرد بنابه في بلاد مثل هذه ثالجة !.

هذا ومركز الحدود الأوكراني هو مظلة كبيرة من رقائق الحديد، والأبنية التي فيها ضباط الجوازات هي محاريب من الخشب والزجاج مطلية باللون الأصفر.

وبجوار هذه المظلات مبنى إسمنتي يدخل إليه الضباط تبين أن فيه مكتب رئيسهم.

لذلك عندما أبطأوا علينا طلبنا بالإشارة من السائق أن يذهب إليهم لإحضار الجوازات، فذهب ثم عاد ليقول بالإشارة: اصبروا.

وبعد قليل جاء ضابط آخر يعرف كلمات قليلة من الإنكليزية، وقال ما معناه: أتريدون سمة دخول للعودة من مولدوفا إلى أوكرانيا؟

فشكرناه وأخبرناه أننا سنغادر مولدوفا إلى أرمينيا، ولا نحتاج إلى العودة إلى أوديسا، وقد تبين لنا بعد ذلك أن عرضهم السخي هذا له ما يبرره؛ لأن الطيران من أوديسا أكثر وأوسع من الطيران من كيتشنيف عاصمة مولدوفا.

وبعد قليل جاء ضابط بالجوازات وسلمها وهو ينحني بالتحية.

لدى مكتب مولدافا في الحدود:

يقع مكتب الدخول إلى مولدوفا قريباً جداً من مكتب الخروج من أوكرانيا، وذلك لكون البلدين كانا في الاتحاد السوفييتي ينتميان إلى دولة واحدة، ولا توجد بينهما حدود.

وقد رأيت المسافرين يمشون على أقدامهم من مكتب الحدود الأوكراني إلى مكتب الحدود المولدوفي.

أما نحن ومعنا سيارتنا فإننا سرنا بالسيارة فأوقفناها بعيدة عن المكتب لأن المكتب جهة اليسار، ومواقف السيارة جهة اليمين.

وليس في مكتب الحدود المولدوفي أي بناء أو بوابة فضلاً عن أن تكون على الحدود مظلة أو نحوها، وإنما يوجد مبنى على أيسر الطريق

هو مكتب الجوازات، فذهب إليه السائق، وبقينا في السيارة، ثم عاد بالجوازات ولم يستغرق أكثر من دقيقتين، وذلك لكوننا نحمل سمات دخول (دبلوماسية) على اثنين من جوازاتنا أخذناها من سفارتهم في كييف عاصمة أوكرانيا.

وقال السائق وهو يعطينا الجوازات مبتسماً: (يونيون نو ستامب) يريد أنه في زمن الاتحاد السوفييتي لا وقوف لختم الجوازات، أي لا يقف الناس هنا.

داخل جمهورية مولدوفا:

كان اسم هذه الجمهورية التي اشتهرت به زمن الاتحاد السوفييتي (ملدافيا) غيره أهلها بعد الاستقلال إلى (مولدوفا)، ولكن ذلك لم يبعد - على كلا اللفظين - من كونه اسم كلب سميت به هذه البلاد كما سيأتي.

ومنذ دخولنا (مولدوفا) بدأ المطر بالنزول، ثم كثر وأظلم الجو للسحاب الكثيف، وقرب الغروب، ثم صار ثلجاً لبرودة الهواء؛ غير أنه لم يكن كثيفاً، وقد تأكدت من كونه ثلجاً لا برداً من كونه خفيفاً، وكونه يذوب عندما يلامس الأرض عرفت ذلك من الثلج أول نزوله، وشاهدته في عدة أماكن، ومنها تركستان الشرقية التي تحتلها الصين، وتعرف حالياً باسم (سنكيانغ)، فقد هبت عاصفة باردة ذكروا أنها قادمة من سيبريا، وذلك بعد طقس مقبول لم يبق في الأرض أثراً لثلج قبله، وكان ذلك في شهر إبريل هذا الذي نحن فيه قبل ثلاث عشرة سنة، فقد ظل الثلج يذوب عندما يسقط على الأرض لفترة من الوقت إلى أن برد سطح الأرض، وكثر الثلج، فصار يجتمع ويتراكم.



المطر والثلج الخفيف بعد الدخول لمولدوفا

أما البَرَدُ فإنه ينزل قوياً صلباً ولا يذوب فور وصوله إلى الأرض.

هذا ولم يتغير الطريق منذ أن دخلنا (مولدوفا)، فهو واحد للسيارات المتقابلة، ولكنه جيد الزفت، متوسط السعة، والأشجار على جانبيه منسقة؛ إلا أنها هامدة لم تستفق من رقدة الشتاء الطويلة، وعلى يمين الطريق قمح أخضر قصير في حقول متسعة، كلها للدولة، لأن الحكومات الشيوعية السابقة لم تغير شيئاً مما يتعلق بملكية الأراضي حتى الآن، وبخاصة في هذه البلاد، وإلى يسار الطريق بساتين الفاكهة، وأكثرها تفاح، وكلها عارية من الأوراق.

مدينة ڤيراسبول:

وصلنا أول مدينة مولدافية هي (ڤيراسبول)، وهي كبيرة متسعة، عرفنا فيما بعد أن سكانها (٥٠٠,٠٠٠) خمسمائة ألف نسمة.

وجدنا عند مدخلها شرطة يوقفون السيارات، ويطلعون على أوراق السائق، ولم يسألوه عن شيء يتعلق بنا.

وصلنا المدينة وقد جن الظلام، فكان من أكثر ما رأيناه فيها ظهوراً الأبنية الكبيرة ذات الطبقات المتعددة التي أسميتها بالعمارات الشيوعية، وهي أبنية كبيرة كثيرة الطبقات، تبنيها الحكومات الشيوعية على هيئة شقق صغيرة تكون مساكن شعبية تؤجرها على الناس بأجور رمزية؛ لأنها حسب النظام الشيوعي مكلفة بتوفير المساكن للشعب، ولذلك لا يستطيع أحد أن يبني له بيتاً منفرداً في المدينة.

وتجاوزناها دون وقوف، فوصلنا بعد فترة إلى بلدة صغيرة لا نعرف اسمها، رأينا فيها أيضاً مجموعة من الجنود يوقفون السيارات، ثم تكررت حواجز الشرطة التي توقف السيارات.

ولم أر مثيلاً لكثرة إيقاف السيارات في هذه المسافة القصيرة في أي مكان آخر في العالم.

هذه كيتشنيف:

وصلنا هدفنا، وهو مدينة (كيتشنيف) عاصمة جمهورية مولدوفا في التاسعة والثلث، وكان المطر ينزل، والهواء بارد، فقصد السائق فندقاً كان الإخوة من أهل أوديسا قد أخبروه به، وكان أهل جمعية

المسار الإسلامية في أوديسا قد هاتفوا أهل جمعية السلام الإسلامية في (كيتشنيف) عن وصولنا، وطلبوا منهم أن يحجزوا لنا ثلاث غرف في فندق مناسب، ويخبروهم باسمه، ففعلوا.

وجدنا عند باب الفندق ثلاثة من الإخوة الكرام من جمعية السلام الإسلامية، فيهم رئيس الجمعية الأخ عبد الرحيم الجعبري، والعضو العامل فيها الأخ رأفت الشنطي، وبعد أن سجلنا أسماءنا بمساعدة هؤلاء الإخوة الذين يعرفون الروسية، ووضعنا أمتعتنا في الغرف، أخذنا الأخ رأفت الشنطي إلى بيته لتناول العشاء.

كان المطر يهطل وحالة الشوارع مثل شوارع أوكرانيا؛ بل مثل شوارع الاتحاد السوفييتي السابق كله التي أهملت بعد الشيوعية بحجة عدم الإمكانات المالية.

ولقد رثيت لسائق السيارة هنا مثلما فعلت في أوكرانيا؛ لأن المطر يخفي الحفر الصغيرة في أرض الشارع.

وعندما دخلنا منزل الأخ رأفت الشنطي، وهو من غزة في فلسطين، ويدرس في جامعة كيتشنيف، ومعه زوجته، وجدنا فيه الدفء والنظافة وتلفازاً يبث برامج عربية سمعنا منها نشرة أخبار تلفاز دبي في الإمارات العربية المتحدة.

وحال وصلنا رمى السفرة، وجاء بالعشاء الذي نشتهيه، وهو الأرز عليه لحم غنم ناضج لذيذ، وكنا بحاجة إليه، فرغم أن اليوم هو عيد الضحى، وأن الناس في بلادنا يكثرون من لحوم الأضاحي، فقد رأى الإخوة أهل جمعية المسار الإسلامية في أوديسا التي صلينا فيها العيد أن يفرقوا لحم الأضاحي نيئاً غير مطبوخ على الأسر الإسلامية المحتاجة،

ومنه أضحية لي أعطيتهم ثمنها، وكانوا هيأوا متبرعين لذبح الأضحيات، وآخرين لتوزيعها على فقراء المسلمين في بيوتهم، ولذلك لم نذق فيها لحماً.

كان اللحم الذي قدمه الأخ رأفت الشنطي على العشاء الذي كان من الأرز يكفي لعشرة، ولكننا أكلنا منه أكل المحروم، وكنا محرومين بالفعل من اللحم الحلال في أكثر الأيام الماضية، فكنا نأكل سمكاً، أو دجاجاً ذبحه مسلمون، وأنا من الذين لا يحبون لحم الدجاج.

وبعد ذلك جاء بالشاي، وجلسنا معه ومع اثنين من الإخوة كان دعاهما جلسة ممتعة لأننا سمعنا من أحوال هذه البلاد وأحوال المسلمين فيها ما لم نكن نعرفه.

ومنزل الأخ (رأفت) شقة تعتبر متوسطة في هذه البلاد التي كانت شيوعية، وهي من غرفتين، وتعتبر في بلادنا ضيقة، ولكن في بلاد الشيوعية كانت الغرفة الواحدة تسكن فيها أسرة كاملة، وتعتبرها نعمة؛ لأنها تجد فيها الدفء والوقاية من الثلج والبرد.

وعلى ذكر الدفء أقول: إن في بيت الأخ (رأفت) مدفئة كهربائية تبين أنها ميزة عظيمة كما سيأتي.

ليلة البرد:

عدنا إلى الفندق وودعنا الإخوة الكرام عند أبواب غرفنا في الفندق على أمل اللقاء بهم غداً. وعندما دخلنا إلى الغرف وجدناها زمهريراً مركزاً لم نستطع معه الجلوس في الغرفة، فطلبنا من الإدارة أن

يشعلوا التدفئة ظناً منا أنهم لم يفعلوا ذلك، فذكروا أنه لا توجد تدفئة الآن في كل الفندق، ولم نستطع إلا أن نلبس ملابسنا، ومنها ثوب من الصوف السميك، ونتغطى بكل ما في الفندق من غطاء، ومع ذلك لم ننم نوماً مريحاً من شدة البرد.

لم يكن في الغرفة شيء مناسب إلا ماء الحمام الحار، وكذلك ماء حوض الاستحمام، ولكن ليس لهما سدادة، وإلا لكنا ملأناهما بالماء الحار، وفتحنا باب الحمام على الغرفة حتى يشع فيها شيئاً من الدفء.

لقد كنت ونحن نتعشى في بيت الأخ رأفت الشنطي أتذكر المثل العامي الذي يقول: ((الدفا أخير من العشا)) فأقول: لقد جمع لنا فيها الدفء والعشاء. أما هنا فإن الدفء معدوم.

هذا والفندق هو أحسن الفنادق في المدينة، ومظهره في مداخله، وفي موقعه، مظهر ممتاز، حتى إنهم وضعوا في الغرفة ذلك الظرف الصغير الذي فيه أزرار ومشبك وإبرة ليستعملها النزيل إذا احتاج إليها. فقلت في نفسي: إننا بحاجة إلى شيء غير هذا، وهو الدفء، وذلك على حد قول الشاعر العربي القديم:

قالوا: اقترح شيئاً نُجِدْ لكَ طَبْخَه قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا

فهو محتاج إلى الجبة والقميص أكثر من حاجته إلى الطعام.

ومن السخرية أن المرأة المسؤولة عن الطابق الذي نحن فيه على عادة الفنادق السوفييتية السابقة أن يجعلوا في كل طبقة امرأة مسؤولة عن حفظ الأشياء، وهي خلاف العادة، تعرف كلمات قليلة متناثرة من الإنكليزية. شكا إليه أحد الإخوة هذا البرد الشديد، وطلب منها

علاجه، فقالت: التدفئة لا توجد تدفئة، والناس هنا في مثل هذه الحالة يعالجون البرد بإحدى طريقتين: هما الرياضة بالركض وحل الأثقال، والثانية بالقرب من زوجة شابة!!.

يوم الجمعة: ١١/ ١٢/ ١٤١٧هـ، ١٨/ ٤/ ١٩٩٧م.

وصباح البرد:

كان صباح هذا اليوم بارداً كمساء أمس، وقد أزحت ستارة النافذة في غرفتي في الطابق السادس من الفندق، فإذا بها تفتح على ميدان جيد أظنهم قالوا: إنه الميدان الرئيسي في المدينة، أو قالوا: إنه من الميادين الرئيسية فيها، ولذلك هو واسع ومحاط بأبنية جيدة، متعددة الطوابق، وفي ركن منه كنيسة زرقاء الطلاء، ذهبية الأبراج، لا شك في أنها رممت وطليت بعد سقوط الشيوعية.

ونزلنا لتناول الفطور الذي هو داخل في أجرة الغرفة، فنزلنا من الطابق السادس إلى إدارة الفندق نسألهم عن كيفية معالجة البرد، فذكروا أنهم لا حيلة لهم في ذلك، لأن التدفئة مقطوعة عن المدينة كلها منذ أن دخل شهر إبريل، ولا توجد تدفئة في أي مكان منها، فطلبت منهم أن يمدوا غرفتنا بمدافئ كهربائية، وسوف ندفع ما يريدون، فذكروا أنهم لا يستطيعون ذلك، فأجمعنا على شراء (دفايات) ثلاث لغرفنا الثلاث، وأن نتبرع بها بعد ذلك لأماكن الصلاة في هذه المدينة عن طريق الجمعية الإسلامية.

وذكروا أن مطعم الفندق في الطابق الأول، ولكن لا بد من ركوب المصعد إليه، وهو لا يقف في الطابق الأول، وإنما يقف في الطابق الثاني، فيجب على الذاهب إلى المطعم أن يصعد فيه إلى الطابق الثاني،

ثم ينزل على قدميه إلى الأول، وهذا بقية من الإدارة الشيوعية التي لم تكن تبالي بتعب الناس، والناس لا يحتجون على ذلك؛ لأنهم يريدون الطعام بأية وسيلة.

ووجدنا المطعم بارداً مثل الغرفة، فكان الناس يأكلون وعليهم الملابس الثقيلة؛ لأنه لا فرق بين جوه وبين جو الشارع.

وطعامهم معتاد من البيض والجبن، ثم الشاي والقهوة، وليس على طريقة المائدة المفتوحة، وتقدم الطعام عاملات ليس عليهن الطابع السلافي مثل أوكرانيا التي قدمنا منها، وإنما هو الطابع الروماني غير النقي، وهو الذي عليه أهل هذه البلاد الملدافية، وقد جعلوا اللغة الرومانية رسمية بعد أن نالوا الاستقلال، ولذلك كتبوا على المصعد: (باساجيري) بمعنى ركاب.

ثم عدنا إلى الغرف في انتظار الإخوة أعضاء الجمعية الإسلامية، ففتحنا التلفاز، فإذا به يبث صلاة العيد وخطبته من تلفاز موسكو، أي أنه متأخر عنا بيوم واحد، وإذا بالشيخ طلعت تاج الدين الذي كان رئيس الإدارة الدينية لمسلمي سيبريا، والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي السابق، وذكرته في عدد من كتبي المتعلقة بتلك المنطقة، ثم نشأت الخلافات بعد سقوط الشيوعية، واستقلت المناطق بمفتين لها حتى إن بعضها صار له أكثر من مفتٍ مثل داغستان.

وقد اعتزل الشيخ طلعت تاج الدين، أو عزل، وقيل لنا: إنه مرض، ثم إذا بي أراه اليوم يخطب من التلفاز.

ورأيت موظفي التلفزة يركزون الصورة على عجائز مسنات، متغضنات الوجوه، وعلى شيوخ كبار في السن، وعلى مصلين لم يتسع

لهم داخل المسجد، فصاروا يصلون على الثلج، وبينهم قطع منه.

والظاهر لي أنه يخطب في مسجد، أو في عاصمة جمهورية بشقرردزستان التي هي مقره في السابق.

وقد أسرعنا إلى مكتب سياحي في الفندق من أجل الحجز للخروج من (مولدوفا) عند انتهاء عملنا فيها، فأخبرونا أن عدداً من الرحلات التي كانت موجودة قد ألغيت لقلة المسافرين، ومنها رحلة إلى طشقند، عاصمة جمهورية أوزبكستان، ورحلة إلى (يريفان) عاصمة أرمينيا، فهذه الجمهورية صغيرة وفقيرة، وليس المراد بذلك أنها فقيرة بمواردها الأساسية، ولكنها فقيرة في وسائل استغلال تلك الموارد بعد أن سقطت الشيوعية، وصاروا يتخبطون مثل غيرهم من أقطار الشيوعية السابقة من دون وسائل الغنى، أو أدوات الاكتفاء.

وهذه مرحلة، في اعتقادنا، مؤقتة لا ندري أتطول أم تقصر.

وجاء الإخوة، فطلبنا منهم أن يشتروا لنا دفايات كهربائية؛ لأننا لا نستطيع الاطمئنان في الغرف؛ فضلاً عن الراحة في هذا الجو البارد، فاشتروها بالفعل، كل واحدة بخمسة عشر دولاراً، وهي جيدة، معتدلة التدفئة، أغنتنا عن ارتداء الملابس الثقيلة الكاملة في الغرفة.

جمعة كتشنيف:

مضى جزء من ضحى هذا اليوم في عقد اجتماعات تضمنت مباحثات وتبادل معلومات حول الوضع الإسلامي في البلاد، وحول مهمتنا فيها، إلى أن حان وقت الجمعة، فذهبنا معهم لأداء صلاة الجمعة في مسجد جمعية السلام الإسلامية التي يقوم عليها الإخوة الذين استقبلونا البارحة، وذلك في الواحدة

والريع، على حافلة صغيرة استأجرناها كالعادة، لأنها تحملنا ومن يرافقوننا، ولو زاد عددهم.

انطلقنا مع شوارع (كتشنيف) التي بدت على أشجارها أطراف الورق الأخضر الذي يبدو أصفر، ، فكأنما كانت تستعجل الربيع، بخلاف روسيا وأوكرانيا التي لا تزال الأشجار فيها هامدة، كأنما لم يكن لها عهد بالحياة من قبل.

مسجد الغرباء:

وصلنا إلى المسجد الذي أسموه (مسجد الغرباء)، وذلك أن القائمين عليه هم من الطلاب الغرباء، الذين جاؤوا إلى هذه البلاد لغرض الدراسة ثم العودة، وبعضهم استمر في التخصص في بعض فروع الدراسة بعد إتمام الدراسة الجامعية.

وهو نصف أرضي ينزل إليه بدرج إلا أن سقفه أعلى من مستوى سطح الشارع بقليل، واستأجروه بأجرة سنوية ليكون مقراً لنشاط الجمعية الإسلامية وأداء الصلوات فيه، وقد استأجروه من معهد الموسيقى في المدينة، ولا تزال في طابقين فوقه مساكن للطالبات في المعهد.

كانت قد بقيت في الوقت بقية قبل أن يحين وقت الصلاة، فقمنا بجولة على أقسام المسجد الذي يصح أن يسمى بالمركز الإسلامي؛ لأنه يشتمل على نشاط إسلامي متعدد، وليس مقتصراً على الصلاة، فكان أول ما دخلنا منه المكتبة، وهي جيدة فيها كتب قيمة وأشرطة إسلامية كثيرة ولكنها ضيقة، لأن المكان نفسه ضيق، وقد اعتذروا عن ذلك وقالوا: هذه طاقتنا و﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ، فأثنيت على هممهم العالية حيث جمعوا هذه الكتب والأشرطة، ويسروا الاطلاع عليها للطلاب من أبناء المسلمين الذين لا

يتيسر لهم الاطلاع على الكتب والمراجع الإسلامية في أي مكان آخر غيره من هذه البلاد.



في مكتبة مسجد الغرباء على يميني الأخ عبد الرحيم الجعبري رئيس الجمعية في كتشنيف

ومع أنها حافلة بالكتب والتسجيلات الإسلامية فإنها مؤثثة بأثاث جيد من سجاد ثمين، وكراسٍ جيدة.

ثم أرونا المطبخ، وذكروا أنهم يحتاجونه أكثر في شهر رمضان؛ لأنهم يفطرون إفطاراً جماعياً في المركز، وقد جهزوا المطبخ تجهيزاً جيداً، وجعلوا بجانبه ثلاثة أحواض لغسل الأيدي مما يدل على كثرة رواده، ثم غرفة الرياضة فيها (تنس الطاولة)، وذكروا أنهم بهذا يسعون إلى جذب الإخوة

الطلاب لقضاء أوقات فراغهم في المركز، للتمتع بالرياضة والصلاة.

وكذلك غرفة كتبوا عليها (غرفة النساء) تلقي فيها أخوات مسلمات، منهن زوجة الأخ رأفت الشنطي، وهي تعرف اللغة الروسية، دروساً لمن يأتين من النساء على حدة، حتى إذا كن من غير المسلمات وجئن إلى المركز من أنفسهن، أو بوساطة التعارف مع العرب فإنهن يجدن من يفهمهن مبادئ الدين الإسلامي وأهدافه.

ورأيتهم جمعوا في الغرفة مجموعة من الملابس ذكروا أنها لفقراء المسلمين الذين يراجعونهم يطلبون منهم المساعدة.

ثم المصلى، وهو قاعتان متجاورتان بينهما باب، لا يفتحون الداخلية منهما إلا يوم الجمعة اكتفاء بالأولى، وذلك لكثرة المصلين في يوم الجمعة.

وفي المسجد دفايات كهربائية قليلة، ذكروا أنهم يحتاجونها وبخاصة في غير صلاة الجمعة حيث يكون المصلون قليلاً، وذكروا ما ذكره دليل الفندق من كون التدفئة قد قطعت عن المدينة كلها ابتداءً من دخول شهر إبريل، لأنه من أشهر الربيع، قالوا ولكن شهر إبريل جاء بارداً هذا العام، كأنما هو فصل الشتاء، إلا أنهم لم يعيدوا التدفئة.

نودي للصلاة بسرعة؛ لأن الوقت قد حان فتقدم أحدهم فخطب خطبة جيدة المعنى، حافلة بالاستشهاد بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية والآثار، حتى يعجب المرء من حفظه لها، والخطبة بها في هذا المكان النائي عن الحواضر الإسلامية، لم يكن يشوبها إلا بعض اللحنات النحوية الناشئة عن كونه لم يدرس النحو وقواعد العربية فيما يظهر.

وقد صلى بنا صلاة مطمئنة تلا فيها تلاوة خاشعة، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنهم.

وقد عجبت من كثرة المصلين الذين ضاق بهم المسجد حتى كادت بعض الصفوف تلتحم لتقاربها.

وبعد الصلاة قام أحد الإخوة فأعلن لهم برنامج التذكير في هذا اليوم، وعرفهم بي وقال: نستمع الآن إلى كلمة من فلان، ثم دعاني للكلام، وكنت أظن أن بعضهم ينصرف عند الكلام بعد صلاة الجمعة كما هي عادة أكثر الناس في بلادنا؛ غير أنني لاحظت أنه لم يخرج منهم أحد، ودخل إلى القاعة الداخلية التي كنا فيها من صلوا في القاعة الأولى.



المؤلف يتكلم بعد صلاة الجمعة في مصلى الغرباء في كيتشنيف

وقد ألقيت فيهم كلمة مطولة بالعربية لأن ٩٩٪ منهم من العرب، وقد صلى معنا أربعة أو خمسة من زعماء التتار، لذلك رأيت بعض العرب يترجم

لهم المهم مما أقوله.

لقد ألقيت الكلمة - كعادتي - مرتجلة غير مكتوبة، لذلك لم يمكنني إثبات نصها هنا، وإنما أشير إلى رؤوس المسائل التي تطرقت إليها، فمنها سرورنا باجتماعهم لصلاة الجمعة في هذا المكان الذي صار مباركاً بما يتلى فيه من كتاب الله وما يقام فيه من صلوات، وذكرت ما ورد في الحديث الصحيح عن عظيم أجر من تمسك بدينه في بلاد مثل هذه البلاد التي استشرى فيها الفساد، وعمت الفتنة حتى غدا المعروف فيها منكراً والمنكر معروفاً، وصار الشاب المسلم فيها معرضاً لفتنتي الشهوات والشبهات.

ونبهت إلى وجوب التخلق بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، ومعاملة الناس بها لأن المسلم إذا عمل بذلك صار وجوده بين غير المسلمين تجسيداً حياً لما يدعو إليه الإسلام، وعلى عكس ذلك من لم يتمسك بما أمر الله به ورسوله من الخلق الفاضل وحسن المعاملة مع الناس والتأدب بالآداب الإسلامية فإنه يكون بذلك صاداً عن الإسلام، منفراً لغير المسلمين عنه، فيكون بذلك قد جنى على نفسه وعلى دينه.

ثم تطرقت إلى ما يشغل بال الشباب وغيرهم من حالة المسلمين الحاضرة، وكيف صاروا على كثرتهم وسعة بلدانهم، وكثرة المال فيها على حالة يحزن لها المسلم؛ لأنهم صاروا طوع أيادي الكفار يقررون ما يقررونه لبعض زعماء المسلمين، فينفذون ما يقررونه، ولو كان ذلك لا يتفق مع ما أمر الله به ورسوله، وينهونهم عن شيء فينتهون عنه ولو كان مما يأمر الله به ورسوله.

وعلى وجه العموم فإن المسلمين - مع الأسف - قد صاروا الآن تابعين

بعد أن كانوا في زمن الصدر الأول متبوعين، وصاروا يتأثرون بغيرهم من دون أن يؤثروا في غيرهم، وعلى هذا يجد المسلم نفسه يردد في نفسه ولإخوانه هذا السؤال: هل يعود للمسلمين مجدهم؟ وكيف؟



المصلون يستمعون إلى كلمة المؤلف يوم الجمعة بعد الصلاة في جامع الغرباء

وقلت لهم: إن الجواب القطعي هو: نعم سيعود للمسلمين مجدهم وعزهم إذا أخذوا الإسلام كما أخذ به أسلافهم من المسلمين قولاً وعملاً واعتقاداً ومعاملة، ثم ضربت لهم كيف يغير الإسلام بهذه الطريقة من أخذوا به، وذلك في قصة الفيل التي ذكرت أن قريشاً ورئيسهم كان عبد المطلب جد الرسول ﷺ وذلك أنه عندما اقترب جيش أبرهة ملك الحبشة الذي جاء من اليمن

ليهدم الكعبة - بزعمهم - لم تقاومه قريش وفرت إلى شعاب الجبال، مبعدة عن ميدان المعركة.

وكان ذلك عام مولد رسول الله ﷺ، وبعد ذلك انطلق العرب المسلمون من هؤلاء إلى الأقطار المجاورة يدعون الناس إلى دين الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ حتى غزوا أكبر قوتين في ذلك التاريخ وهما قوة الأكاسرة في العراق، وقوة القياصرة في الشام.

ولا ينبغي أن يقول قائل: إن الزمن قد تغير، فالمثل والمبادئ لا تتغير، وإنما تتغير الوسائل والأساليب، ولا ما نع من تغيرها في مثل هذه الحال.



يستمعون إلى كلمة المؤلف بعد صلاة الجمعة في كتشنيف

وقلت لهؤلاء الطلبة الكرام الذين احتشدوا لصلاة الجمعة من غير أن

يعرفوا بأننا سنأتي: إنه يجب على كل واحد منا أن يحاسب نفسه في كل يوم، وبخاصة إذا آوى إلى فراشه كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا)).

وذكرتهم أنهم يعيشون في بلاد ذات سكان من غير المسلمين، وتحت حكومة غير مسلمة، لذا يجب عليهم ألا يخالفوا الأنظمة الرسمية المرعية في البلاد التي تنظم المصالح العامة فيها مثل أنظمة السير والوقوف، وأنظمة السفر والإقامة، والمحافظة على المرافق العامة، وذلك لكونهم أعطوكم عهدهم بالأمان والإقامة في بلادهم، وينبغي أن تنتبه الجمعية لهذا، لأن بعض المسلمين يستهين به، ويتهرب من بعض الأشياء التي وضعوها كالضرائب على بعض الأشياء والأفعال.

ورغم طول الكلمة فإنني رأيتهم مصغين لها، وذلك لقلة من يأتون إليهم من البلدان العربية يتحدثون معهم مثل هذا الحديث.

وبعد ذلك جلسنا مع الإخوة رؤساء الجمعية الإسلامية، وتذاكرنا في عدد المصلين لهذا اليوم، فذكروا أنهم سبق أن أحصوا المصلين في الجمعة فوجدوا أن عددهم ما بين ٨٠٠ إلى ٩٠٠ مصلٍ ٩٩٪ منهم من العرب، ومنهم ٤ أو ٥ من التتار، ومثلهم من الشيشان، ومثل أولئك أو أقل من الباكستانيين.

وقد سلم علينا بعض الطلبة الذين ذكر بعضهم أنهم من مكة المكرمة، وآخر من جدة، وواحد من الجوف، وتبين أنهم من أبناء الفلسطينيين المقيمين هناك الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة بالمملكة.

وقدم لنا أحد الطلاب نفسه على أنه الطالب السعودي الوحيد في البلاد، ولا أدري صحة ذلك.

ومعظم الطلبة من فلسطين وسوريا والأردن.

لقد جاء هؤلاء الطلاب إلى هذه البلاد للدراسة من أجل انخفاض رسوم الدراسة فيها، وليس حباً في العيش فيها، ولا من أجل رقي الدراسة بها.

وقلتُ في نفسي بهده المناسبة: لماذا لا تكون في الوطن العربي جامعات أهلية تساعدها الحكومات يدرس فيها الطلاب العرب الذين لا يستطيعون الدراسة في أمريكا وأوربا لارتفاع النفقات الدراسية، وتكون نفقاتها معتدلة؟.

إلى إدارة القوميات:



الشارع الرئيسي الواسع في كتشنيف

بعيد الثالثة كنا نغادر (جامع الغرباء) متجهين مع الإخوة أعضاء

الجمعية الإسلامية إلى إدارة القوميات، وهي إدارة حكومية مختصة بشؤون الأقليات القومية في البلاد، ومنهم المسلمون، ولذلك طلب منا الإخوة أهل الجمعية أن نذهب إليها، وكانوا أخبروها بقدومنا قبل أن نصل، تعاوناً معها، لأنها الجهة الحكومية الرسمية المسئولة عن العلاقات مع أمثالهم من الناحية الدينية.

سلكنا لها شارعاً واسعاً هو الشارع الرئيسي في المدينة، وهو مدخلها.

وصلنا مبنى كبيراً ظنناه لهذه الإدارة وحدها، فأخبرونا أنه مبنى للطائفة اليهودية مستأجر منها، فيه إدارات عدة، وأن المسلمين قد أعطوا غرفة فيه لتكون مقراً لرؤساء الطوائف الإسلامية الموجودين في البلاد، وليس الطلاب منهم، وإنما هم الذين حصلوا على الإقامة الدائمة فيها ومن وفدوا إليهم من جنسهم وكلهم كانوا من رعايا الاتحاد السوفيتي السابق.

ولم يكونوا أحسنوا شرح المطلوب لنا من زيارة هذا المكان، فوجدنا ممثلين عن الشيشان والآذريين - سكان أذربيجان - والتتار، عن كل طائفة واحد.

وكان من الحاضرين الأخ (البر باييف) رئيس الجمعية التتارية، وقد تبين بعد ذلك أنه رجل مهم لنا؛ إذ صحبنا طيلة مقامنا هنا، ولم يتركنا حتى ودعنا في المطار، كما حضر الأخ (محارب رشيد الله وردي) ممثل الجالية الآذرية، والأخ أصلان بيك ممثل قومية الشيشان، وأحد الإخوة المسلمين من الحبشة.

ثم قابلتنا مسئولة الأقليات لدى الدولة واسمها: (فرينكا مخائيلوف).

وحضر معنا من الإخوة الطلاب العرب الأستاذ عبد الرحيم الجعبري رئيس جمعية السلام الإسلامية، وهو من الخليل في فلسطين، والأخ رأفت

أحمد الشنطي.

وكان الأخ عبد الرحيم هو الذي يترجم الكلام بما بيننا وبينها من الروسية إلى العربية وبالعكس.

وقد تحدثت (فرينكا مخائيلوف) بقولها: إن المجلس يضم ممثلي الأقليات العرقية، وخاصة القوميات التي تواجدت خلال الحكم السوفياتي في مولدوفا، ومن هذه القوميات الأوزبك، والتتار، والآذار، والشيشان، وإن حكومة مولدوفا تدعم النشاط الثقافي والاجتماعي لهذه القوميات، وتكن لها الاحترام والتقدير، وإنها وهي نصرانية تشارك المسلمين في مناسباتهم، وتساعدهم وترحب بمساعدة الجمعيات الإسلامية الرسمية، وترغب أن يقدم لهم مساعدات مالية؛ لأن الظروف الاقتصادية عموماً سيئة، ومختلف القوميات تمر بظروف صعبة، وأية مساعدة لها ستكون محل تقدير، وهناك مساعدات ترد لمختلف القوميات النصرانية، ولكن المسلمين ليست لهم مساعدات، وذكرت أن قومية كاكوز التركية النصرانية لهم حكم ذاتي، ويحصل طلابهم على منح دراسية في تركيا، ويعودون منها وهم يحملون الثقافة الإسلامية. وذكرت في ختام حديثها أن مولدوفا بلاد مسيحية، وقد يكون من الصعب إنشاء مساجد فيها، كما سيكون من الصعب إعادة المساجد والأماكن الإسلامية التي صادرتها إلى المسلمين إذ لم تعد إلى اليهود معابدهم بالرغم من مطالبتهم لها.

ثم تحدث الأستاذ محارب رشيد الله وردي ممثل الجالية الآذارية قائلاً: إن عدد الآذاريين هو ثلاثة آلاف شخص، ولهم جمعية مرخصة رسمياً منذ ست سنوات، وإن المسلمين يتطلعون لأداء شعائرهم الدينية، ولكن لا يتوفر لهم مسجد، كما لا يوجد لديهم كتب وأئمة، والمسلمون لا يعرفون شيئاً من

أحكام دينهم بسبب الحكم السوفياتي الشيوعي، وهم يحتاجون إلى التوعية والإرشاد.



مع مديرة شؤون القوميات بالنيابة في مكتبها في كتشنيف

وحكومة أذربيجان لم تتمكن من مساعدتهم بسبب ظروفها الاقتصادية وما تعانيه بسبب الاعتداءات الأرمينية، والمسلمون يدرسون موضوع استعادة المساجد السابقة إذ كانت في كيشينيف ثلاثة مساجد دمرت خلال الحرب العالمية الثانية، وإن الاهتمام قائم بالبحث عن الوثائق والمستندات المتعلقة بتلك المساجد.

ثم تكلم الأستاذ البربابايف ممثل التتار مضيفاً بأنه قد تم تأسيس جمعية إسلامية باسم جمعية السلام الثقافية، وإن من أهداف الجمعية

الإسلامية هو إقامة أماكن للعبادة، وهي مخولة رسمياً لإقامة مسجد في كيشينيف، وإن إيجاد المسجد وعقد الندوات والمحاضرات يساعد على توعية المسلمين ورفع مستواهم الثقافي ومساعدتهم على حل مشكلاتهم.



في مقر مبنى لجنة القوميات في كتشنيف مع بعض ممثلي المسلمين

وفي ختام هذا الاجتماع تكلمت رداً على كلامهم، فذكرت شكر وفد الرابطة للقاء نائبة رئيس مجلس القوميات، وعلى معلوماتها وصراحتها، وذكرت أن المسجد هو منبر من منابر الثقافة والحضارة، وأن بناءه يحتاج إلى تضافر جهود الإخوة المسلمين جميعهم، ورابطة العالم الإسلامي، وهي منظمة شعبية عالمية، تهتم بدعم العلاقات الثقافية الإسلامية، ولا تتدخل بالشؤون السياسية أو الداخلية، وتقوم بمساعدة الجمعيات الإسلامية المعترف

بها رسمياً لأعمالها الثقافية والاجتماعية.

مسجد الكلية الطبية:

لم ننته من إدارة القوميات التي كان الكلام فيها كثيراً متشعباً إلا في السادسة عصراً، ولم نكن تغدينا، فأسرعنا إلى مطعم الفندق حيث تناولنا فيه غداء جيداً بـ٥٢ دولاراً لنا نحن الثلاثة، وبعد راحة قصيرة في الفندق توجهنا في السابعة والنصف على سيارة أحد الطلاب العرب إلى مسجد الكلية الطبية، ويسمونه المسجد الصغير، وذلك بالنسبة إلى مسجد الغرباء الذي صلينا فيه الجمعة، ويقع في مبنى سكن طلاب الجامعة.

وجدنا مساكن الطلبة في مبنيين كبيرين (عمارتين) أحدهما مخصص لإسكان الطلبة وحدهم ليس معهم غيرهم، وذلك لكثرتهم، والثاني لهم ولغيرهم، وكان المبنى فيه مسجد صار يأتي إليه طلاب من الروس والمواطنين من غير المسلمين من أجل سماع الدروس عن الإسلام فأغلقته الكلية، وذلك لأنهم على نظام الاتحاد السوفيتي السابق المستوحى من النظام الشيوعي لا يسمحون بفتح مكان للعبادة، وإنما كان الطلبة يستأجرون غرفاً أو شققاً يقولون: إنهم يستعملونها للاجتماعات، ويصلون فيها، فتسير فيها الأمور إذا لم تحدث مشكلات توجب تدخل الحكومة.

وقد استأجر الطلبة العرب المسلمون شقة في المبنى الثاني اتخذوها مسجداً، وصاروا يؤدون فيها الصلاة، ويعقدون الاجتماعات الدينية من دون أن يعترض أحد، وذكروا أن مدير إسكان الطلاب يعيش في شقة مجاورة للمسجد، عرف بذلك أنهم ليسوا من مثيري المشكلات، فاجتماعاتهم ليس فيها خمر ولا صخب ولا أشياء مخلة بالنظام، وذكروا أنهم يدفعون إليه شيئاً قليلاً من المال في المناسبات، فيغض الطرف عنهم.

والمسجد كما قلت هو شقة من غرفتين، وفيه حمام للوضوء نظيف ومعتنى به، وقد استأجره الإخوة الطلبة بألف دولار في السنة، وهو رخيص، ولكن الكلية، وبعضهم يسميها الجامعة، لا تستقصي معهم.

ومبنى مساكن الطلبة نظيف ومرتب، وعليه إمارات العناية بالترميم ونحوه، وليس كمباني إسكان الطلبة في أوكرانيا التي قدمنا منها، تلك سيئة الوضع، فهي مهملة بلا ترميم، ولا عناية حتى بمصابيح الدرج والممرات، فهي مظلمة خالية من الإضاءة.

والمسجد نفسه نظيف جداً، ومفروش بسجاد ثمين، ذكروا أن شخصاً من أهل الخير تبرع به، وفيه مكتبة فيها خزانتان، فيهما كتب وأشرطة تسجيلات إسلامية.

أذن أحد الطلبة لصلاة المغرب بعد وصولنا، وذلك داخل المسجد دون مكبر، ثم صليت بهم صلاة المغرب حسب طلبهم، وبعدها جمعت ورفيقاي في الغرفة العشاء مع المغرب لكوننا مسافرين.

الدرس القرآني:

كونوا في المسجد بعد الصلاة حلقة لتلاوة القرآن الكريم، وبأيديهم المصاحف المطبوعة في مجمع الملك فهد في المدينة المنورة، وصاروا يتلون القرآن الكريم بالتناوب، بحيث قرأ واحد منهم أول سورة النور، وعند انتهائه قرأ الذي بجانبه من حيث انتهى، ثم الذي بجانبه، وهكذا، وعددهم ٢٨، وقرأنا معهم، وكانوا يصححون غلط من كان يغلط في التلاوة.

وبعد الفراغ تكلم عدد منهم على عدد من الآيات، فأتوا بشيء طيب يساعد الطلاب على فهم الآيات القرآنية، وهذه طريقة ممتازة ينبغي أن تتخذ

في تدارس القرآن الكريم وتقريبه لقلوب أبناء المسلمين.

ثم ألقيت فيهم كلمة أشبه بدرس بناء على طلبهم، ذكرتهم بفضل تدارس القرآن الكريم وحلق الذكر، وقلت لهم: إنكم في نعمة من الله عظيمة، وهي نعمة الإيمان التي لا تشترى بالمال، ولا يحصل عليها بالتمني، وهي نعمة لو كانت كذلك لاشتراها بعض الأثرياء من غير المؤمنين بكل ما تملكه أيديهم، ذلك بأن المؤمن كما جاء في الحديث: (إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)، وقلت لهم: إن هذا العصر هو عصر الإيمان، فقد تجلت أشياء من أعلام النبوة، ومن الدلائل على صدق ما قاله الله ورسوله ﷺ لم تكن متجلية من قبل، ومن ذلك أشياء تتعلق بعلوم الفلك والمجرات، وضربت لهم مثلاً على ما جاء في الحديث بحديث رواه الحاكم في مستدركه، وهو أن الدجال إذا خرج صاح صيحة بالمشرق يسمعها من في المغرب، وصاح صيحة في المغرب يسمعها من في المشرق، وقلت: إن هذا لا يمكن فهمه في الأزمنة القديمة، وقد أصبح الآن مفهوماً لوجود التلفاز والهاتف الدولي، إلى أشياء أخرى تذاكرنا فيها معهم.

وقد استمر الدرس والمذاكرة معهم حتى حضرت صلاة العشاء، فصلوها دوننا لأننا كنا جمعناها مع المغرب ظناً منا أننا نخرج من عندهم قبل العشاء، وكان عددهم ٣٤ مصلياً، كلهم من العرب فيهم سوريون، وفلسطينيون، وثلاثة من السودان.

وذكروا أن النفقات التي ينفقونها على المسجد تبلغ في المعدل ١٥٠ دولاراً في الشهر.

ثم عدنا للفندق في العاشرة والنصف.

يوم السبت ١٢/١٢/ ١٤١٧هـ الموافق ١٩/٤/١٩٩٧م

اجتمع وفد الرابطة إلى الأستاذ البركومانوفيتش بابايف رئيس جمعية السلام الثقافية، ورئيس المركز الثقافي التتاري في كيشينيف الذي تحدث عن التاريخ الإسلامي لمولدوفا قائلاً: قدم التتار قبل المولدوف في القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت لهم قرى ومدن ومساجد ومدارس، وقد وصل انتشارهم لأكثر من ٧٠٪ من أراضى مولدوفا، ثم قدم المولداف إليها في عام ١٣٦٢م ، لكن حافظ المسلمون على هويتهم الإسلامية، حتى إذا كان الحكم العثماني ازدهرت حضارتهم وثقافتهم، وكانت لهم مساجد ومدارس إسلامية، ولكن بعد زوال الحكم العثماني تعرض المسلمون لهجوم الروس والرومان، واضطر المسلمون إلى الهجرة أو إخفاء إسلامهم، كما قامت السلطات الروسية والرومانية بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية، وعلى ذلك فهناك أسر مولدافية من أصول تتارية مثل تيلمان وكرمان وبونزاتوف، كما لا تزال هناك مدن وقرى تحمل أسماء تركية مثل: بندري- قيناري- كوشن- قازاقلى- بايقالي - رمضان. كما أن هناك آثار مدينة إسلامية قديمة كانت تعرف باسم (شهري جديد) تقع في ولاية أستريا أرخه ASTRIA ORHE بالقرب من كيشينيف.

ثم أضاف بأن المسلمين التتار وغيرهم من القوميات الأخرى لا يعرفون شيئاً عن دينهم، فهم يحتاجون إلى التوعية والتعليم الإسلامي، وإنهم محتاجون إلى بناء مسجد أو مركز ثقافي إسلامي يقبل المسلمون إليه لأداء صلاتهم، وعقد اجتماعاتهم وندواتهم الثقافية، وحلقات التعليم، وقراءة القرآن الكريم، وإن المسلمين يتطلعون لإرسال أبنائهم لدراسة العلوم الإسلامية في الأراضي المقدسة، والمسلمون أكثر فقراً، فهم لا يعملون لأن أكثر المصانع والمؤسسات متوقفة بسبب الظروف الاقتصادية، وفي الوقت

الذي يجد النصارى واليهود مساعدات من كنائسهم وهيئاتهم، فالمسلمون لا يجدون من يعينهم.



في الفندق في كتشنيف مع الإخوة البربابابيف (على يسار المؤلف)، وعبد الرحيم الجعبري، وأحمد الشنطي

ثم ختم كلامه عن جمعية السلام الثقافية التي تأسست عام ١٩٩٥ وتضم في عضويتها ممثلي القوميات الإسلامية، مثل الأوزبك، والتتار، والآذار، والداغستانيين، وتهدف لمساعدة المسلمين ثقافياً ومعنوياً ومادياً، وإنشاء مسجد في كتشنيف.

وقد أجبته بالشكر على ما قدمه من معلومات وتوضيح عن المسلمين، ونصحته بتوثيق التعاون مع المسلمين، والاهتمام بمشروع بناء المسجد، وأخبرته

بأن رابطة العالم الإسلامي يمكن أن تسهم معهم في التكاليف إذا تم لهم شراء الأرض، واستخراج الترخيص اللازم، والشروع في أساس المسجد، وإرسال ما يثبت ذلك إلى الرابطة. وأما المنح الدراسية، فيمكن إرسال صور وثائق الطلاب لدراسة الطلب، وإجراء ما ينبغي نحوه.

عطلة غير مقصودة:

عرفنا أننا سنضطر إلى السفر إلى إسطنبول من أجل أن نسافر إلى أرمينيا، لأنهم أخبرونا أنه لا يوجد طيران إلى أرمينيا الآن في الموعد المناسب لنا، ولا لطشقند، ولا يوجد طيران مناسب إلا إلى إسطنبول يوم الإثنين، فحجزنا إلى إسطنبول، وبعدها إلى (يريفان) عاصمة أرمينيا يوم الثلاثاء.

ولذلك جعلنا برنامجنا في (مولدافا) هذه مريحاً لأنه لا توجد جمعية، ولا يوجد مسجد في خارج العاصمة كيشينوف، ما عدا مركزاً فيه مصلى في مدينة (تيراس بول) التي مررنا بها في أول وصولنا إلى (مولدافا)، وهو في مساكن الطلبة مثل مسجد كلية الطب.

تمشية في الأسواق:

يقع فندقنا (فندق كيشينوف) في سرة المدينة، ولذا يسمونه (السنترو) على ميدان الأمم المتحدة الذي ينطلق منه شارع مهم يسمونه شارع جلمارس، وبجانبه أسواق عديدة، تجولنا اليوم قبل الظهر على أقدامنا فيها.

ومن الطريف أن (الترمواي) لا يزال يجري في هذه المدينة كما هو يجري في أكثر المدن الشيوعية السابقة، مع أنه ألغي من معظم المدن العالمية، ومنها القاهرة التي اشتهر فيها بـ (الترمواي) وعرفناه فيها، وإلى جانبه (الترويلي) الذي لا يزال موجوداً في مصر، وفي كثير من البلدان الأوروبية،

وهو حافلة تسير على عجلات من المطاط كعجلات السيارة بقوة كهربائية حيث تربطها بتيار كهربائي أسلاك ممددة في جواء الشوارع.



المؤلف يطل على ميدان الأمم المتحدة في كيتشنيف من شرفة الفندق

ورأيت وسائل المواصلات هذه عندهم ليست مزدحمة مع أنها رخيصة، بخلاف سيارات الأجرة المعتادة، فهي غالية مع أنها موجودة ومتوفرة.

وكان مما ساعدنا على التجول أن الجو اليوم مشمس، والهواء ليس شديد البرودة.

وهذه الأماكن التي رأيناها مزدحمة بالناس ربما لا توجد منطقة يزدحمون فيها في هذه المدينة مثل ازدحامهم فيها، وهم من جميع الأعمار ما عدا الأطفال فأعدادهم قليلة، مع أن اليوم هو السبت الذي يفترض أن يكون

يوم عطلة للمدارس.



أحد شوارع كتشنيف

وعرفت بعد ذلك أن الأطفال هم قلة عندهم بالنسبة إلى عدد السكان، وأن المواليد عندهم أقل من الوفيات، ويرجع ذلك إلى أمور عديدة، منها ما يتعلق بالمال والاقتصاد، مع عدم الإيمان والاحتساب، ومنها ما يتعلق بالمساكن ومصاريف الدراسة، وعدم رجاء النفع من الأولاد، وهذه أمور أثرت على الناس في البلدان الأوروبية حتى التي لا تعاني من مشكلات مستعصية في الاقتصاد.

وربما كان الأطفال في هذه المدينة الآن في المدارس ودور الحضانة، أو يقضون إجازة الأسبوع في الأماكن التي حددتها لهم.

أما الشعب هنا من واقع مشاهدته على طبيعته، وبكثرة كاثرة، فإنه يبدو رومانياً، نسبة إلى سكان جمهورية رومانيا المجاورة، فهو أقل جمالاً ووجاهة من الشعوب السلافية؛ وبخاصة الجنوبية منها، ويتضح هذا في تقاسيم الوجوه وأشكال الأنوف، ويمكن القول بأنه شعب أوروبي لا يستحق أن يوصف بالجمال.



شارع جلماس في كتشنيف

ويضاف إلى ذلك أنه في ظل الأوضاع الاقتصادية السيئة بعيد عن الرفاهية، وما تسببه من نضارة في الوجوه، ومظهر جذاب في الأبدان.

مع أن المرء لا يعدم أن يرى وجهاً جميلاً، ولكن على قلة قليلة، وهذا طبيعي.

وكلهم يلبس ملابس الشتاء الثقيلة، لأن الجو بارد رغم أننا في شهر أبريل كما قدمت.

ويكثر الباعة الواقفون في هذه الأسواق، يعرضون بضائع تافهة، وبخاصة من النساء حيث ترى امرأة ليس معها إلا فوطة واحدة واقفة منذ وقت، وربما طال الوقت عليها أيضاً قبل أن تبيعها، ومثل أن ترى أخرى معها قطعة من الملابس الداخلية، وهكذا.

ورأيت واحدة جالسة معها نحو الكيلو جرام من حب دوار الشمس تبيعه قليلاً قليلاً، لأنهم لا يقوون في العادة على شراء الكثير منه.

وهناك باعة الفاكهة المستوردة من البرتقال والموز، وهم موجودون ويشتري الناس منهم دون أن يكثروا.

ونزلنا في درج ينزل من رصيف الشارع إلى حيث يوجد ممر تحت الأرض وهو واسع ينزل إليه من لا يريد أن يتعرض للسيارات، وعليه المحلات التجارية مثل التي تكون في محطات القطارات التي تكون تحت الأرض في البلدان الغربية.

وأكثر ما رأيته في هذه المحلات التجارية الخمور والأدوية والأدوات الكهربائية الصغيرة، وأكثرها مستورد.

وليس في المدينة قطار للأنفاق (مترو)، ولا غيره من المواصلات تحت الأرض.

ومظهر الشوارع في الميادين لا بأس به من حيث العناية والنظافة بالنسبة إلى البلدان التي كانت داخلة في الاتحاد السوفيتي المنحل.



المؤلف في أسواق كتشنيف

حديث عن الوطن الضائع:

هذه البلاد كانت للمسلمين إبان حكم التتار في القرن الثاني عشر حتى الرابع عشر، ثم حكمها المسلمون العثمانيون بعد ذلك، وقد ضاعت، ولكن كيف كان ضياعها؟.

فيما يتعلق بضياعها من التتار قدمنا في الدراسة شيئاً من ذلك مجملاً، وبحثنا تفاصيل بعض النقاط المهمة عندنا مع الأخ المسلم المتحمس (البربابابييف) أي ابن بابا، وهو رئيس الجمعية التتارية في هذه البلاد، فكان من بين ما قاله وسمعناه منه اليوم عندما عقدنا اجتماعاً مطولاً معه في

الفندق:

في القرن الرابع عشر كانت المدن في هذه البلاد تترية، فكان ٧٠٪ من الممتلكات فيها للتتار، وكانت فيها على الأقل عشر مدن معروفة، وكانت عاصمة التتار (شاخرى أركيه)، وفيها بقايا مسجد كبير يتسع لآلاف المصلين.

أقول: زرنا هذه المدينة، وسوف نتحدث عنها فيما بعد، وأصل اسمها عربي شاخرى هي (شهر) العربية، وأركيه: جديد بلغتهم.

قال: ولا تزال أسماء الأفراد والأسر من التتار أسماء إسلامية مثل (قراماني) وسليمان وبركة وعبد الله، وهم غير مسلمين الآن، بل أصبحوا (مولدافيين)!.

وهناك أسرة اسمها: (بيتي زاتو)، ومعناه: العمم، أي ذو العمامة، وفي عام ١٦٥٠ كان أحد المسئولين الكبار اسمه: خانتمير أصلها تيمور خان، وهو من أسرة مسلمة، وإن لم يكن مسلماً.

قال: وقرى تتارية كاملة أجبروهم في الدخول في النصرانية، وبدؤوا ذلك بأن عمدوهم وأعطوهم اسماً بالتتارية معناه: (المعمدون) بمعنى المنصرين.

وذكر أن أهم ما يلزم للمسؤولين هنا هو بناء مركز إسلامي، تكون فيه مكتبة ومرجع للباحثين عن المعرفة بالدين الإسلامي الحنيف.

ومن أهم ذلك الاتصال بالمنصرين أولئك، ومحاولة إعادتهم إلى الإسلام، وذكر أن عدد المسلمين في الجمهورية كلها ١٥ ألف مسلم، وفي العاصمة وحدها خمسة آلاف، وأغلبهم من التتار.

وتحدث عن وجوب تقديم منح لأبناء المسلمين من التتار أهل البلاد حتى

يساعدوا على ذلك.

ثم عاد إلى الحديث عن أسماء المدن التي كانت تتارية مسلمة في هذه البلاد، وهي كافياري، كوشاني، مشيمشلي، كان أكليه، بايملكليا، باساربيا، أي (باني سراي) بمعنى القصر الغني، وقرية رمزان، وهي رمضان على بعد ١٥٠ كيلو متراً إلى الشمال من العاصمة فيها بقايا مسجد، وجميع المساجد القديمة إما محطمة أو محيت آثارها، وليس بقربها مسلمون الآن.

وذكر أنه يستحيل استعادة المساجد القديمة، وأن الحكومة ليس من عادتها أن تعطي أرضاً لمثل بناء المسجد، لذلك لا بد من شراء أرض له، والمسلمون لا يستطيعون ذلك الآن لضعف الاقتصاد، وقلة المال عندهم مثل غيرهم من أبناء الشعب، مع أن المسلمين لديهم شهادات دراسية ومهارات جيدة.

سهرة الغرباء:

قال الإخوة الطلبة أهل الجمعية الإسلامية: إن اليوم السبت، وعادتنا أن نحيي ليلة هذا اليوم بسمر مفيد للطلاب الغرض منه الإفادة الدينية، ولكن تتخلله فقرات خفيفة من التمثيلات ونحوها. قالوا: وسيكون ذلك في مسجد الغرباء، فاعتذرت لهم بأنني قد اجتمعت بهم، وتكلمت فيهم من قبل، فقالوا: لقد أخبرناهم بأنك ستحضر، ومن الصعب علينا إذا لم تحضر.

وصلنا مع أذان المغرب، فأذن الأخ محمد بن حمد العلاوي من الطلبة السوريين أذاناً فصيحاً شجياً له وقع عجيب في نفس المسلم الذي يأتي إلى هذه البلاد، فيكون فيها كالطلبة العرب الذين سموا نفسهم الغرباء، ذلك بأن الأمر فيها كما قال الشاعر، وأظنه المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

ثم صلى بنا الأخ رأفت الشنطي، فقرأ في الركعة الأولى آيات من سورة النور، ثم قرأ في الركعة الثانية آخر سورة الحشر.

وبعد أداء السنة الراتبة بدؤوا مهرجانهم بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم فسرها أحد الطلبة مركزاً على تفسير معاني الكلمات، لأن القوم عرب.

ثم طلبوا كلمتي فقلت لهم إنني سوف أقص عليكم قصة قرأتها في كتاب مطالع البدور في منازل السرور؛ لأنها شيقة، وفيها موعظة، وتستطيعون أن تستخلصوا الموعظة منها من دون شرح.

ثم قصصتها عليهم، فقلت:

ذكر الراوي أنه كان مع ثلاثة من أصدقائه في بيت أحد المصريين من أهل قفط في صعيد مصر، وأنه لاحظ أن للرجل ثلاثة أبناء يغلب عليهم البياض، مع أنه أسمر، فقال الرجل: أريد أن أخبركم بشيء يزيل استغرابكم الذي لم تذكروه لي، وهو أنني كنت مزارعاً في قفط، فلم أزرع كتاناً في سنة من السنين، وقد غلا الكتان، فربح الذين زرعوه ربحاً عظيماً، فأقسمت أن أزرع أرضي كلها كتاناً في العام القادم، وقد فعلت، إلا أنه تبين أن أناساً كثيرين مثلي زرعوا أراضيهم كلها كتاناً، عندها رخص الكتان؛ بل صار لا يشترى، فاشتريت بكل ما أملك من مال كتاناً ضممته إلى ما أنتجته مزرعتي، ورحلت إلى مصر - يريد القاهرة - لأبيعه فيها، فلم أجد مشترياً له، فقيل لي: إن الإفرنج - يقصد الصليبيين الذين كانوا يحتلون فلسطين آنذاك - يأتون إلى دمياط، وهم الذين كانوا يشترون الكتان، لأنهم يرسلونه إلى بلادهم الأوروبية الباردة. قال: فذهبت إلى

دمياط، ولكن سوق الكتان فيها كانت كاسدة، فذهبت إلى مدينة عكا في فلسطين، وفتحت حانوتاً فيها كنت أبيع فيه من هذا الكتان، ثم صرت أبيع وأشتري في غيره حتى راجت تجارتي.

قال: وعكا: تحت حكم الإفرنج، وفي يوم من الأيام جاءت إلى حانوتي عجوز من الإفرنج، ومعها فتاة جميلة ما أن رأيتها حتى تعلق قلبي بها، وقد أحببتها من أول نظرة.

وقد اشترت هي والعجوز التي معها مني بضاعة لو سألتني أن أعطيها لها من دون ثمن فعلت.

قال: وعندما ذهبت عني ذهب عقلي معها، وصرت لا أستطيع الانفكاك من التفكير فيها حتى خشيت على عقلي.

وبعد يومين أو ثلاثة مرت العجوز في السوق، فناديتها وسألتها عن الجارية - يريد الفتاة - وطلبت منها أن تحضرها إليّ بأي ثمن، فقالت: سوف أراها وأعود إليك غداً فأخبرك.

قال: بعد يوم جاءت إلي وقالت: إن الفتاة قد وافقت على أن تأتي إليك غداً ليلة واحدة تبدأ من بعد المغرب، وتنتهي قبيل طلوع الشمس على أن تعطيها ٢٠ ديناراً - والدينار من الذهب كما هو معروف - قال: ففرحت، ووافقت وأنا أشعر أنها لو طلبت أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة لبذلته لها، لما لحقني من حبها.

وجاءت العجوز بالفتاة إليه بعد المغرب، قال: وكنت استأجرت غرفة وسطحاً فوق حانوتي - دكاني - فاشتريت كل ما أراه لازماً للقاء حبيبتي من طعام وشراب وفاكهة وورد، وعندما خلوت بها في السطح، وفرغنا من الأكل والشرب، أرادت النوم، وأنا نشوان بحبها والسرور بوجودها عندي،

وإذا بي أنظر إلى السماء وكانت صاحية، والنجوم كأنها تراقبني، فخيِّل إلي أنها ستشهد عليَّ أمام الله تعالى إذا فعلت فاحشة، أو أتيت محرماً مع هذه الفتاة.

قال: وكلما مددت يدي إليها ذكرت الحساب والعقاب يوم القيامة، فغلبتني الخشية من الله تعالى، فتركتها تنام دون أن امسها، وفي الصباح أعطيتها عشرين الدينار التي اتفقت مع العجوز على أن تكون لها، من دون أن أمسها.

قال: وعندما فارقتني كاد يطير صوابي، وجاء الشيطان يقول لي: يا مغفل، يا قليل الحظ، كيف تكون حبيبتك بين يديك وتضيعها؟.

قال: ولحقني من حبها والشوق إليها ما لم أذكر أنني جربت مثله في حياتي.

وبعد يومين جاءت العجوز، وقالت: إن الفتاة غاضبة منك لكونها أتت إليك ولم تلمسها، وكأنك تجاهلت وجودها.

فقلت لها: لتأت إليَّ هذه المرة، ولن يتكرر ذلك، فقالت: لا بد من مشاورتها، ثم عادت إليَّ قائلة: وافقت على شرط أن تعطيها (٣٠) ديناراً، قال: ففرحت بذلك ووافقت.

قال: فجاءت إليَّ على الموعد، ولكن غشيني من خوفي من ربي، والخشية من عقابه ما لم أستطع أن أمد يدي إليها، أو أن أمسها، وتركتها وحدها.

وفي الصباح أعطيتها الدنانير الثلاثين فذهبت بها. ولكنني ركبني من الأسف على تركي إياها، ومن الشوق إليها ما لا أستطيع وصفه.

وصرت أتوقع أن تجيء العجوز أو الفتاة إليّ، فلم تجئ واحدة منهما.

وطال عليَّ الأمر، وتكدر عيشي.

وبعد مدة سمعت منادياً من الإفرنج يقول: يا معشر من في بلادنا من المسلمين، إن العهد الذي بيننا وبين سلطانكم صلاح الدين ينتهي بعد شهرين، فيجب على كل منكم أن يخرج من بلادنا، وإلا فإننا في حل مما يلحقه في دمه وماله، بمعنى أنهم ليسوا مسؤولين عن حمايته.

قال: فبعت بضاعتي، وجعلتها ذهباً، ثم خرجت من مدينة عكا إلى دمشق حيث حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي.

وصرت أبيع وأشتري في الجواري الروميات، أو قال: الإفرنجيات، عسى أن أجد واحدة منهن تنسيني ذكرى صاحبتي، ولكنني لم أستطع أن أنساها أو أسلاها.

قال: وحدث أن سمعت منادياً ينادي من قبل السلطان في شوارع دمشق قائلاً: يا معشر المسلمين، إن سلطانكم السلطان صلاح الدين يناشدكم الله أن من عنده فضلاً من مال أن يقرضه إلى بيت مال المسلمين من أجل أن يجهز به السلطان جيش المسلمين، ويأخذ على ذلك ورقة من المسؤول عن بيت المال ليعيد إليه ماله بعد ذلك.

قال: وكان لديَّ فضل مالٍ اكتسبته، فأعطيت صاحب بيت المال مائة دينار قرضاً أخذت بطاقة منه بأنني قد سلمته إليه.

وتبين أن صلاح الدين كان يجهز جيش المسلمين ليغزو الإفرنج بعد انتهاء الصلح التي بينهم وبين المسلمين.

قال: وغزا صلاح الدين الإفرنج - يعني الصليبيين - بالفعل، وخرجت

مع من خرج في الجيش لا للقتال، وإنما للتجارة، فكنا في آخر المعسكر.

قال: ووقعت معركة حطين، ونصر الله المسلمين بقيادة صلاح الدين، فغنموا من الإفرنج غنائم كثيرة، فذهبت إلى صاحب بيت المال، وكان مكانه بعيداً عني، ومعي البطاقة التي تثبت أنني أقرضت بيت مال المسلمين مائة دينار، فلما رآها قال: لقد تأخرت قليلاً، وليس لديَّ الآن إلا ثمانون ديناراً، يمكنك أن تأخذها، وتعود بعد يومين لتأخذ العشرين ديناراً الباقية.

قال: فقلت له: إنني أتيت إليك من خيمتي في مكان بعيد، فكيف تجعلني آتي منها ثانية من أجل ٢٠ ديناراً؟ إن هذا يشق عليّ.

فقال: إذاً انظر في هذا المعسكر، ففيه الجواري اللائي سباهن الجيش من الإفرنج، اختر واحدة منهن بعشرين ديناراً، حتى تكون استوفيت حقك من بيت المال.

ثم أرسل معي أحد رجاله إلى المسؤول عن المعسكر، فلما صرت أتأمل الجواري، وإذا بصاحبتي بينهن، فلم أصدق عيني، وإنما قلت من دون تفكير للمسؤولين: حتى هذه، وأشرت إلى حبيبتي، أستطيع أن آخذها بعشرين ديناراً؟

فقال المسؤول: ولم تسأل؟ هذه مثل غيرها، تستطيع أن تأخذها بما بقي لك عند بيت المال.

قال: فأخذت الجارية التي هي فتاة إفرنجية جميلة، وأنا لا أكاد أصدق، وذهبت بها إلى خيمتي، فقدمت لها الطعام والشراب والفراش الناعم، وصرت أخدمها بنفسي مع أنني من الجيش المنتصر، وهي من الجيش المهزوم، فتعجبت من ذلك، ولم تكن عرفتني بسبب حالتها النفسية، وبسبب تغير لوني من الشمس والغبار.

فأخبرتها أنني أنا صاحبها الذي رأته في حانوته - دكانه - في عكا، وأنني لا أزال أكن لها الحب العظيم الخالص، وأنها سوف تكون عندي منعمة مكرمة.

قال: فاطمأنت نفسها، وهدأ ما بها من الخوف من الأسر، ومن أن تتناقلها الأيدي كما تتناقل الجواري.

قال: وبقيت معها يومين وأنا لا أستطيع الاقتراب منها إلا بعد الاستبراء طبقاً لما يأمر به الشرع الشريف، وإذا بمنادي السلطان ينادي في معسكر المسلمين قائلاً:

يا أيها المسلمون، إن سلطانكم صلاح الدين قد أمر برد زوجات الأسرى الأمراء من الإفرنج إلى أزواجهن، فننشد الله أي مسلم عنده جارية أن يبرزها عند باب خيمته حتى تنظر إليها جماعة مكونة من الإفرنج والمسلمين تتعرف على زوجات الأمراء، وسوف يعوض بيت المال أي رجل تؤخذ منه جاريته بدفع ثمنها إليه.

قال: فامتثلت للأمر مثل غيري، ووقفتُ بالجارية عند باب خيمتي، وإذ بالجماعة من الإفرنج يقولون عندما رأوا حبيبتي: إن هذه زوجة الأمير فلان، وأسرعوا مع المسلمين يريدون أخذها مني وإعادتها للإفرنجي.

قال: فلما سمعت ذلك منهم أصابني أمر عظيم، وصرت أنتحب وأضع التراب على رأسي.

فلما رأت الجارية - الفتاة - ما حلّ بي، وكانت أنست بي؛ بل ألِفتْني، قالت لهم: إنني لا أريد الرجوع إلى زوجي الإفرنجي، وأريد أن أبقى مع هذا المسلم.

فقال المسلمون: لا يمكن ذلك، لأنه خلاف أمر السلطان صلاح الدين، بل يجب أن تذهبي معي.

فقالت: أنا لا أريد ذلك، ولا أريد إلا البقاء مع هذا الرجل، فكيف يمكنني ذلك؟ فقالوا: يمكنك ذلك بأن تسلمي، وتعلني إسلامك، وعندئذ تحرمي على الإفرنجي.

قالت: فماذا أفعل لكي أكون مسلمة؟

قالوا: تشهدين ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله

قالت: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فقال المسلمون للإفرنج: لا تمكن إعادتها لزوجها النصراني الآن.

ثم قالت لهم: إنني لا أعرف مكان خيمتي، فأرجو أن ترسلوا معي من يدلني عليها لآخذ بعض شيء خاص لي فيها، فأرسلوا معها أحد المسؤولين.

قال: فأحضرت لفافة من الثياب هي كل ما حملته معها إلى ميدان المعركة، وأخرجت منها صرة من الدنانير أعطتني إياها، وإذا بها عشرون ديناراً التي أعطيتها إياها من أجل أن تبيت عندي لم تفتحها ولم تتصرف بها، ثم أخرجت صرة أخرى كذلك فيها الثلاثون ديناراً التي أعطيتها إياها في المرة الثانية، وقالت: خذ هذه الدنانير لبعض شأنك!!!.

قال: فأخذتها وذهبت بها إلى دمشق، وأعتقتها وتزوجت بها بعد أن انقضت عدتها، وهؤلاء الأبناء الذين يخدمونكم ويقدمون الطعام لكم هم أبنائي منها.

انتهت القصة.

وقلت لهم: إن هذه القصة تجسد ما جاء في الأثر: (من ترك شيئاً لله

عوضه الله خيراً منه...)، ثم أوصيتهم بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلانية.

نشيد الإسلام:

أخذ رئيس الجمعية الإسلامية الأخ عبد الرحيم الجعبري الطبلة، وصار يضرب عليها بيده إيقاعاً فنياً، وينشد نشيد الإسلام، فيردده بعده خمسة من المنشدين.

كان إيقاعه محكماً، وأداء النشيد جيداً، وكانت معانيه مؤثرة، وبخاصة في هذه البلاد، وقد امتلأ المسجد بالطلاب الحاضرين، تكوموا فيه تكوماً من دون صفوف لكثرتهم.

ثم أتبعوه أيضاً بنشيد آخر، وكله على الدف أو الطبلة يضربها رئيس الجمعية ويقود فرقة المنشدين.

ثم أعلنوا عن فرقة المسرح، وهي فرقة التمثيل من بين الطلاب، ولم يكونوا يمثلون على مسرح مرفوع عن الأرض؛ لأنهم كانوا في مؤخرة المسجد، والمسجد ضيق ومليء بالجالسين، وقد طربوا للتمثيل الذي هو باللغة العربية رغم كونه بدائياً، ولم تكتمل فيه الأدوات اللازمة.

نشيد الغرباء:

أنشدوا بعد ذلك نشيد الغرباء، وهو نشيد شجي لأنه يحكي حالهم كلهم، وأكثرهم اجتمع عندهم ضيق ذات اليد مع الغربة، ولكن روحهم المعنوية مرتفعة.

وقد أنصتنا معهم جيداً، وتقول كلماته:

غرباء

غرباء...غرباء ...غرباء... ولغير الله لا نحني الجباه

غرباء...وارتضيناها شعاراً في الحياة

إن تسلْ عنّا فإنّا لا نبالي بالطغاة

نحن جندُ الله... دوماً.. دربنا درب الأُباة

غرباءُ... ونحن سرُّ الوجود ونسيمُ الشذى وأهلُ البنود

غرباءُ... وليس بِدْعاً ...فهذا قدرُ العُرْبِ في بلادِ العبيد

غرباءُ.. والكونُ يهتزُ شوقاً لروآنا في كلِ فجرٍ جَديد

نحن قومٌ إذا أنشدوا نشيداً يملأُ الزهوُ مقفراتِ البيد

إسلام رجلين :

كان من بين فقرات المهرجان إسلام أحد الإخوة المسلمين الجدد ، وكانوا رتبوا أن يعلن إسلامه في هذا اليوم قبل معرفتهم لمجيئنا ، وذلك لكي يعرف المسلمون أنه صار أخاً لهم، ولكي يحصلوا له على شيء قليل من التبرعات التي قد يستطيعونها على قلتها عندهم وتقديمها إليه ، وهو طالب معهم في الجامعة اهتدى على يد أحد الإخوة المسلمين.

وقد نطق بالشهادتين أمامنا ، وسمى نفسه أحمد ، وتكلم بالروسية فذكر أنه اختار الإسلام عن اقتناع لأنه دين إنساني يوصل إلى الله.

هذا وقد جلس شخص آخر من أهل البلاد كان قد أسلم منذ شهر وسمى نفسه (حسن).

وقد قال كلاهما : إننا سوف نعمل على بناء المسجد في بلادنا هذه.

وقد دعوت حسن الذي ظهر لي أكثر فهماً للإسلام من الأخ أحمد، وربما كان ذلك لكونه أقدم في الإسلام منه، دعوته إلى أداء العمرة على ضيافة رابطة العالم الإسلامي، وقلت له: إنه بمجرد أن يرغب في السفر إلى مكة عليه أن يكاتبنا بوساطة الجمعية الإسلامية هنا، وسنرسل له سمة الدخول في السفارة السعودية التي يريدها، وربما كانت إسطنبول أنسب مكان لذلك.

وقد كبر الإخوة الطلبة عندما سمعوا ذلك حتى ارتجت أركان المسجد بالتكبير.

فشكر ذلك، وابدى سروره به، وقال: أفضل أن يكون ذلك بعد تخرجي.

وقد سألت أحدهما عن سبب إسلامه، فذكر أن أول ما استرعى انتباهه معاملة الطلبة المسلمين بعضهم لبعض بالحفاوة والبشاشة حتى إن بعضهم كانوا يقبلون بعضاً عند اللقاء مما حمله على دراسة مبادئ الإسلام، ثم الاقتناع به.

هذا وقد وضعت في يد كل واحد منهما شيئاً من النقود يعتبر مجزياً عندهم، وإن كان قليلاً عندنا، وقد سر الإخوة في الجمعية الإسلامية بذلك.

كان المهرجان حفلاً بهيجاً مرحاً جمع بين الفائدة والبهجة في جو ديني عبق، واتضح من هذا أنهم وهم من الشباب يعرفون كيف يجذبون الشباب بالأشياء المباحة إلى سماع المواعظ الدينية، وقد ذكر الإخوة أن فتاة روسية طالبة في معهد الموسيقى دخلت في الإسلام فكلفوا بعض الأخوات العربيات اللاتي يفهمن الروسية بتفهيمها ما ينبغي عليها أن تتعلمه، ثم تزوجت من طالب عربي، والله أعلم بمقصدها من إسلامها.

هـذا وقـد عدنـا إلى الفنـدق متـأخرين، لأننـا صلينـا معـهم العشـاء متأخرين، إذ لم يكن هناك مصلون غيرهم قد يشق عليهم تأخير الصلاة.

ووجدنـا غرفنـا دافئـة بسـبب الدفايـات الكهربائيـة الـتي اشتريناهـا، فمنينـا أنفسنـا بنـوم؛ إلا أن الهـاتف رن في غرفـتي في منتصـف الليـل، وإذا بـه صوت نسائي يتكلم شيئاً من الإنجليزية بصعوبة، ثم عـاود ذلـك، فرفعـت السماعة حتى انقطع بعد وقت.

وعجبت مـن كـون إدارة الفنـدق لا تحمـي سـكانه مـن الإزعـاج بـهذا وأمثاله، فأخبروني أن الهواتف هنـا علـى النظـام السـوفيتي، وهـي أنه يمكـن الاتصال بهاتف الغرفة من خارج الفندق.

يوم الأحد: ١٣/ ١٢/ ١٤١٧هـ - ٢٠/ ٤/ ١٩٩٧م.

آثار مدينة إسلامية:

منـذ أن حللنـا في هـذه البـلاد ونحـن نسـمع عـن آثـار مـدن ومسـاجد فيـها دثرت وبارت، ومـن ذلـك مدينـة (شـاري أركيـه) الـتي معنـى اسمـها الشـهر الجديد، وهكذا كانت تسمى في القديم (شاخرى أركيه) فشاخرى شهر، وهي العربية محرفة، و(أركيه): جديد.

كان من بين من تعرفنا عليهم من المسلمين هنـا غير الطلبة أخونـا (نـور الدين زيواني) من الجزائر، كـان طالبـاً هنـا، وقبـل ذلـك في (أرمينيـا)، والآن صـاحب شركـة للسياحة والتصديـر اسمها: البركـة، وعندمـا علـم الأخ نـور الدين برغبتنا في الاطلاع على آثار المدينـة أحضـر لنـا امـرأة روسية متخصصـة بالآثـار وعالمة بآثـار هـذه المدينـة بـالذات، ومعـها موظـف روسـي آخـر مختـص بالآثـار، واسمها الدكتورة (تاتيانـا فيدرو فونـا رابـوي) أبوهـا روسـي، وأمـها

ملدوفية، وانطلقنا في الحادية عشرة من فندقنا في كينشينوف على حافلة صغيرة استأجرناها لهذا الغرض، وبلغ مجموع الذين ركبوا فيها معنا عشرة؛ إذ كان إخواننا من أهل الجمعية الإسلامية، وكذلك الأخ (البر بابييف) معنا.

ويبعد موقع مدينة (الشهر الجديد) ٥٨ كيلو متراً عن العاصمة.

ذكرت هذه الخبيرة الروسية في الآثار بأسف شديد رأيناه يهز كيانها بأن الناس كانوا في عهد الحكم السوفيتي يهتمون بالآثار وينقبون عنها ويدرسونها، والآن أوقفوها بسبب قلة المال، أو بسبب نفوذ اليهود في البلاد، هكذا صرحت بهذا تصريحاً، ونقل الأخ الجزائري كلامها لنا إلى العربية، ثم قالت بعد ذلك: الناس هنا لا يحبون الإسلام، لذلك لا يدرسون الآثار الإسلامية.

وذكرت أنها الفت كتاباً في الآثار الإسلامية في (مولدوفا) حصلت به على شهادة الدكتوراه، وحصرت دراستها في آثار مدينتين إسلاميتين إحداهما هذه، ولم أحفظ اسم المدينة الثانية، وذكرت أن هناك مدينة ثالثة فيها آثار إسلامية لم تدرس بعد.

سارت السيارة في ريف (مولدوفا) الذي بدت خضرته هنا بالانتشار، وإن كانت الأشجار فيه لا تزال عارية الأوراق، فقد وصلنا إلى بساتين من التفاح على يمين الطريق كلها لا تزال رمادية اللون، لم تستفق من سبات الشتاء الطويل، وعلى أيسر الطريق حقول قمح شتوي مخضر.

وتنتشر القرى الريفية على الطريق، وفيما يصل النظر إليه منه، أما أشجار الطريق وما حوله من أشجار الظل، فإن أوراقها بدأت بالظهور صفراء كأنما تطل منها على استحياء.

ووصلنا بلدة (كستي شيلي)، ولم نقف بها، وتبعد ٢٥ كيلو متراً عن

العاصمة (كتشنيف).

مدينة الشهر الجديد:



تذكارية مع الرفقة في موقع مدينة شاري أركيه الأثرية الإسلامية في مولدوفا والدكتورة تيتانا تتوسطهم

وصلنا إلى موقع مدينة (شاخراي أركيه) أو الشهر الجديد، فأوقفت الخبيرة الدكتورة تيتانا السيارة على الطريق، ونزلت ثم صرنا نتبعها إلى تلة تعصف بها ريح باردة لم أر لها مثيلاً في بردها ولا في موسكو، وقد رأيت القوم يستعدون لها بإحكام اللفافات على رقابهم، ومنهم الخبيرة الروسية ما عدا الشبان الذين كان لباسهم معتاداً لكونهم قضوا سنين عديدة في هذه

البلاد الباردة وتعودوا على بردها.

وقفت الدكتورة تيتانا على أرض محروثة، وهزت رأسها بأسى قائلة: إنهم يزرعون هذه الأرض الأثرية، وإنهم بذلك يضيعون آثارها، ويقضون على مواد تاريخية مهمة، إننا في زمن الاتحاد السوفيتي نمنع منعاً باتاً حتى دخول الحيوان إليها، فكيف بزراعتها؟

وقالت: الآن الناس يحرثونها ويأخذون الآثار ولا يمنعهم أحد.

كان من أهم ما بقى من هذه الآثار الإسلامية أصول حيطان المسجد الجامع، وهو كبير يتسع لستة آلاف مصل؛ لأن مساحته الظاهرة هي ٣ آلاف متر مربع، والبناء بالحجارة القوية، يضعون حصاة ومقابلها حصاة وبينهما قطع الحجارة، فعرض الجدار هو متر، وذكرت الخبيرة أن المسجد بني في منتصف القرن الرابع عشر.

ومحراب المسجد باق أساسه، وكذلك أصل المنارة، إلى جانب أساسات البيوت، وما ذكرت الخبيرة أنه محكمة، والسوق المقابل للجامع، وذكرت أشياء كثيرة.

وقد شاهدنا أساسات المنازل مبنية بالحجارة، وذكرت أنهم اعتادوا على أن يجعلوا أساس البيوت من الحجارة، والأبنية بالفخار كما يظهر من مصانع الفخار التي بقيت آثارها فيها، وبعض منازل العامة من الخشب.

ثم انطلقنا منحدرين إلى نهر (رايوت) المنخفض المجرى، وهو مجاور لموقع المدينة، وفيه حمام واسع لا تزال أكثر أبنيته باقية، يرفعون إليه مياه النهر بالناعورة.

وتقع على الضفة الأخرى مقابلة للحمام قرية اسمها (توي بوجيني)

حديثة العهد، لم تكن موجودة في العهد الإسلامي.



بقايا حيطان المسجد في بلدة شاري أركيه الأثرية في مولدوفا

وهناك آثار مقبرة وجد فيها حجر على أحد القبور مؤرخ في عام ٧٠٠هـ في شهر رجب.

وذكرت أن هذا التاريخ قبل خراب المدينة.

وذكرت أن سبب خرابها، أن (المالدوف) والروس هجموا على المدينة، وقتلوا أهلها أو اضطر أهلها للهرب، وتركوا المدينة، وقد وجدت فيها نقود ذهبية.

وأشارت الخبيرة إلى كنيسة في سفح جبل مطل على هذه المدينة وقالت:

نهبت آثارها وفرغت منها، وربما ضاعت، وتقع إلى جهة الغرب من المدينة، وقد أنشئت بعد خراب المدينة بزمن.

وقد ذكرت الخبيرة أشياء شائنة من أعمال الغزاة حيث قالت: إننا وجدنا هيكلاً عظمياً لطفل رضيع فيه سهم مما يدل على أنهم يقتلون الأطفال ولا يتورعون عن ذلك.



آثار من الحجارة المتخلفة عن المباني في مدينة ساري أركيه الأثرية الإسلامية في مولدوفا

وذكرت من الأشياء المدنية في المدينة آثار محل، أو قالت محلات لصياغة الذهب، وتدل حالتها على حالة الفزع التي أصابت سكان المدينة حتى هربوا منها؛ لأن بعض الأشياء المتعلقة بهذا العمل وجدت متروكة فيه،

وكذلك آثار مخيز كبير، والشيء الغريب الذي ذكرته ولكنني لم أستطع استساغته هو أن سكان المدينة لم يعيشوا فيها إلا سنوات قليلة هاجمهم المولداف والروس وخربوها ، فهل يعقل أن يبنوا هذه المنشآت المدنية في جو مضطرب، حتى إن الحمام الذي بنوه على ضفة النهر هو من الطراز الأول، يرفعون الماء إليه من النهر بالناعورة، ثم يجعلونه يجري فيه في أنابيب حتى يعود المستعمل منه إلى النهر، ويبنون الجامع والمنارة بهذه الهيئة في القوة حتى إن عرض الجدار الحجري يكون متراً ، ولا يستطيعون الدفاع عن المدينة التي لم يبقوا فيها إلا سنوات تبلغ عشرين أو ثلاثين سنة كما قالت !!!.

متى خربت المدينة؟:



المؤلف عند حائط حجري من بقايا مدينة شاري أركيه الأثرية الإسلامية في مولدوفا

الشيء المهم لنا أنها ذكرت تاريخ الهجوم على المدينة وهو عام ١٣٦٩م،

وذكرت أن هذه السنة هي آخر سنة عاش فيها المسلمون في هذه المدينة، وأنها وجدت عملات ونقوداً يدل تاريخها على ذلك.

وعندما سألتها لمن هذه القوة التي استطاعت أن تدمر هذه المدينة، وكيف تكونت قالت: إن مملكة (المولداف) والروس أنشأت جيشاً مشتركاً لمهاجمة الأتراك، وأنها وجدت هذه المدينة في طريقها إلى ملاقاة الجيش التركي فهاجمتها وخربتها.



مع الرفاق في موقع مدينة شاري أركيه الأثرية (من اليمين) حسن أزميرلي فأحد خبراء الآثار، فالخبيرة الدكتورة تتيانا، فالمؤلف، ثم الأخ بابابيف، فالأستاذ رحمة الله بن عناية الله

وفي تلك الحقبة كانت دولة التتار تضعف، وكان أعداؤها

يهاجمونها، ومن ذلك أن وقعت موقعة حربية في عام ١٣٦٢م مع مملكة البلطيق والجنود الروس ضد التتار المسلمين هزم فيها المسلمون.

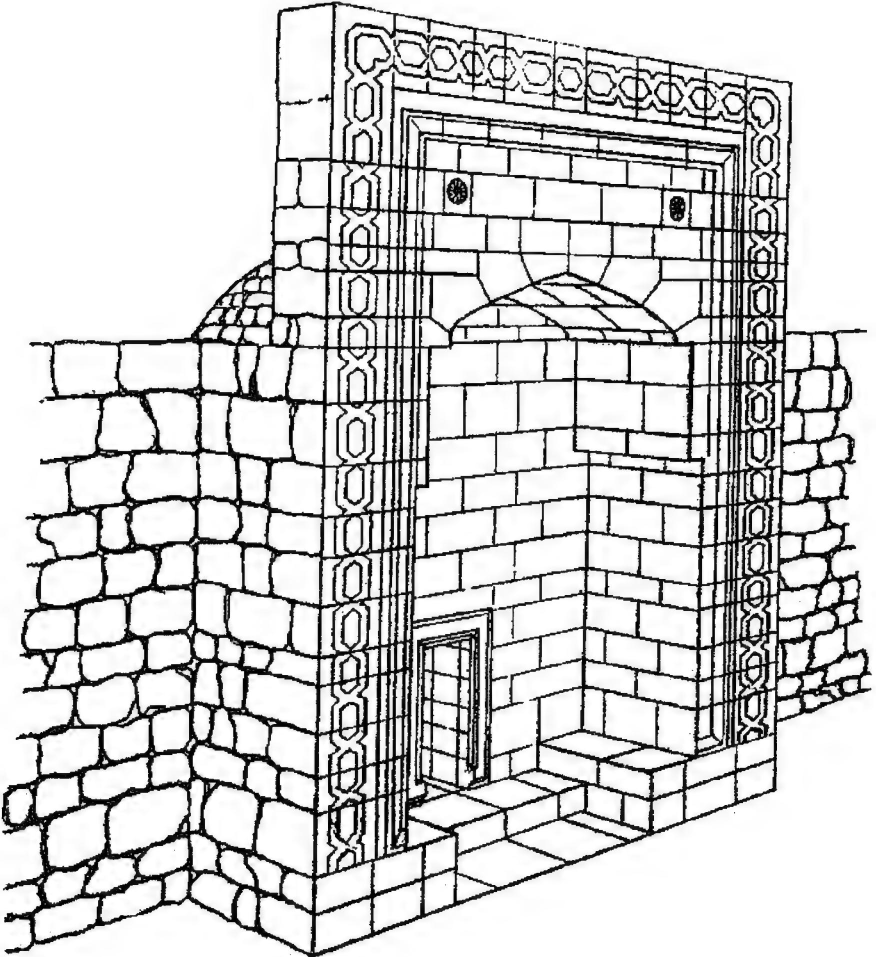
قالت: وبعد ٥٠ سنة جاء (المولداف) إلى المنطقة وسكنوا فيها، وضغطوا على من فيها من المسلمين، وقالت: هذه المدينة تعتبر مهمة جداً في أوروبا، لأننا إذا حفرنا إلى مسافات قليلة وجدنا آثاراً مهمة، بل عظيمة، وكانت تعتبر مركز الإسلام في ذلك الوقت، هذا وقد أشارت الخبيرة ونحن نتجول في الحمام الواسع المؤلف من عدة وحدات إلى الضفة الثانية من نهر (ريوات) وقالت: هذه الضفة لم تكن مسكونة في العهد الإسلامي، ولكنهم كانوا يضعون فيها الأنابيب الفخارية التي تنقل المياه، وهذا شيء يتميز به المسلمون، وأول ما صنعوا منه كان في عهد الخليفة هارون الرشيد.



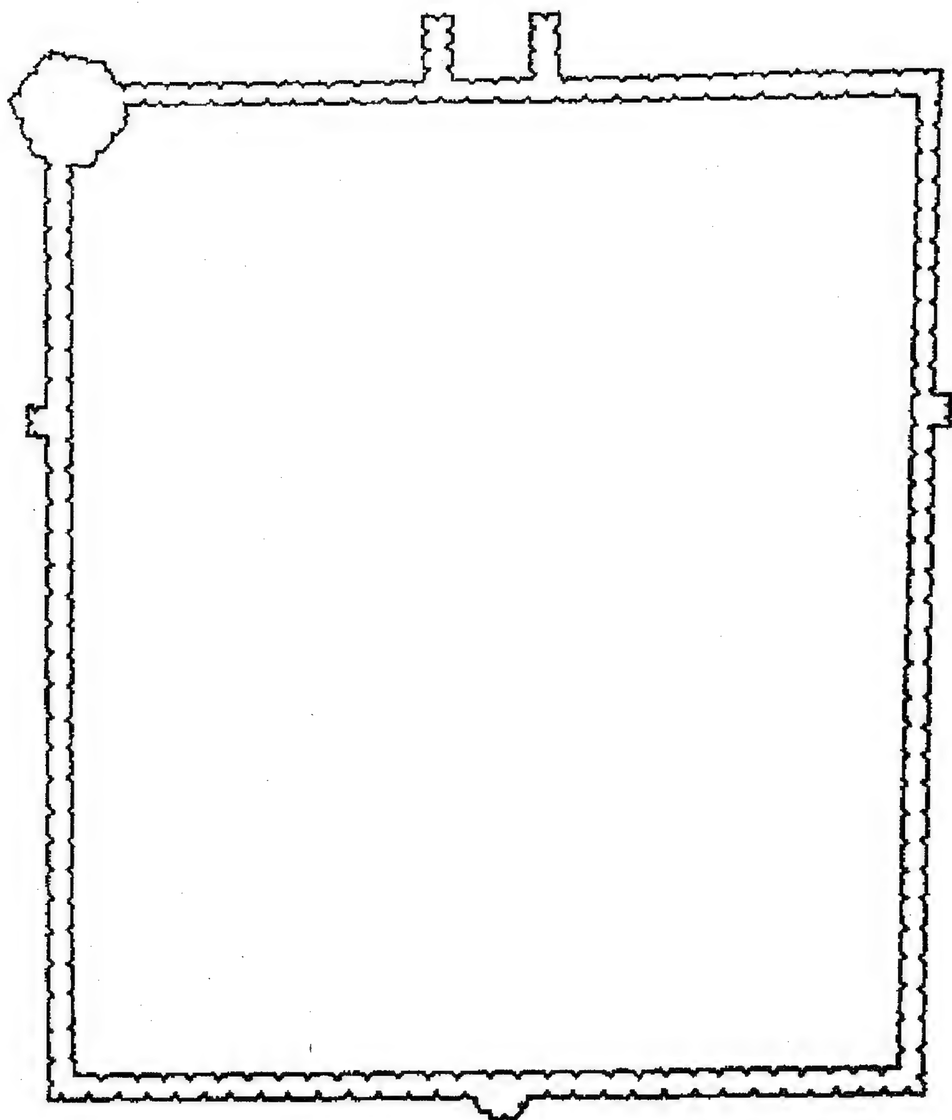
الحمام الأثري الباقي من آثار المدينة الإسلامية على ضفة نهر ريوات وفيه بقرة ترعى

وفي الختام قالت: إن آخر سنة أجريت فيها الحفريات الأثرية في المنطقة كانت عام ١٩٨٩م.

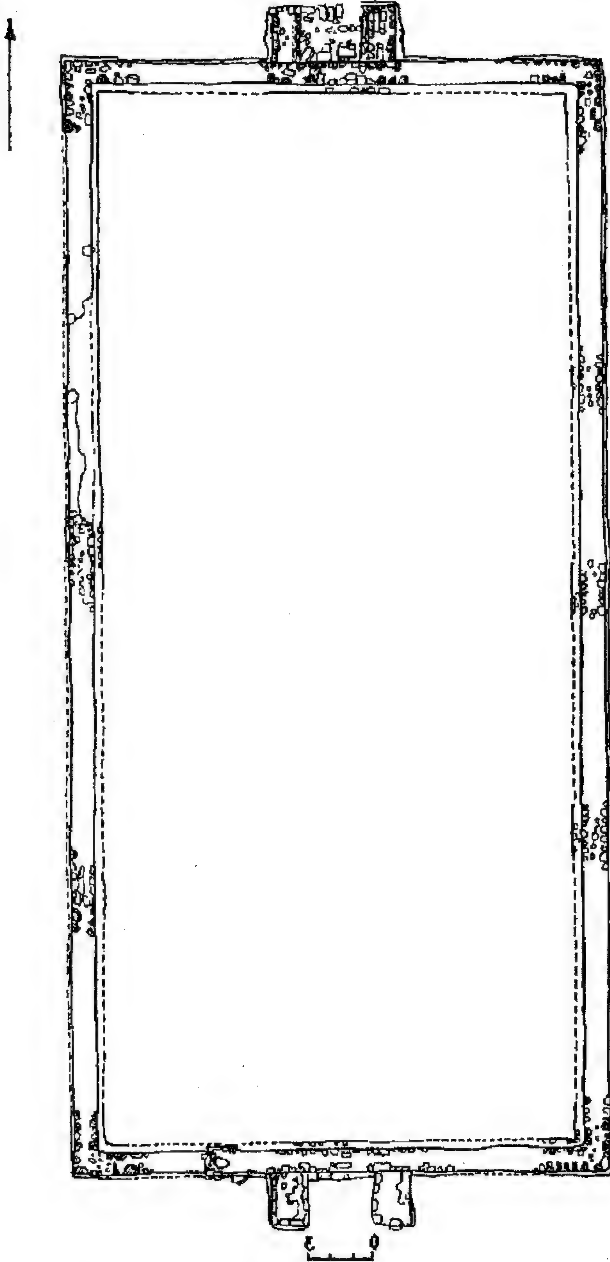
هذا وقد عدنا إلى كتشنيف في الثالثة من بعد الظهر.



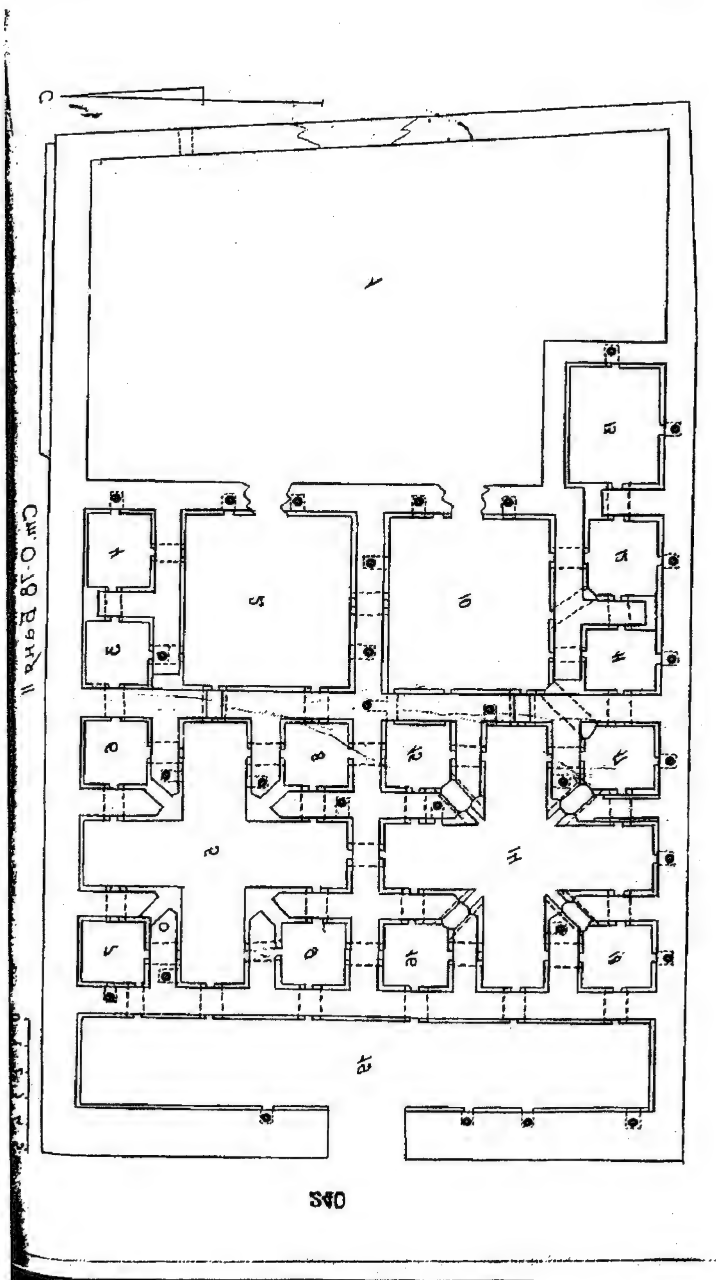
رسم لمحراب المسجد في مدينة الشهر الجديد



الأساسات الباقية من مسجد شهري جديد

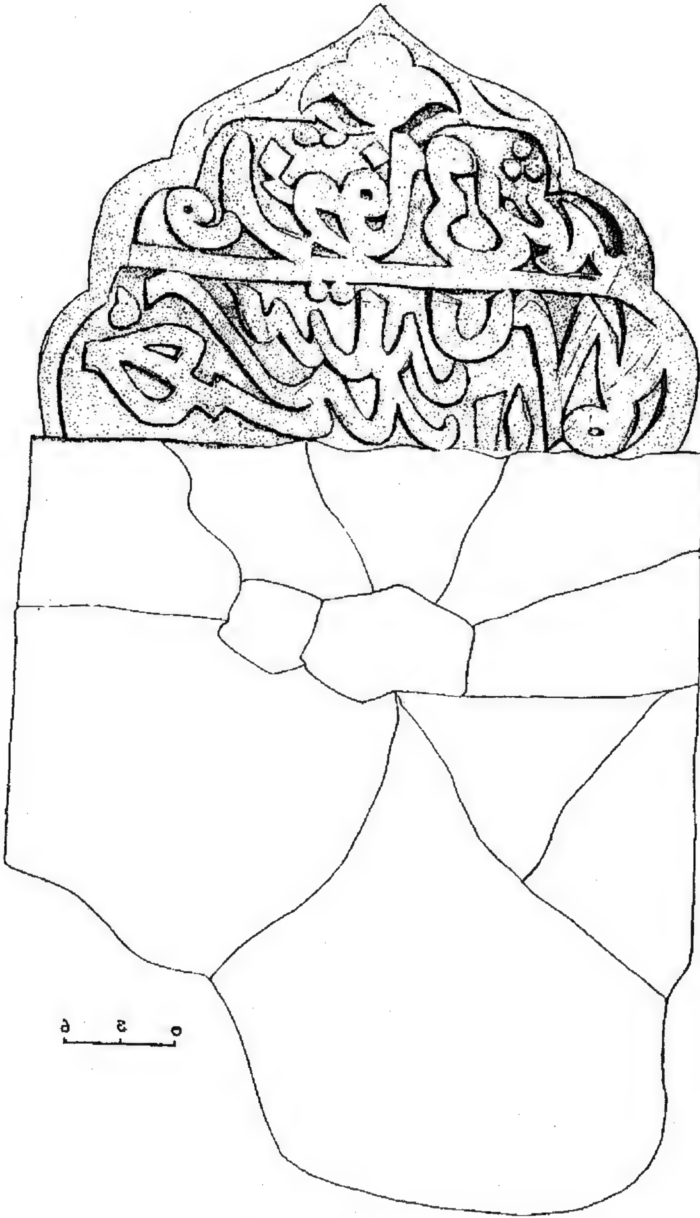


مخطط كروان سراي (استراحة القوافل) في العهد الإسلامي



مخطط الحمام في مدينة شهري جديد

القلال التي كانت تصنع وتستعمل في مدينة شهري جديد



أحد شواهد القبور من القرن الثامن الهجري في مدينة الشهر الجديد عليه الكتابة العربية

الاجتماع بالمسؤولين عن العمل الإسلامي:

العمل الإسلامي في هذه البلاد ضعيف ما عدا ما تقوم به جمعية السلام الإسلامية التي يديرها الإخوة الطلبة، فهذه لها نشاط جيد ومؤثر، ومركزها (مسجد الغرباء) كما أسموه، ولهم نشاط خارجي.

ومع ذلك كان هذا المساء مخصصاً للاجتماع بالجميع ومعرفة ما يقومون به من عمل، وهذه خلاصة لذلك:

اجتمع وفد الرابطة إلى الأستاذ أسلان بك ممثل مسلمي الشيشان في مولدوفا الذي شرح لوفد الرابطة ظروف المسلمين الشيشان السيئة، وأن حكومة مولدوفا لم تعترف بهم كغيرهم من القوميات بسبب حربهم مع روسيا، وأن أكثر الشيشان عاطلون عن العمل، وقد واساه وفد الرابطة وقدم له مساعدة باسم الرابطة لمسلمي الشيشان الموجودين هنا بمبلغ رمزي قدره ألف وخمسمائة دولار، وهو قليل عندنا، لكنه كثير عندهم لفقرهم وحاجتهم الشديدة.

ثم اجتمع إلى مسؤولي جمعية السلام الطلابية وهم:

١- الأستاذ عبد الرحيم الجعبري رئيس جمعية السلام.

٢- الأستاذ يوسف إسماعيل مطر نائب أول لرئيس جمعية السلام.

٣- الأستاذ محمد محمود عمران نائب ثان لرئيس جمعية السلام.

٤- الأستاذ رأفت أحمد الشنطي محاسب مالي للجمعية.

وقد تحدث رئيس جمعية السلام الأستاذ عبد الرحيم الجعبرى فذكر أن عدد المسلمين يقدر بنحو خمسة عشر ألف نسمة في مولدوفا، منهم خمسة آلاف في كيشينيف، وأن عدد الطلاب الأجانب ١٥٠٠ طالب، منهم ١٢٠٠

طالب عربي، وأن حكومة مولدوفا لا تسمح بتأسيس جمعيات دينية، وعلى ذلك جرى تأسيس جمعية السلام الطلابية، وقد تم تسجيلها رسمياً بتاريخ ١٩/٤/ ١٩٩٥م، وتشرف حالياً على ثلاثة مصليات: اثنان منها في كيشينيف، وثالث في مدينة تيراسبول TIRASPOL ، وتهدف جمعية السلام إلى توعية المسلمين بتعاليم الإسلام ودعوتهم للالتزام به، وتعريف غير المسلمين بمبادئ الإسلام، ونشره بينهم ورعاية الشباب المسلم ومساعدتهم في أمور دينهم، والتعاون على حل مشكلاتهم. كما تعمل في تنظيم الندوات والدروس الإسلامية، وإقامة مخيمات الشباب، ودورات تدريب، والاهتمام بالمسلمين الجدد، وتنظيم المصليات، والإشراف عليها وتوفير الكتب والنشرات والأشرطة السمعية والمرئية باللغتين الروسية والرومانية، وجمع الصدقات، وتوزيع لحوم الأضاحي، وإقامة الإفطارات الجماعية.

وجمعية السلام التي يبلغ أعضاء المجلس التنفيذي فيها ١١ عضواً تنقسم إلى ثماني لجان عمل هي:

١- اللجنة الدعوية يرأسها الأخ جهاد مرقه.

٢- اللجنة الثقافية يرأسها الأخ يوسف إسماعيل مطر.

٣- اللجنة الإعلامية يرأسها الأخ حمدي أبو شرخ.

٤- لجنة المكتبة يرأسها الأخ احمد حزام.

٥- لجنة التربية والخطابة يرأسها الأخ رأفت أحمد الشنطي.

٦- اللجنة الفنية يرأسها الأخ حسام عراره.

٧- اللجنة الرياضية يرأسها الأخ عبد الرزاق عبدو.

٨- لجنة النظام والمراقبة يرأسها الأخ عائد سليم.

وقد أمكن بسبب جهود العاملين، وبتوفيق الله ﷻ أن اعتنق عدد من المولدافيين الإسلام، ويقومون بزيارة أنسال المسلمين المحليين بهدف توعيتهم وترغيبهم في دين آبائهم وأجدادهم.

وإن هذه النشاطات هي جهود فردية وبمساعدات محلية؛ إذ لم يسبق لهم الحصول على مساعدة، مع أنهم يتطلعون إلى مساعدة كبيرة تمكنهم من بناء مسجد يجمع المسلمين، ويوفر لهم مكاناً لاجتماعاتهم وصلواتهم وندواتهم.

وقد أثنيت على جهودهم الطيبة، واهتمامهم بالعمل الإسلامي الذي أدى لاعتناق عدد من المولداف للإسلام.

هذا وقد اجتمع وفد الرابطة إلى عدد من المسلمين الجدد وأبدى للسؤولين عن العمل الإسلامي استعداد الرابطة في التعاون معهم على خدمة المسلمين، وطلب إليهم إرسال طلباتهم إلى الرابطة، وأنها ستجيبهم وإن استغرق ذلك وقتاً طويلاً بما يمكن أن تقدمه لهم، ثم قدم إليهم باسم الرابطة مساعدة قدرها أربعة آلاف دولار لتغطية نفقات المصليات والنشاط التعليمي، وكذلك مبلغ ألف ومائة دولار لمساعدة المسلمين الجدد.

يوم الإثنين: ١٤/ ١٢/ ١٤١٧هـ ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

جولة في كيتشنيف:

حرصنا منذ وصولنا على جولة سياحية مع شخص يعرف المدينة، وذلك للاطلاع على حالها وما تيسر من تاريخها، ولم يتيسر ذلك إلا هذا اليوم لقلة السياح، فاستأجرنا حافلة سياحية مع دليلها على أن تبدأ الجولة في السابعة صباحاً، وهو وقت مبكر.

والدليل رجل (مولدافي) من أهل هذه المدينة.

كنت سألت عن معنى اسم المدينة أول ما وصلتها؛ لأنه اسم غريب، ولفظ منكر أو على الأقل مستشكل، وذلك لاقتران الشين بالنون اقتراناً غير فني فيه، وهذا بطبيعة الحال بالمقاييس الجمالية اللفظية العربية، وقد يكون لأهلها نظر آخر.

ذكر لي من قبل أن اسمها تركي، وربما كان ذلك من لغة التتار الذين حكموا البلاد قبل الأتراك، ولغتهم متفرعة من اللغة التركية القديمة، وأن شخصاً اسمه (كشن) أضيف إليه هذا المكان بلفظ (أو) بمعنى بيت أو منزل، فكأن (كشن) هذا كان مالك أول منزل أو أرض مهمة في مكان المدينة، ثم سميت به المدينة.

ولم تكن كبيرة مشهورة في القديم، بل ذكر لنا الدليل أن سكانها في بداية القرن الحالي كان عددهم ١٠٠ ألف فقط، ٨٠ ٪ منهم من اليهود، أما الآن فقد بلغ عدد سكانها ٧٥٠ ألفاً لا يؤلف اليهود منهم إلا ١ ٪ فقط، فقد ذهب اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ثم هاجروا أخيراً إلى فلسطين أو غرب أوروبا أو أمريكا.

أما الاسم فقد قال الدليل: إنه تركي أي مثل ما قاله الآخرون، ولكنه ذكر أنه مختلف فيه، وأن بعضهم يقول: إن معناه باللغة التركية: النبع، أي منبع الماء، ولا شك في أن الأول هو الصحيح.

وعلى غرابة اسم العاصمة من ناحية اللفظ، فإن اسم القطر من ناحية المعنى غريب أيضاً، فقد عرفت قبل هذه الجولة أنه اسم كلب سمي به نهر داخل رومانيا، ثم سميت به الأرض التي يمتد إليها النهر وما حوله.

ذكروا أن رجلاً له كلب عزيز عليه اسمه (مولدوفا)، أو قالوا:

(مالدوف)، فمات فدفنه في نهر هو في داخل جمهورية رومانيا في الوقت الحاضر، وإن كان مما يقول (الملدوفانيون) إنه من أرضهم فسمي به النهر والأرض المتصلة به.

وقد سألت الدليل السياحي عن ذلك فقال: التعليل الصحيح لاسمها (مولدوفا) غير معروف إلا ما قيل في أسطورة تقول: إن ملكاً كان يصطاد ومعه كلبه الذي كان اسمه (مولدوف)، فمات وهو يسبح في النهر، فسمي النهر مولدوف وسميت المنطقة (مولدوفا).

بدأت الجولة بأن عرفنا السائق بما كنا عرفنا به من قبل من أن الميدان الذي عليه فندقنا اسمه ميدان الأمم المتحدة، إلا أنه أضاف: أنه ميدان مهم، وأن عليه مركز الأكاديمية العلمية، وأيضاً إلى جانب الكنيسة الزرقاء، وعليه مبنى آخر فيه معرض للرسوم، ولمناسبة ذكر مباني المدينة قال: لقد دمر ٨٠٪ من مباني المدينة خلال الحرب العالمية الثانية.

ثم انطلقنا منه مع شارع جلمارس الذي كنا مشينا فيه أول أمس على أقدامنا، وهو منسوب إلى رجل منهم عظيم اسمه (استيفن جلمارس) كان حاكم (مولدوفا) في القرن الرابع عشر أوالخامس عشر.

ميدان مجلس الشعب العظيم:

هكذا اسمه الرسمي، وهكذا ذكره الدليل، ولا أدري مصدر عظمة الشعب (الملدافي) إلا إذا كان ذلك من باب التفاؤل مثلما عليه الحال في تسمية ليبيا الشقيقة بالجمهورية العظمى، وقد سمي بهذا الاسم عام ١٩٧٩ لأن فيه مكاناً واسعاً كان ميداناً لمظاهرات وطنية حصلت في ذلك الوقت للمطالبة باستعمال اللغة الوطنية.



المؤلف في ميدان الشعب العظيم في قلب مدينة كتشنيف

وعلى هذا الميدان مقر مجلس الوزراء، وكنيسة المدينة بنيت عام ١٨٤٠م، وكانت مغلقة أيام العهد الشيوعي، ثم أعيد فتحها بعد ذلك، وهي ذات قبة دهماء، واللون الأدهم هو الذي بين الأحمر والأسمر، ويقابل الميدان العظيم قوس النصر إلى يسار الشارع بني عام ١٨٤٥م، وهو صغير غير محكم البناء، وإذا كان بانوه قصدوا بذلك أن يكون على غرار قوس النصر في باريس فإنهم لم يفلحوا.

ولكنه على أية حال رمز فني من رموز المدينة.

وجدنا عند قوس النصر عدداً من الناس خلتهم سياحاً غير أنهم لا يبدون في المظهر كمواطني أوروبا الغربية التي يأتي منها السياح في العادة، مع العلم بأن ألوان الناس هنا هي ألوان الأوروبيين، وهي البياض الخالص،

وكذلك ألوان شعورهم؛ غير أن تقاسيم الوجوه تختلف، وشيء آخر أشرت إليه من قبل، وهو عدم مظاهر الرفاهية عليهم التي تتمثل في الكفاية من الغذاء، وفي الجيد من الثياب، ثم واصلنا السير مع شارع جلمارس، فمررنا بمكتب رئيس الجمهورية على يمين الشارع يقابله (البرلمان) على اليسار.



قرب قوس النصر في كتشنيف

كما مررنا بكلية الطب على يسار الشارع، ويغلق الشارع في النظر

دوار أي مستديرة خلفها مصنع من عهد الاتحاد السوفيتي ولا يعمل الآن مثل غيره من المصانع المتعطلة بعد استقلال البلاد ، وذلك لقلة الفنيين الوطنيين من جهة ، ولصعوبة الحصول على قطع الغيار وحتى الوقود الذي كان الاتحاد السوفيتي يرسله بالعملة المحلية وهي الروبل أو بطريق المقايضة وصار الآن يطلب منهم أن يدفعوا ثمن ما يحتاجون إليه بالعملة الصعبة التي لا يستطيعون الحصول عليها ، إضافة إلى أن مستوى إنتاج مصانعهم لا يستطيع الصمود والمنافسة في الأسواق الدولية فيما لو استمروا في إنتاجه وكان يسوق في داخل الاتحاد السوفيتي في السابق حيث لم يكن المتسوقون يجدون غيره.

ومن طريف ما سمعته عن سبب تعطل المصانع في مكان آخر من الاتحاد السوفيتي السابق قول أحد المسئولين: القفل هنا والمفتاح في روسيا.

وذكر الدليل أن الوظائف قليلة لمن أسعفهم الحظ بأن وجدوا عملاً ، وذكر أن كثيراً من الناس لا يعملون إلا يوماً أو يومين في الأسبوع لا يجدون عملاً غير ذلك.

تمثال استيفان :

اعتنوا بتمثال ذكر الدليل أنه لستيفان الذي حارب البولنديين والمجريين والأتراك العثمانيين المسلمين في ٤٠ معركة وذكر الدليل أنه خسر معارك ولكنه لم يخسر الحرب.

وقد مثلوه بيده الصليب رمزاً لعداوته للمسلمين وقتاله إياهم باسم الصليب.

ومع ذلك ذكر هذا الدليل السياحي ما يدل على أن العثمانيين هزموه في إحدى المعارك، ولذلك قدم سيفه المهم لديه اعترافاً بالهزيمة إلى العثمانيين

الذي أبقوه في إسطنبول، ولا يزال السيف موجوداً في إسطنبول حتى الآن ومعروفاً بأنه سيف الملك استيفان، وكانت ولادته في عام ١٤٥٧ ووفاته عام ١٥٠٤م. هكذا كتبوا على تمثاله.

وذكر الدليل أنه عندما هزم أمام العثمانيين وأقر بذلك أوصى ابنه الذي تولى بعده ألا يقاتل المسلمين العثمانيين بعد ذلك، وأن يخضع لهم تلافياً للخسائر البشرية التي تكبدوا منها شيئاً كثيراً، فصار خلفاؤه يدفعون الجزية للأتراك، ويضعون أبناءهم رهائن في إسطنبول، وصار حكمهم رسمياً حتى إن السلطان العثماني هو الذي يصادق أو لا يصادق على تعيين الملك منهم.

وهكذا ظلت البلاد خاضعة للحكم الإسلامي التركي مدة طويلة لا تقل إلا قليلاً عن أربعمائة سنة.

هكذا قال الدليل السياحي، قال: وقد استمر الحكم العثماني لهذه البلاد حتى جاء الروس لها في عام ١٨١٢م فأخذوها من العثمانيين، وقد ظلت جزءاً من رومانيا إلى عام ١٩٤١م؛ حين أصبحت جمهورية اتحادية مستقلة.

ثم عاد الدليل إلى الحديث عن تمثال الملك استيفان هذا، فذكر أنه قد رفع من مكانه وأدخل المخزن، وذلك لئلا يقابل تمثال لينين الذي كان موجوداً في الميدان في عهد الشيوعية وبعد الاستقلال، إثر انفراط عقد الاتحاد السوفيتي أزالوا تمثال لينين وأعادوا تمثال استيفان مكانه.

حديقة المدينة :

هذه حديقة واسعة منسقة تسمى الآن: حديقة المدينة، وكانت تسمى قبل ذلك منتزه (كومنست)، أي منتزه الشيوعي، وهي أقدم حديقة في

المدينة.



مع الرفيقين في حديقة المدينة في كتشنيف

وقد سارع الدليل إلى التنويه بكون الشاعر الروسي الشهير (بوشكين) كان يعمل هنا، وذلك لكون الروس نفوه إلى (مولدوفا)، وذكر أنه نظم قصيدة في هذه الحديقة عن الغجر، فظنت العامة من الروس أن المولدوفيين غجر، وذكر أن الغجر هنا قليل؛ لكنهم أغنياء.

وقد رأينا معظم الحديقة مخضرة، وربما كان ذلك لكونها غير بارزة للريح الباردة.

وعلق الدليل على ذلك بقوله: عجيب أمر شهر إبريل هذا العام، المفروض أن الربيع جاء قبل شهر، وأن الحديقة قد أصبحت خضراء قبل هذا

الوقت.

والحديقة واسعة وجميلة ومنسقة، ومعتنى بها حتى يحسدهم المرء عليها، وفيها أركان متعددة للجلوس وتزجية الوقت في الاستمتاع بالخضرة.

تمثال الكاتب:

أقاموا في الحديقة تمثالاً ظننته لسياسي من السياسيين، أو أمير من الأمراء، وإذا به تمثال كاتب مسرحي اسمه (يوون كرنقا) ذكروا أنه يحرص على أن تكون كتاباته تقليدية.



مع الأستاذ رحمة الله بن عناية الله في الحديقة العامة في كتشنيف

وهذا بلا شك من تقديرهم للكتابة الثقافية، وقد أكدوا ذلك بإقامة

تمثال مقابل لتمثال الكاتب هو تمثال لشاعر ذكروا أنه أعظم شاعر عندهم، واسمه (ميخائيل إمن وسكر) ولد عام ١٨٥٠م، وتوفي عام ١٨٨٩م أي أنه عاش ٣٩سنة لم يكمل الأربعين.

وهذا أيضاً من عنايتهم بالثقافة ورجالها.

والحديقة مفروشة بالآجر المخمس، أي ذي الزوايا الخمس وبمقاعد خشبية خضر، حتى أواني القمامة المعلقة في الأشجار هي مطلية باللون الأخضر.

وحتى أشجار الحديقة اعتنوا بما يتعلق بها من المعرفة، إذ رأيت شجرة كبيرة عليها كتابة توضح بعض المعلومات عنها، فكأنها ترجمة لحياتها.

هذا والجو مظلم بارد، ولذلك لا يوجد في الحديقة أحد، إلا أشخاص يمرون مع ممرات للمشاة تخترقها للوصول إلى الجهة الأخرى خلفها.

وهذه الممرات مبلطة تبليطاً جيداً.

ثم مررنا بصف من التماثيل غير الكاملة لعدد من الكتاب والمشاهير المحدثين، أي الذين من عهد قريب.

وغادرنا حديقة المدينة معجبين، وذكر الدليل أن الأفضل أن تكون الفقرة التالية هي زيارة المتحف، وقد أسس في بداية عقد الثمانين من هذا القرن الميلادي، إلا أننا وجدناه مغلقاً أمامه المكتبة الوطنية ذكر الدليل أن فيها مليون كتاب، وقال: هي أكبر مكتبة عندنا.

التلال السبع:

انصرفنا من المنطقة التي فيها الفندق والحديقة وقوس النصر، وبدأنا الانحدار إلى مكان منخفض من المدينة يشبه الوادي غير الواسع، وقال

الدليل بهذه المناسبة: إن عاصمتنا بنيت على سبع تلال، ونحن الآن في أعلاها، وسننزل حتى النهر الصغير الذي نشأت المدينة أول ما نشأت على ضفته، وذكر أن النهر صغير جداً في الوقت الحاضر، وكان أكبر من ذلك من قبل.



المؤلف في أحد الشوارع الرئيسية الحديثة في كتشنيف

وانحدرنا بالفعل مع شوارع ليست واسعة، ولكنها نظيفة وعليها الأشجار العالية التي أكثرها لا تزال ترين عليها شهبة الشتاء، حتى وصلنا إلى منطقة اسمها (رسكانو) على اسم شخص كان يملك هذه الأرض.

وفي أول المنطقة مبنى لا تكاد تخلو منه مدينة من مدن الاتحاد السوفيتي السابق، وهو مبنى (السيرك) أو الألعاب البهلوانية والهزلية، وهم

يتوسعون فيه حتى لا يقتصر على ذلك، وإنما يعرضون فيه عجائب من عجائب الحيوان المُعَلَّم، ومواهب من مواهب الإنسان في القفز وغيره من الحركات الصعبة.

وذكروا أن هذه المنطقة كانت حقولاً زراعية قبل الحرب العالمية الثانية.

ثم وصلنا إلى شارع موسكو، وهو واسع عليه الأبنية الضخمة العالية التي أكثرها مطلي بالأبيض، ذكر الدليل أنه مبني في العقد السابع من القرن الحالي.



شارع موسكو في كتشنيف

وهو من أفضل الأماكن للسكن حسبما ذكر الدليل؛ لأنه ليس فيه

مصانع ولا متاجر تزعج السكان، وجميع المنازل فيه على هيئة شقق سكنية.

وقد أكثروا من غرس الأشجار على جانبي الشارع حتى صار الشارع كأنما هو واقع بين غابتين.

وذكر الدليل أنه يسكن في شقة فيه كانت لوالديه، فورث منهما السكن فيها، وينتهي هذا الشارع المستقيم الجيد بمباني الجامعة التقنية ومصنع للآلات والأدوات الألكترونية لا يعمل إلا يوماً واحداً في الأسبوع، ولك أن تعجب من ذلك.

ذات البحيرات الأربع:

وصلنا إلى غابة فعلية كانت مثل منطقة المدينة غابات ملتفة، في السابق قطعوا أكثرها من أجل منازل المدينة وشوارعها، وأبقوا بعضها على ما كان عليه من قبل، ومنه هذه الغابة، وفي هذه الغابة أربع بحيرات، وعدة ينابيع، وبحيراتها ليست كبيرة، وأكثر أشجارها قد أورقت، وبالقرب منها مجموعة مساكن شعبية بنيت بسرعة في زمن (نيكيتا خروشوف) سكرتير الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، وقد ارتفعت أسعارها فصارت لا تطاق هنا؛ لأن الشقة الواحدة تبلغ قيمتها من ٨ آلاف إلى ١٠ آلاف دولار، وقد يبدو هذا المبلغ قليلاً على شقة سكنية ولو كانت صغيرة، ولكن إذا نظر المرء إلى متوسط الرواتب عرف غلاءها، وهو أن متوسط الرواتب الآن هو (٥٠) دولاراً أمريكياً يأكل منها المرء، ويلبس ويدفع أجرة وسائل النقل.

وفي هذه المنازل الشعبية شارع أشجاره مقطوعة من أعلى حتى القرب من سوقها - جمع ساق - التي لا يكون عليها ورق؛ بحيث بدت هذه الأشجار عارية من الأوراق.

وعلى ذكر الغلاء والرخص قال الدليل: في القديم كان الروبل الواحد يساوي ثمن حصان واحد، والآن يبلغ ثمن الحصان ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ دولار.

ثم وصلنا إلى النهر الصغير الذي بنيت المدينة عليه في الأصل واسمه (فك)، ولا يبلغ أن يكون نصف نهر بردى الصغير في دمشق.

بدايات المدينة:

وبجانب النهر نبع يشاع أن أول منزل فيها بني قربه.

وكانت بدايات المدينة في نحو عام ١٤٣٦م، وكانت في أول عهدها مبنية من الخشب، ولذلك احترقت عدة مرات.

وقلت للسائق في مناسبة ونحن هنا: أأنت تذهب إلى الكنيسة؟ وهذا سؤال يوجه للشخص عادة بدلاً من السؤال المباشر: أأنت متدين؟ أو هل تؤمن بالله؟.

فذكر الدليل واسمه (اندري كالينو): أنه لا يذهب للكنيسة أصلاً، ولكن ليس معنى ذلك أنه غير مؤمن، بل هو يؤمن بأن قوة عظيمة يعتقد أنها (إله) ولكنه لا يعرف ما هي.

وقال: أنه يعتقد بهذا خلاف ما كان الشيوعيون علموهم بأن لا وجود للإله، وذكر أن بعض الناس الذين لم يكونوا يذهبون للكنيسة إبان الحكم الشيوعي صاروا يذهبون إليها الآن، على أنهم ليسوا الأكثر من الناس.

شارع يوري قاقارين:

(يوري قاقارين) هو أول رائد فضاء في العالم أرسله الاتحاد السوفيتي في أول رحلة إنسانية إلى الفضاء في عام... ، وبإرساله حاز منصب السبق في

ريادة الفضاء، فكان أول دولة ترسل إنساناً إلى الفضاء الخارجي، وصار هذا مدعاة لفخر الاتحاد السوفيتي، ولذلك تسابقت المدن فيه على تسمية شوارع وميادين فيها مهمة باسم (يوري قاقارين) هذا.

وعلى شارع (قاقارين) محطة القطارات في المدينة.

ثم شارع (داشيا)، وهو منسوب إلى (داشن)، وهي قبائل كانت موجودة في هذه المنطقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

وهذا الشارع واسع ذو جزأين تفصل بينهما جزيرة فيها عشب وحشي، أي غير مزروع. وعلى شارع (داشيا) هذا أبنية عالية، وهو أوسع من شارع موسكو.

ثم انتهت هذه الجولة بالعودة إلى الفندق.

مغادرة الفندق:

غادرنا فندق كتشنيف في الساعة الثانية، وكان نظامهم كأكثر الفنادق العالمية أن يكون الخروج في الثانية عشرة، ولكنهم سمحوا لنا بالبقاء إلى الثانية جرياً على عادة انفردوا بها من بين جميع الفنادق التي سكنا فيها في هذه الرحلة الشمالية، وهي السماحة مع النزيل وعدم غلاء السعر.

غادرنا الفندق على الحافلة الصغيرة التي استأجرناها ومعنا الإخوة العرب رؤساء جمعية السلام الإسلامية، والأخ (البربابا بيف) رئيس الجمعية التتارية، وكانت في الوقت بقية قبل قيام الطائرة، فرأينا أن نمر بمكان أو مكانين قبل الخروج للمطار مما تحسن رؤيته، فكانت الوقفة الأولى عند:

الكنيسة ذات الصليب والهلال:

وهي كنسية قديمة مهمة عندهم، ولكن لو كان الأمر مقتصراً على ذلك لما زرناها، ولكن الإخوة ذكروا أنها تنفرد بكون أهلها وضعوا هلالاً في قاعدة شاهدها وفوقه الصليب في أعلاها كما هو المعتاد، وقد فعلوا ذلك انتقاماً من المسلمين، وإشارة إلى أنهم قد غلبوهم، ولم يسروا حقدهم أو يكتموه، فضلاً عن ألا يجعلوا الناس يشعرون به أصلاً، وإنما أظهروه في هذا المكان العالي.

وتسمى الكنيسة (سانتا تيودورا) وتقع على شارع بوشكين.

المبنى السليب:

ذهبنا لزيارة المتحف الحكومي الذي يقع في مبنى إسلامي فني لا تزال عليه العبارات الإسلامية المألوفة مثل لفظ الشهادة: (لا إله إلا الله) التي هي مكتوبة على حيطانه الداخلية والخارجية بحروف بارزة دائرة بها وعليه من الخارج عدة أهلة - جمع هلال - وهي شعار المسلمين الذي صار كذلك عند الناس.

وهذا المبنى اسمه الحالي (المتحف الحكومي للتذكار الفني)، ويقع على شارع (بيرا جوفا)، ولم يعرف الإخوة المرافقون اسمه قبل أن يغير، ولا عرفوا تاريخه، وقد كتب القوم عليه لوحة فيها أنه أسس ما بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٠٥.

والتقطنا صوراً له والمطر ينزل خفيفاً.



المبنى العربي في كتشنيف

البحيرة الجميلة :

ذهب معنا الإخوة إلى مشاهدة إحدى بحيرات (كتشنيف) التي تشتهر بها ، ويبلغ عددها ٣٠ بحيرة استحقت كتشنيف أن تسمى بذلك مدينة البحيرات.

فأحببنا الاطلاع على واحدة منها وتصويرها.

وهي غير واسعة شأن معظم البحيرات هنا ؛ لكنها محاطة بغابات ملتفة ، بدأت أوراقها بالظهور ، ولم تستكمل ذلك بعد ، وتتجمد في الشتاء حتى يضطر الصيادون إلى نقب الثلج فوق سطحها حتى يصلوا إلى السمك.

هذا ولم أر عند البحيرة أحداً؛ لأن المطر كان ينزل، والريح باردة، والناس الذين رأيناهم في الشوارع قبلها كلهم بلباس الشتاء، ومن ذلك أن تلاميذ المدارس والأطفال بصفة عامة عليهم ما يشبه البرانس الثقيلة إلا أنها أقصر منها مما يلي الأرض، والبرانس هي التي يلبسها المغاربة، ويكون لموضع الرأس منها جزء متصل بها، يغطي الرأس عند الحاجة.

وذكر الإخوة أن الجو البهيج في بلادهم لا تزيد مدته على أربعة أشهر في السنة، أما ما تبقى من السنة، وهو معظمها، فإنه برد وظلام.

الخروج إلى المطار:

في الرابعة والنصف كنا نغادر هذه البحيرة الجميلة الباردة قاصدين المطار، فمررنا بمستشفى للولادة، فذكروا بهذه المناسبة أن الإحصاءات التي أصدرتها الحكومة دلت على أن السكان ينقصون، بمعنى أن الوفيات أكثر من الولادات.

سلكنا شارع المطار، فاجتاز الطريق جسراً على بحيرة والمطر متواصل.

وصلنا للمطار الذي يصح أن ينعت بأنه مطار شيوعي، والمطار الشيوعي مثل المرافق الأخرى التي أقامها الشيوعيون، واستمر الناس يستعملونها أيام حكمهم، وأهم ما توصف به هو أنها لا تهتم براحة الإنسان، ولا تسهيل الأمور له، وأوله الذي تقف عنده السيارة رصيف خارجي يدخل منه إلى فناء ضيق مكشوف، ثم يصعد منه إلى درج لا بد من أن يحمل المسافر، وهو يصعد، معه أمتعته بنفسه، إذ لا يوجد حمالون، ويدخل بعد هذا الدرج إلى مكاتب المطار التي هي ضيقة جداً، يقف المسافر عند أول مكتب منها، وهو مكتب الجمارك، فيملأ ورقة طويلة بمعلومات عن النقود التي يريد أن يخرج بها كيف حصل عليها وكيف دخل بها إذا كان أجنبياً.

ثم يدخل المسافر مع باب آخر، فيجد الفاحصة الكهربائية التي تفحص الأمتعة.

ولم يفحصوا حقائبنا بسبب الجواز (الدبلوماسي).

وعند مكتب وزن الأمتعة أخذوا منا ٥٠ (ليا) وهو عملتهم الوطنية ويساوي ذلك ١٠ دولارات أمريكية، ذكروا أنه مقابل الأمتعة الزائدة مع أنهم لم يزنوها، وإنما تفاوضوا مع اثنين من الإخوة سمحوا لهم بأن يكونوا معنا حتى الانتهاء من الإجراءات للترجمة؛ لأن الموظفين يقل فيهم من يحسن التكلم بالإنجليزية.

ولقد رأيت من الفوضى والارتباك والتردد في إنجاز العمل في هذا المطار ما جعلني كمن يعتقد أنهم لم يتعودوا على ترحيل الطائرات، واتخاذ إجراءات السفر للمسافرين.

وبعد الانتهاء من ذلك كله بصعوبة وصلنا إلى باب ثالث عليه حراسة، وهو الباب الذي يسبق مكاتب الجوازات؛ حيث كان فيه ضابط وضابطة كان التردد والإبطاء سمة عملهما، فقد صارا يقلبان الجوازات العربية السعودية كمن يراها لأول مرة مع أنه ليس فيها ما يستدعي ذلك؛ لأن عليها سمة دخول (دبلوماسية) من سفارتهم في كييف.

ومن الجوازات انتقلنا إلى مقهاة في قاعة ضيقة علقوا عليها خارطة ببيان الرحلات التي تقوم إليها طائراتهم، وهي رحلات قصيرة وقليلة، وبعضها ألغي لقلة المسافرين.

لم نجلس في هذه المقهاة، وإنما واصلنا السير إلى حيث قاعة المغادرة، فدخلنا باباً رابعاً عليه حرس مثل غيره، وعنده ضابطة أي امرأة برتبة ضابط، اطلعت على الجوازات، وفتشت أوراقها، وعلى التذكرة وبطاقة الصعود إلى

الطائرة، وختمت عليها، وبعد أن تجاوزناها وصلنا إلى ضابطة كبيرة معها ثلاثة مساعدين عملهم في التدقيق الجمركي، وربما كان يخافون من أن يتهاون موظفو الجمارك الأصلاء في العمل، ولم يلمسوا حقائبنا بسبب الجواز (الدبلوماسي) أيضاً.

وأخيراً وصلنا إلى قاعة المغادرة، وهي ضيقة ومعتمة، وليس فيها مقاعد كافية للركاب على قلتهم.

وتنفسنا الصعداء عندما خرجنا للحافلة، وكان المطر ينزل، ولم يحضروا مظلات واقية من المطر للركاب، وليس في الحافلة مقاعد وإنما وقفنا فيها وقوفاً.

عندما وصلنا إلى الطائرة أوقفونا في المطر من أجل أن يصعد الأطفال وذووهم قبل الركاب، وهذه لفتة إنسانية جيدة، ولكنها لا تمنع من تحسين الخدمات الأخرى بطبيعة الحال، وذلك مثل بلاد البرازيل -عمرها الله تعالى- حيث يجعلون الأولوية في دخول الطائرة للأطفال وذويهم، ولكن ذلك لا ينسيهم مجاملة الآخرين، وتوفير الراحة لهم.

قبل مغادرة مولدوفا:

هذه ملاحظات عامة على الوضع في مولدوفا أحببنا تسجيلها هنا:

١- الشعور القومى لشعب المولداف آخذ في النمو والازدهار، فهم يميلون للانضمام الى رومانيا، ولكن الأقليتين الروسية والأوكرانية، وخاصة الروسية التي أعلنت انفصالها تحول دون هذا الانضمام؛ بيد أن عمليات فرض اللغة الرومانية وآدابها، والتاريخ وغيرهما، يزيد من فرص الانضمام، علاوة على أن جزءاً من أراضيها ملحق بأوكرانيا، وهو الذى يفصلها عن البحر

الأسود، ويجعلها دولة داخلية ليس لها حدود على البحر، ويشعرون أن انضمامهم إلى رومانيا يجعل منهم شعباً موحداً قوياً.

٢- الوضع الاقتصادى ضعيف ومتدهور لأن مولدوفا علاوة على أنها عانت من الحكم الشيوعى، فهى فقيرة في المعادن، والصناعة محدودة، وإمكانياتها الزراعية جيدة، ولكنها تحتاج إلى تحديث، وتعاني من مشكلات الطاقة والوقود مما يجعلها بلاداً مشغولة بمعالجة مشكلاتها الاقتصادية، وتأمين احتياجاتها، وتحسين علاقاتها الخارجية.

٣- يتضح من قراءة التاريخ أن المسلمين الذين كان لهم وجود قوي قبل قرن واحد فقط لم يبق منهم عدد يذكر، ولا يوجد من ذكراهم إلا الأطلال، فالعصور التى مرت عليهم من التعصب المسيحى، وما تلاه من اضطهاد شيوعى، أجبرهم على الهجرة أو التخفى بعد أن أرغم الباقون منهم على التنصر، ويبدو أن التعصب المسيحى لا يزال موجوداً، كما يتضح من حديث نائبة رئيس مجلس القوميات التى تقول بأن حكومة مولدوفا تمانع في إعادة المساجد، ومع ذلك فالعمل الإسلامى من خلال النشاط الثقافي كما يقوم به الطلاب المسلمون، أو من خلال الجمعيات الخاصة للأقليات الإسلامية لشعوب الاتحاد السوفياتى السابق، مثل جمعيات التتار، والآذار يفتح مجالاً لتنشيط العمل الإسلامي.

٤- يتضح من إقبال المولداف وغيرهم من الروس والأوكران والكاكوز على اعتناق الإسلام أن مستقبل العمل الإسلامي يبشر بالخير، ويحتاج إلى تنسيق الجهود وتضافرها مع التركيز على ميادين الثقافة والإعلام والاجتماع، ودعم نشاط الطلاب المسلمين وتوجيههم إلى ما ينفعهم في دينهم ومجتمعهم.

من كيتشنيف إلى إسطنبول:

أقلعت الطائرة التي ركبنا فيها في السادسة وثمان عشرة دقيقة متأخرة ٨ دقائق عن الموعد المحدد لإقلاعها في الأصل، وهو السادسة وعشر.

وهي من طراز توبوليف ١٣٤ النفاث متوسط السعة، وصغير بالنسبة إلى الطائرات الكبيرة.

وهي كالطائرات الروسية ليس في جيوب المقاعد فيها أية أوراق أو جرائد أو مجلات، أو معلومات عن الطائرة أو الشركة، وهي تابعة (لأ يرمولدفا) ومعظم الركاب نساء، مظهرهن كمظهر البغايا، ولا ندري ما وراء ذلك، ولكن الشكوى قد عمت من وجود العاهرات القادمات من بلاد الاتحاد السوفيتي السابق في مناطق عديدة، ومنها بعض أقطار الخليج العربي وتركيا ولبنان.

وكان مثل أولئك النسوة في القديم يذهبن للتجارة في الأشياء الخفيفة في الظاهر إلا أنهن عرفن بالتجربة أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك.

وقد وزعوا حلوى على الركاب عند الإقلاع، كما كانت الطائرات القديمة تفعل.

وفور إقلاع الطائرة دخلت في سحاب منخفض، وهو الذي كان يرسل مطره علينا، ثم صارت تسبح وهي ترتفع في لجة منه رمادية ما لبثت أن صارت بيضاء عندما ارتفعت فوقها الطائرة، وأشرقت الشمس، فصارت الطائرة تطير فوق سحاب أبيض تحته مياه البحر الأسود الذي لم يعرف أسلافنا العرب سواده، إن كان فيه سواد حقيقي، لذلك لم ينعتوه بالأسود، وإنما أسموه اسماً منقولاً عن اليونانية فيما يظهر لي، وهو بحر ينطس.

وسماه الإمام البيروني ببحر طرابزنده، إضافة إلى مدينة طرابزون التركية كما تعرف الآن.

وقد ذكره الإدريسي باسم (البحر النيطسي)، ووصفه ووصف شواطئه وصفاً دقيقاً صحيحاً.

وقد كان هذا البحر في وقت من الأوقات بمثابة بحيرة إسلامية؛ لأنه محاط ببلاد من بلاد المسلمين، أو ببلاد يحكمها المسلمون، ولكن تفرق أهواء المسلمين من الحكام، وتنازعهم فيما بينهم، واتحاد أعدائهم، وتعاونهم فيما بينهم، أدى إلى ضياع تلك البلاد، مثلما ضاعت بلاد مسلمة أخرى، وها نحن الآن نشهد ضياع فلسطين مثلما ضاعت الأندلس وغيرها، وللأسباب نفسها من دون أن نتعظ أو نعتبر.

أسرعت المضيفات بتقديم الشراب، وكله حرام إلا (الفانتا)، ثم قدموا وجبة لا بأس بها في المقدار، وخالية من لحم الخنزير، فيها السمك والجبن والزبدة، والخبز ثم حلوى مغلفة.

هذا والطائرة ضيقة إذ قاربوا بين الكراسي منها ابتغاء المزيد من الركاب، حتى إنه لا يمكن وضع الحقيبة اليدوية المعتادة أسفل المقعد، والتنجيد رديء.

العودة إلى إسطنبول:

ثم تكن في تذاكرنا تذكرة لإسطنبول إلا في الابتداء، حيث مررنا بها في طريقنا إلى (باكو) عاصمة أذربيجان، ولكننا اضطررنا لذلك لعدم وجود طيران ملائم إلى أرمينيا، فحجز لنا المكتب السياحي الذي قطعنا منه التذاكر إلى إسطنبول، ومن إسطنبول إلى (يريفان) غداً، ودفعنا ثمن

التذكرة من كتشنيف إلى إسطنبول ٧٧٥ ريالاً في الدرجة السياحية؛ لأن الطائرة ليست فيها درجة أولى، وهذه تقارب ضعف ثمن التذكرة بالسياحية من جدة إلى الرياض، على حين أن المسافة هنا أقل إذ هي ساعة و١٤ دقيقة.

بعد ساعة واحدة من الطيران رأينا ساحل البحر الذي يضيق قبل البوسفور، وعليه إسطنبول.

وصرنا نطير فوقه بسرعة، وهو أخضر خضرة الزراعة والتشجير، وفيه مناقع مياه عديدة من مطر كان أصابه.

كانت الطائرة تقترب من مطار إسطنبول الذي يسمونه (مطار أتاتورك الدولي)، وأتاتورك معناها: أبوالترك ويريدون به (مصطفى كمال) الذي ألغى الدين الرسمي، وأعلن العلمانية.

وأبوته هذه للترك هي أبوة معنوية، وهو في الحقيقة أب لمن يسمّون الكماليين، وليس لعامة الشعب التركي المسلم.

لقد فتح الأتراك بقيادة السلطان المسلم المجاهد محمد الفاتح إسطنبول باسم الإسلام، وجاء مصطفى كمال فأبطل ذلك، وجعل أمجاد الترك الإسلامية أمجاداً وطنية، بل إنه تنكر لأكثرها، وكذلك أتباعه من بعده، حتى قال لي أحد السفراء الأجانب في تركيا: ما علمت شعباً في العالم يتنكر لماضيه مثل الشعب التركي.

وقد بلغ الأمر بأحد الأحزاب التركية أن خرج أعضاؤه في مظاهرة في شوارع إسطنبول يقولون فيها: (لا للشريعة)، أي لا نريد الشريعة، وبعبارة ضمنية: سنقاوم الشريعة الإسلامية، مع أن الأتراك فتحوا إسطنبول نفسها باسم الشريعة الإسلامية، أي بسبب تمسكهم بها تم لهم فتحها وغيرها من البلدان الشاسعة.

في إسطنبول:

في السابعة ودقيقتين حطت الطائرة في مطار إسطنبول بعد طيران استغرق ساعة و١٤ دقيقة، وقد ارتجت الطائرة بتصفيق الركاب عندما لامست عجلاتها أرض المطار.

والتصفيق عند نزول الطائرة في المطار لم أره شائعاً في أي مكان في العالم إلا في أمريكا الجنوبية حيث تقضي الطائرات القادمة من أوروبا ١٠ ساعات في الجو أو تزيد، وربما كان تصفيقهم هنا مع قصر الرحلة دليل على أن الطيران لا ينتهي بسلام في بعض الأحيان، كما سمعنا عن سقوط طائرات روسية، أو من صنع روسي بكثرة.

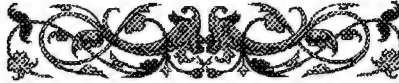
وعندما خرجنا من الطائرة لركوب الحافلة شعرنا بارتياح عظيم للجو الذي هو ربيعي معتدل. بعد جواء البلدان الباردة؛ بل الثالجة التي قدمنا منها، وفي داخل مبنى المطار كان المبنى لا تزال فيه تدفئة، لذلك شعرنا بالحر فيه، وخلعنا بعض ما كان علينا من الملابس الثقيلة، وقد انتهينا من إجراءات القدوم بسرعة عجيبة، فلم يطلبوا منا فتح الحقائب مع أنهم لم يطلعوا على جوازاتنا، وركبنا سيارة أجرة بسرعة أيضاً ذاهبين إلى مدينة إسطنبول عن غير رغبة منا، لأننا كنا نود أن نجد فندقاً في المطار نقضي فيه هذه الليلة قبل السفر إلى (أرمينيا).

لذلك ذهبنا إلى فندق من الدرجة الثانية مصنف من فئات النجوم الثلاث، اسمه فندق سوناي، كنا نزلنا فيه أكثر من مرة، فوجدناه رخيص الأجرة ذا موقع جيد، ويقع على شارع مهم اسمه (ملت جادت) أي شارع الشعب، وملت: هي ملة بمعنى أمة، وجادت: جادة بمعنى طريق، وهاتان كلمتان عربيتان.

كان دخولنا إلى إسطنبول مع غروب الشمس، وشوارعها تسبح في ضباب من بخار الماء، وفي ضباب مثله من دخان السيارات الكثيرة فيها التي تلوث الجو وتفسده.

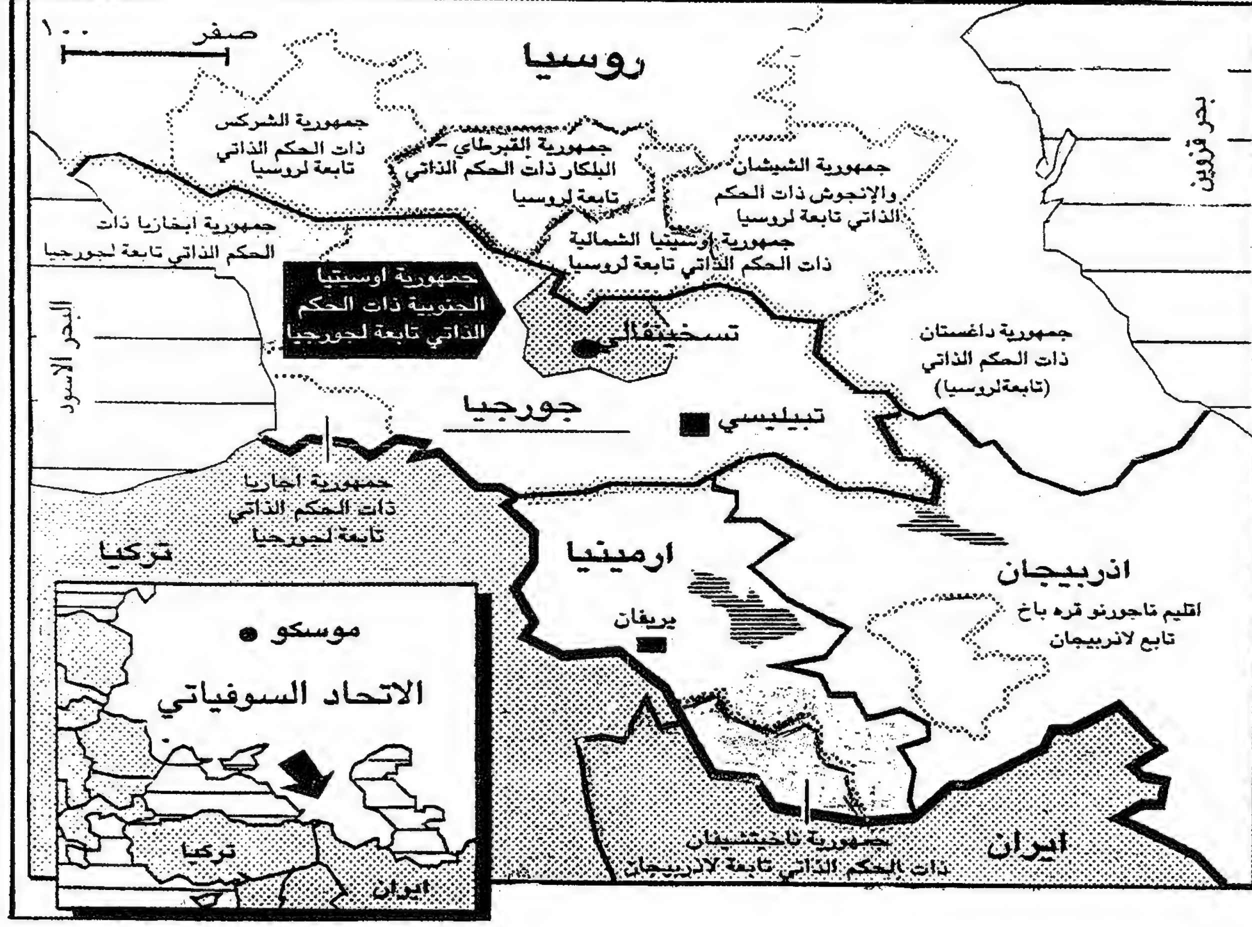
ومع ذلك شعرنا بأننا نعيش في جو طبيعي مريح، وليس كجواء البلدان الشيوعية المتأخرة الباردة.

ولم أخرج من الفندق لكوني أعرف إسطنبول من قبل، وللراحة بعد التنقل الكثير، أما رفيقاي فقد خرجا لاستكمال أسباب سفرنا غداً.



الفصل الثاني

أرمـــينيا



أرميـــــنيا

أرمينيا ARMENIA

تقع جمهورية أرمينيا في جنوب غرب القفقاس على الحدود الشرقية الشمالية لتركيا، وتبلغ مساحتها ٢٩٨٠٠ كم٢ ، ولكن أرمينيا احتلت إقليم ناغورنو قراباغ الذاتي الحكم الذي كان في داخل حدود أذربيجان، ومساحته ٤٤٠٠ كم٢ بالإضافة إلى الأراضي الأذربيجانية حول ناغورنو قراباغ منذ الحروب التي اندلعت بينهما في أواسط عام ١٩٩٣م.

وقد كتبنا اسمها (أرمينيا) جرياً على اللفظ الرسمي، وإلا فإن منطقتها كانت تكتب في الكتب العربية القديمة (أرمينية) غير أن (أرمينيا) الحاضرة لا تقع إلا في جزء صغير من (أرمينية) القديمة، لذا كتبناها كما ينطق بها الآن.

وأرمينيا بلاد جبلية إذ ترتفع الجبال حول بحيرة سيفان، وهى بحيرة جبلية يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ١٩٢٤ متراً، وتتخلل الجبال الشاهقة التي يبلغ أقصى ارتفاع لها في قمة جبل أراغات ٤٠٩٠ متراً الوديان والمجاري المائية التي تصب مياهها في نهر أراكس Araks الذي ورد اسمه في كتب أسلافنا العرب بصيغة (الرَّسّ)، وهو يصب في بحر قزوين، ويعتبر حوضه الذي يعرف باسم سهل أرارات منطقة زراعية خصبة.

و يريفان Yerevan هي عاصمة أرمينيا ، ومن أهم مدنها غومايري Gumayri وفانادزر Vanadzor وسانت اتشمياجين St. Etchmiadzin.

السكان:

يقدر عدد سكان أرمينيا بنحو ٣,٦ مليون نسمة ، وفي الإحصائية الرسمية لعام ١٩٨٩م كان سكان أرمينيا نحو ٣. ٢٨٧. ٦٧٧ نسمة ويتألفون من

القوميات التالية:

٩٣.٣ ٪ الأرمن.

٢,٦ ٪ الأذاريون (أهل أذربيجان).

١,٧ ٪ الأكراد.

١.٥ ٪ الروس.

.٩ ٪ آخر ون.

وعلى أثر الحروب التي نشبت مع أذربيجان، غادر الآذاريون أرمينيا وناغورنو قراباغ إلى بلادهم، كما قدم إليها الأرمن من أذربيجان، كما يوجد الأرمن في جورجيا وتركيا وإيران، ويقدر عدد الأرمن في العالم بنحو ٧,٥ مليون نسمة.

يدين الأرمن عموماً بالكنيسة الأرمينية إلى جانب الأرثوذكسية والبروتستانتية، ويستعمل الأرمن الأبجدية الأرمينية في كتاباتهم، وهم الشعب الوحيد الذي لم تفرض السلطات السوفييتية عليه تغيير حروفه إلى الأبجدية السلافية.

الاقتصاد:

يعتمد اقتصاد أرمينيا على التجارة، وخاصة مع جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وفي عام ١٩٩١م قدر صندوق النقد الدولي الإنتاج الوطني بأنه ١٥٦٧١ مليون روبل، ونصيب الفرد الواحد ٤.٧٥٩ روبل، ولكن الاضطرابات السياسية أدت إلى انخفاض شديد في عام ١٩٩٢م بلغ نسبته ٥٠٪ وهو الأدنى في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وجاءت الحروب المستمرة مع أذربيجان ضربة ثانية للاقتصاد المتدهور.

وعلى العموم، فالزراعة التي يعمل فيها ٤٪ من السكان، ومحصولها الرئيسي: القمح، والتبغ، والفواكه، والخضراوات كانت تمثل ٢٦٪ من الإنتاج الوطني في عام ١٩٩١م، والصناعة التي تقوم على إنتاج الطاقة، والنسيج، والإسمنت، والبلاستيك، والإطارات، والخور، ويعمل فيها ٣١٪ من السكان تمثل حصتها ٣. ٤٢٪ من الإنتاج الوطني.

وفي البناء والإنشاء يعمل ١٤٪ من السكان، وحصتهم ٦. ١٤٪ في الإنتاج الوطني، وأما المعادن التي تستخرج منها فهي بالدرجة الأولى الفحم، والملح، وأكسيد الكالسيوم، والكربون، ثم النحاس، والذهب، والفضة، والحديد، كما أنها بدأت بعمليات التنقيب عن البترول، والغاز الطبيعي بطرح مشروع تموله واشنطون في أغسطس ١٩٩٣م.

والواقع أن ظروف التحول الاقتصادي عن الشيوعية مع أجواء الحرب التي تعيشها أرمينيا أدت إلى عجز كبير في الميزانية بلغ ٦١١. ١٣ مليون روبل قدرت نسبته بنحو ٤. ١٩٪ من حجم الإنتاج الوطني، وبلغ الدين الخارجي ٧٥٠ مليون دولار في بداية عام ١٩٩٢م كما أن أسعار المواد الاستهلاكية ارتفعت إلى ٩٧٣٪ ولكن مما يخفف الأزمة هو تحويلات العمالة الأرمينية التي تعمل في الخارج النقود والعملات الصعبة إلى ذويهم في أرمينيا.

التاريخ:

يرجع الأرمن إلى قبائل الهندو ـ أوروبية التي قدمت من آسيا الوسطى إلى بلاد القفقاس في الألف الأول قبل الميلاد، ويبدو من الأسطورة التي يعتمدها الأرمن أن القبيلة التي استوطنت إقليم أرارات Ararat كانت بقيادة هاييك Hayk الذي يعتبر أباً للأرمن الذين يطلقون على أنفسهم هاي Hai كما يسمون أرمينيا بلادهم هايستان Hayastan أي بلاد هاييك، ويقال إن

أرمينيا مشتقة من أرميناك، وهو الابن الأكبر الذي خلف أباه هاييك في زعامة القبيلة، أو من أرمينوس الذي يقال إنه رئيس إحدى قبائل التراكوفريجية الذي أسس مملكة عرفت باسمه أرمينيا.

وفي القرن الأول الميلادي أصبحت أرمينيا جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، وفي عام ٢٩٥ ميلادي قام من أسموه بالقديس غريغوري البصير بتحويل الأرمن إلى المسيحية، وتعرضت لغزوات الفرس إلى أن فتحها العرب المسلمون عام ٦٣٩م، فصارت جزءاً من البلاد العربية المسلمة.

ثم عات إليها بعد ذلك سيادة الإمبراطورية البيزنطية إلا أن انتصار السلاجقة في معركة ملاذ كيرت أعادها إلى الحكم الإسلامي عام ١٠٧١م.

وبعد انحسار سلطة السلاجقة ظهرت إمارة الأسرة الروبينية، واشترك أمراؤها في الحروب الصليبية ضد المسلمين، ثم أدى تحالفهم مع المغول إلى غزو مماليك مصر لأرمينيا عام ١٣٧٥م.

وبعد غزو تيمور لنك قامت فيها دويلات إسلامية، ولكنها انتهت إلى سيادة الدولة العثمانية عام ١٤٨١ م، ثم أصبحت مسرحاً للمعارك التي دارت بين الصفويين الشيعة والعثمانيين الأتراك السنيين التي بدأت بمهاجمة الشاه عباس الأول الصفوي لأرمينيا عام ١٥١٤م، وانتهى الأمر بسيطرة الروس على أرمينيا بموجب معاهدة تركمان جاى عام ١٨٢٨م.

ومع أن أرمينيا أعلنت استقلالها عقب الحرب العالمية الأولى في ٢٨ مايو ١٩١٨م إلا أن قوات الجيش الأحمر احتلتها، وأعلن عن تشكيل جمهورية أرمينيا السوفيتية في ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠م.

وعلى أثر انهيار النظام السوفيتي أعلنت أرمينيا استقلالها التام في ٢٣ سبتمبر ١٩٩١م.

إقليم ناغورنو- قراباغ:

هو في الأصل قاعدة خانية إسلامية أي مملكة استقل بها باناه علي خان جاوان شير عن الحكم الفارسي عام ١٧٤٨م، واستمرت سيادة هذه الأسرة المالكة المسلمة إلى أن احتلها الروس عام ١٨٠٦م، ثم ألحقت بروسيا بموجب معاهدة كلستان عام ١٨١١م، وألغيت الخانية تماماً بعد ذلك عام ١٨٢٢م.

وخلال الحكم الروسى الذي نصب نفسه وريثاً للإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية حارب الوجود الإسلامي في أوروبا والقفقاس، وعمل على نقل الأرمن والأرثوذكس إلى المناطق الإسلامية، فبعد أن كانت نسبة الأرمن في الإقليم ٨٪ في الإحصائية الروسية لعام ١٨٢٣ أصبحت نسبة الأرمن ٣٤.٨ ٪ في إحصائية عام ١٨٣٢م، ثم ارتفعت نسبتهم إلى ٧٥.٩ ٪ في عام ١٩٧٩ م، وحالياً نسبتهم ٩٥٪ بعد أن طرد الآذاريون المسلمون من إقليم قراباغ عام ١٩٨٨م.

وبالطبع كان يصاحب هذا التغير السكاني تغير سياسي، ورسم الحدود لإقليم قراباغ؛ حيث صدر قرار الحزب الشيوعي السوفييتي في ٢٤ يوليه ١٩٢٣م بتأسيس إقليم ناغورنو قراباغ الذاتي الحكم، وقد رسمت حدوده بحيث تضم الأماكن التي يكثر فيها الأرمن، والمناطق الجبلية التي تصلح أن تكون قاعدة توسع لإلحاقها بأرمينيا. وقد شعر الآذاريون بما يخطط ضدهم من مؤامرة، فنجحت مساعيهم الداخلية والدولية في وضع إقليم ناغورنو - قراباغ الذاتي الحكم تحت سيادتهم.

وقد انتهز الأرمن ظروف سياسة الصراحة والمكاشفة التي عرفت بالبيروتستريكا في الاتحاد السوفييتي لإعلان انضمام ناغورنو قراباغ لأرمينيا

في ٢٠ فبراير ١٩٨٨م كما قرر برلمان أرمينيا بالإجماع ضم قراباغ في ١٥ يونيو ١٩٨٨. وأدى هذا الإجراء إلى اندلاع الحرب بين الآذاريين والأرمن، ووقوع ضحايا بين الطرفين. وقد أصدرت رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفييتي قراراً بوضع إقليم ناغورنو قراباغ تحت إشرافها المباشر في ١٥ يناير ١٩٨٩ إلا إن انهيار الاتحاد السوفييتي ذاته شجع أرمن ناغورنو قرياغ على إعلان استقلالهم عن أذربيجان في ٢٠ سبتمبر ١٩٩١ مما أدى إلى تجدد النزاع؛ حيث دخلت قوات أرمينيا مدينة سوشه، بينما دخلت قوات أذربيجان إلى ناغورنو قراباغ لوقف الغزو الأرمني في ديسمبر ١٩٩١م، ولكن قامت مليشيات الأرمن في ناغورنو قراباغ بدعم من أرمينيا بالاستيلاء على الحكم، واستولى الأرمن على مدينة سوشه والأراضي الأذربيجانية التي تفصل ناغورنو قراباغ عن أرمينيا في مايو ١٩٩٢م.

وبعد ذلك واصلت القوات الأرمينية غزو أذربيجان حتى إنها تحتل أكثر من ثمانية آلاف كيلو متر من الأراضي مما يقدر بثلث أراضي أذربيجان.

ومع أن الحرب قد توقفت بينهما بسبب التدخلات الدولية التي لم تحل المشكلة، إلا أن حكومة ناغورنو قراباغ التي تدعى أرمينيا عدم الاعتراف بها هي في وضع يجعلها مرتبطة فعلياً بأرمينيا، فالانتقال إليها من يريفان عاصمة أرمينيا يمكن أن يكون بحافلة أو طائرة، كما أن النقد المتداول في قره باغ هو الدرام الأرمينية، فيما تنشط المصارف الأرمينية في عملية تطوير الشركات المحلية في ناغورنو قراباغ، وكذلك المساعدات التي تقدمها الجاليات الأرمينية الكبيرة الموزعة في أنحاء العالم مصدر أساسي لتطوير الإقليم.

وأبرز مثال على ذلك الطريق السريع الجاري بناؤه بين يريفان

وستيباناكيرت عاصمة ناغورنو قراباغ الذي يتم بأموال من الخارج.

ومما زاد من ارتباط ناغورنو قراباغ بأرمينيا أن قام رئيس جمهورية أرمينيا بتعيين روبرت كوتشاريان رئيس جمهورية ناغورنو قراباغ الانفصالي الذي يعتبره الانفصاليون الأرمن بطلهم العسكري رئيساً لمجلس الوزراء في أرمينيا بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٩٧ ولا زالت أذربيجان تطالب بجلاء القوات الأرمينية عن أراضيها وعودة الإقليم المتنازع عليه لسيادتها بحكم ذاتي داخلي.

الأحزاب السياسية في أرمينيا :

١- الحزب الديمقراطي الأرمني، وهو في الأصل الحزب الشيوعي لأرمينيا سابقاً يرأسه حالياً آرام ساركيسيان Arim Sarkisyan.

٢- الاتحاد الثوري الأرميني من أقدم الأحزاب الأرمينية إذ تأسس في عام ١٨٩٠ ، وكان الحزب الحاكم فيما بين ١٩١٨- ١٩٢٠ ولكن جرى حظره إبان الحكم السوفييتي، وعاد لممارسة نشاطه بصفة رسمية عام ١٩٩١ ويرأس أعضاءه البالغ عددهم أربعين ألفاً روبن هاكوبيان Rurbacn Hakobyarc.

٣- حزب الحركة الأرمينية الوطنية تأسس عام ١٩٨٩ ويرأسه تيربتروسيان Ter Petrodyan رئيس جمهورية أرمينيا، وهو حزب قومي متطرف.

٤- حزب الاتحاد الوطني الديمقراطي، وقد انفصل عن حزب الحركة الأرمينية الوطنية عام ١٩٩١ ، ويتزعمه فازغين مانوكيان Vazgen Mannukyan.

تاريخ الحكم الإسلامي في أرمينيا :

لقد فتح العرب أرمينيا بقيادة سراقة بن عمرو عام ٢٢ هـ/٦٤٣ م، ثم انتقض الأرمن، فغزاهم المسلمون العرب بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي، وأخضعوهم للصلح، وقد استتب الحكم الإسلامي في عهد ولاية الوليد بن عقبة بن أبى معيط إبان خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وكانت الفتوحات الإسلامية قد مهدت لقدوم هجرات عربية للاستيطان فيها، وفي عهد الأمويين أصبحت أرمينيا ثغراً هاماً ضد الخزر والبيزنطيين، وتوالى على ولاية أرمينيا حكام عرب أقوياء لقمع ثورات الأرمن، أو صد هجمات البيزنطيين، كما كان أمراء الأرمن يدفعون الجزية والخراج للمسلمين؛ غير أن ضعف الدولة العباسية التي سيطر عليها الأتراك دفع أشوط الأول ملك أرمينيا إلى إعلان التحالف مع الإمبراطورية البيزنطية ضد المسلمين في عام ٨٨٥ م.

ولكن انتصار السلاجقة المسلمين في معركة ملاذ كيرت أعاد أرمينيا إلى الحكم الإسلامي مجدداً عام ١٠٧١م.

ثم إن انحسار نفوذ السلاجقة أدى إلى استقلال أرمينيا وتعاون ملوكها مع القادة الصليبيين ضد المسلمين؛ بل شارك ملكها هيتوم الأول في غزو المغول لأراضي الشام، مما دفع الملك الظاهر بيبرس بعد انتصار المسلمين على المغول أن سير جيشاً لتأديب الأرمن عام ١٢٢٦م.

وما كان بال الأرمن يطمئن أبداً وهم يرون استقرار العالم الإسلامي، فقد كانت قواتهم في مقدمة الجيوش الصليبية التي أثارت الرعب والخوف في بلاد المسلمين، ولكن قضى مماليك مصر على دولتهم بالاستيلاء على سيس عاصمتهم آنذاك، وأخذ الملك ليون السادس أسيراً إلى القاهرة عام ١٣٧٥م.

وبعد وفاة تيمورلنك الذي احتل أرمينيا عام ٧٨٦ هـ/١٣٨٤ م استعاد السلطان أحمد الجلايرى السيادة عليها عام ١٤٠٨م، ثم ظهر قره محمد درموس زعيم قبائل قرع قويوئلى التركمانية، ثم تولت الحكم فيها أسرة آق قويوئلى عام ١٤٦٨ م، ولكن السلطان محمد الفاتح أخضع أرمينيا لحكم العثمانيين عام ١٤٧٣م. إلا أن الصفويين الذين هالهم تقدم الأتراك في القفقاس أعلن ملكهم شاه إسماعيل الأول الحرب ضد العثمانيين في عام ١٤١٥م.

ومنذ ذلك التاريخ صارت أرمينيا مسرحاً للمعارك التي استعرت بين الدولتين بين كر وفر إلى أن احتلها الروس بموجب معاهدة تركمان جاي في ١٨٢٨.

وتولت روسيا بعد ذلك إيجاد وسيلة لغزو الدولة العثمانية بالمسألة الأرمنية، وقد زعمت أن الاحتلال العثماني لأرمينيا الغربية ينذر بالقضاء على الوجود الأرمني فيها، وقد نجحت في إبراز المسألة الأرمينية في معاهدتي سان استيفانو وبرلين عام ١٨٧٨م.

ولكن روسيا بدعوى عدم تحقيق تركيا وعودها لإجراء الإصلاحات في مناطق الأرمن قامت بغزو الدولة العثمانية، واستولت على مدينة فان التي تقع في أعلى الهضاب الغربية للأناضول في خريف عام ١٩١٤م، ومع أن الجيش العثماني قد تمكن من محاصرة الروس في سارقاميش في شهر ديسمبر ١٩١٤ ، فإن الروس نجحوا في اختراق الحصار في شهر يناير ١٩١٥م، وهنا أدرك العثمانيون تعاون الأرمن مع الروس ضدهم، وخاصة أن قوات الدفاع الذاتي الأرمينية التي كان يقودها آرام مانوكيان التي تحولت إلى مجموعات مقاتلة وانتحارية لمقاتلة قوات أنور باشا التركي والقوات الكردية المتحالفة

معها باتت على صلة مكشوفة بالروس، وأمام هذا الأمر الواقع راح الجنود الأتراك يجهزون على كل أرمني يشتبهون بمناصرته الروس.

وقد استشرى العداء بين الأرمن والمسلمين، وطلب الحلفاء وقف المجازر، مما اضطر السلطان عبد الحميد لإصدار أمر يقضي بنقل أرمن الأناضول الشرقية إلى مناطق سوريا، وقيلقية في ١٩١٥/٥/٣٠.

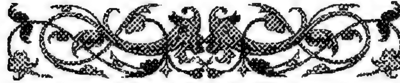
وقد اعترفت حكومة تركيا بترحيل الأرمن إنقاذاً لهم من مصير أسوأ من القتل الجماعي على يد المتحمسين الغاضبين، ويمكن أن يقال: إن التاريخ لم يقل الحقيقة حول هذا الموضوع حتى اليوم. وقبل أعوام كتب المستشرق برنارد لويس يؤكد نظرية السلطات التركية، وأن المجازر الأرمينية لم تكن كما يصورها المؤرخون الأرمن أو المؤيدون لهم، وأن عمليات الترحيل الجماعي تكمن أسبابها في الاستفزازات التي مارسها الشباب الأرمن لدعم روسيا العنصرية ضد الأتراك.

ومع أن التاريخ يذكر اعتناق الأرمن للإسلام، ومنهم من تولى مناصب هامة في الدولة الإسلامية أمثال علي بن يحيى الأرمني الذي كان والياً على أرمينيا، وتوفي عام ٨٦٣ م، وبدر الجمالي قائد قوات الفاطميين بالإضافة إلى الأرمن المسلمين الذين يعرفون باسم Hamshen في تركيا، فإن إحصائية عام ١٨٩٦ تبين أن نسبة الأرمن في مناطق الأكثرية الأرمينية تمثل ٣٥ ٪ إذ كان عددهم ٧٦٠,٠٠٠ نسمة من مجموع السكان البالغ مليوني نسمة.

وكان المسلمون الأكراد والآذاريون والأتراك والهامشين الأرمن المسلمون هم الأكثرية، إلا أنه في الوقت الحاضر لا يوجد في أرمينيا عدد يذكر من المسلمين، مع أن الأكراد هم أيضاً من سكان أرمينيا وكانت أسرة صلاح الدين الأيوبي من بلدة دبيل أودوفن Dvin التي هي قرية صغيرة

تقع في جنوب يريفان عاصمة أرمينيا حالياً.

والخلاصة أن الأرمن كانوا منذ أن فتح المسلمون العرب بلادهم إلى العصر الحديث يقومون بحروب ومشاكسات ومعاكسات لم يقم بها أي شعب من الشعوب التي احتلها المسلمون على مدى التاريخ، وكان نتيجة ذلك أن تقلصت بلادهم، وضاقت رقعتها عما كانت عليه إبان الفتح العربي إلى ما هي عليه الآن؛ بحيث أصبحت لا تصل إلى ثلاثة أضعاف مساحة لبنان في الوقت الحاضر.



أرمينيا في المصادر العربية

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: ((إرمينية - بكسر أوله، ويفتح، وسكون ثانيه، وكسر الميم، وياء خفيفة مفتوحة-: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمني على غير قياس، بفتح الهمزة وكسر الميم، وينشد بعضهم:

ولو شهدت أم القديد طعاننا بِمَرْعش، خيل الأرمني أرنَّتِ

وحكى إسماعيل بن حماد فتحهما معاً؛ قال أبو علي: أرمينية إذا أجرينا عليها حكم العربي كان القياس في همزتها أن تكون زائدة، وحكمها أن تكسر لتكون مثل إجفيل وإخريط وإطريح ونحو ذلك،ثم الحقت ياء النسبة، ثم ألحق بعدها تاء التأنيث، وكان القياس في النسبة إليها أرمينيي، إلا أنها لما وافق ما بعد الراء منها ما بعد الحاء في حنيفة حذفت الياء كما حذفت من حنيفة في النسب، وأجريت ياء النسبة مجرى تاء التأنيث في حنيفة كما أجرينا مجراها في رومي وروم، وسندي وسند، أو يكون مثل بدوي ونحوه مما غير في النسب.

قال أهل السير: سميت أرمينية بأرمينا بن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح عليه السلام، وكن أول من نزلها وسكنها، وقيل: هما أرمينيتان: الكبرى والصغرى، وحدّهما من برذعة إلى باب الأبواب[1]، ومن الجهة ا لأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق[2]، وصاحب السرير، وقيل: إرمينية الكبرى خلاط ونواحيها، وإرمينية الصغرى تفليس[3] ونواحيها؛ وقيل: هي ثلاث أرمينيات، وقيل: أربع.

---

(١) باب الأبواب: هي دربند الواقعة الآن في جمهورية داغستان.

(٢) جبل القبق: هو جبال القوقاز.

(٣) تفليس: عاصمة جمهورية جورجيا في الوقت الحاضر.

إلى أن قال:

وفي كتب الفرس: أن جرزان وأرّان كانتا في أيدي الخزر، وسائر أرمينية في أيدي الروم يتولاها صاحبها أرميناقس وسمته العرب آرميناق، فكانت الخزر تخرج فتغير، فربما بلغت الدينور، فوجّه قباذ بن فيروز الملك قائداً من عظماء قواده في اثني عشر ألفاً، فوطئ بلاد أرّان: ففتح ما بين النهر الذي يعرف بالرس إلى شروان، ثم إن قباذ لحق به فبنى بأرّان مدينة البيلقان، ومدينة برذعة، وهي مدينة الثغر كله، ومدينة قبلة، ونفى الخزر.

ثم ملك بعد قباذ ابنه أنوشروان فبنى مدينة الشابران ومدينة مسقط، ثم بنى باب الأبواب؛ وإنما سميت أبواباً لأنها بنيت على طرق في الجبل، وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سماهم الياسجين، وبنى بأرض أرّان أبواب شكى والقميران وأبواب الدودانية، وهم أمة يزعمون أنهم من بني دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان.

إلى أن قال:

وعمر مدينة دبيل ومدينة النشوى وهي نقجوان[١]، وهي مدينة كورة اليسفرجان، وبنى حصن ويص وقلاعاً بأرض السيسجان، منها: قلعة الكلاب والشاهبوش وأسكن هذه القلاع والحصون ذوي البأس والنجدة، ولم تزل أرمينية بأيدي الروم حتى جاء الإسلام، وقد ذكر في فتوح أرمينية في مواضعه من كل بلد.

وذكر ابن واضح الأصبهاني أنه كتب لعدة من ملوكها وأطال المقام بأرمينية ولم ير بلداً أوسع منه ولا أكثر عمارة، وذكر أن عدة ممالكها

---

(١) هي نخجوان في الوقت الحاضر، وقد زرتها، ووصفت ذلك في كتاب: ((الرحلة الشمالية)).

مائة وثماني عشرة مملكة، منها: صاحب السرير ومملكته من اللان وباب الأبواب وليس إليها إلا مسلكين، مسلك إلى بلاد الخزر ومسلك إلى أرمينية، وهي ثماني عشر ألف قرية، وأرّان أول مملكته بأرمينية، فيها أربعة آلاف قرية، وأكثرها لصاحب السرير، وسائر الممالك فيها فيما بين ذلك تزيد على أربعة آلاف وتنقص عن مملكة صاحب السرير، ومنها: شروان وملكها يقال له شروان شاه، وسُئل بعض علماء الفرس عن الأحرار الذين بأرمينية لم سموا بذلك؟ فقال: هم الذين كانوا نبلاء بأرض أرمينية قبل أن تملكها الفرس، ثم إن الفرس أعتقوهم لما ملكوا وأقروهم على ولايتهم، وهم بخلاف الأحرار من الفرس الذين كانوا باليمن وبفارس فإنهم لم يُملكوا قط قبل الإسلام فسموا أحراراً لشرفهم، وقد نسب بهذه النسبة قوم من أهل العلم، منهم:أبو عبد الله عيسى بن مالك بن شمر الأرمني، سافر إلى مصر والمغرب[1].

وقال ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، وقد زارها في القرن الرابع الهجري، وكتب ما كتبه عن مشاهدة وعيان، وكانت في وقته تحت سلطة المسلمين: وأما دبيل ونشوى، فإن دبيل مدينة أكبر من اردبيل وهي أجلّ ناحية وبلدة بأرمينية الداخلة، وهي قصبة أرمينية، فيها دار الإمارة منها' دون جميع نواحي أرمينية، كما أن دار الإمارة بالران ببرذعة وبأذربيجان بإردبيل، وعليها سور، والنصارى بها كثيرة، ومسجد جامعها إلى جنب البيعة كمسجد حمص في مشاركة البيعة ومصاقبتها وملاصقتها، ويرتفع: بها - أي يُصدَّر منها - ثياب مرعزّى وصوف من بُسط ووسائد ومقاعد وأنماط وتكك وغير ذلك من أصناف الأرمني المصبوغ بالقرمز وهو صبغ أحمر يصبغ به المرعزى

---

(١) هذا كله يتحدث عن إرمينية الكبرى التي لم يبق منها باسم (أرمينية) الآن إلا أقل من عشرها.

والصوف، وأصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز إذا نسجت على نفسها، ويرتفع منها بزيون كثير، فأما بزيونهم فله نظير كثير في بلد الروم، وإن كان في نفسه مرتفعاً[1]، وأما ما يعرف من عملهم بالأرمني البتوت والمقاعد واليسط والستور والأنخاخ والمساور والوسائد والأنماط فلا نظير لها في شيء من الأرض بوجه من الوجوه والأسباب كلها.

وكانت في قديم الأيام لسنباط بن أشوط ملك الأرمن قاطبة ولأجداده، ولم تزل في أيدي الكبراء منهم، فأزالها أبو القاسم يوسف بن أبي الساج عنهم، وأخرجها من أيديهم، وبأيديهم عهود للصدر الأول بإقرارهم على حالهم وأخذ الجزية منهم علي ما جرت به مقاطعتهم، وكان بنو أمية وبنو العباس قد أقروهم على سكناتهم، ويقبضون الرسوم علبهم من جباياتهم فتحيفهم وقصدهم ابن أبي الساج فلم يفلح بعد عذرهم، ولا ارتفعت له راية إلى اليوم، والغالب على أرمينية النصرانية وللسلطان عليهما كالخراج في كل سنة كأنهم اليوم في عهد على حسب ما كانوا عليه بغير حقيقة تطرقهم السلاطين المجاورون لهم فيسبونهم ويؤذونهم ويخفرون ذمتهم، وكان رقيقهم لا يباع ببغداد، وأدركته كذلك إلى سنة خمس وعشرين وثلثمائة، ولا يجيزه أحد لأنهم في ذمة معروفة ومعهم غير عهد.

وهما أرمينيتان: فإحداهما تعرف بالداخلة، والأخرى بالخارجة، وفي بعض الخارجة مدن للمسلمين، وفي أيديهم لم يزل يليها المسلمون، وهي لملوك الإسلام كارجيش، ومنازجرد، وخلاط، وحدودها ظاهرة.

وقال ابن حوقل في كتابه صورة الأرض أيضاً:

---

(١) البزيون: نوع من قماش كالحرير أدركنا الناس في بلادنا يلبسون جبة منه يسمونها: (الزبون).

والطريق من برذعة إلى دبيل في الأرمن وجميع هذه القرى التي في ضمنها والمدن مملكة سنباط بن أشوط الأرمني التي قبضها عنه يوسف بن أبي الساج غدراً منه وظلماً وخلافاً لله تعالى ولرسوله ﷺ إذ يقول أنا أحق من وفى في ذمته، ليس لإمام ولا لمن تبع إماماً أن يؤذي ذمياً تعنتاً ولا تعصباً في شيء من أسعار أهل الذمة إلا تأديباً وتثقيفاً، وقال عليه السلام: المسلمون تكافأ دماؤهم يقوم بذمتهم أدناهم، وهم حرب على من سواهم، فلو أن رجلاً من أفناء المسلمين رضيته فئة منهم وهم في ثغر وأمرته عليهم، واختبرته فوجدته عالماً عدلاً وحكم فيه على طريق النظر والمصلحة لهم ولمن وراءهم من المسلمين بشروط رآها فيمن جاوره من دور الحرب لم يكن لأحد نقضها شطراً وبطراً وذهاباً بالإعجاب إلى ما ليس للإنسان فعله، فكيف بالصدر القديم والإمام العدل الكريم عليه السلم وقد عقد عقداً ورأى رأياً ظاهره صلاح للمسلمين وشرف إلى يوم الدين بقبضه جزية ملك عظيم واستخدامه مع التمنع برجاله فبما ناب المسلمين ودهمهم.

وقال الإدريسي في كتابه: ((نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)):

وجبل القبق[1] جبل عظيم موصوف بالشماخة والعلو. زعم أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي أن فيه ثلاث مائة قرية، لكل قرية منها لسان منفرد يتكلم به أهلها، قال الحوقلي في كتابه: كنت أنكر هذا وأستبشعه حتى اجتزت ببعض قرى هذا الجبل، فوجدت لأهل كل قرية منها لساناً يتكلمون به ليس من ألسن الأذرية ولا الفارسية.

إلى أن قال:

(١) جبل القبق: جبال القوقاز.

وبأرض أرمينية النهران المذكوران أعني: نهر الرس ونهر الكر، وممرهما من المغرب إلى المشرق، فأما نهر الكر فنهر كبير تجرى فيه السفن، وهو يخرج من ناحية الجبل، فيمر بتفليس، ثم يمتد على حدود جنزة وشمكور، ويجتمع مع نهر الرس، ويصب في بحر الخزر[1]، وكذلك نهر الرس كبير جداً يخرج من نواحي أرمينية الداخلة من قالي قلا، فيمر بآران فيصب فيه نهر آران، فيمر في شمالها إلى أن يأتي ورثان، ثم يجتمع بنهر الكر وبينهما مدينة البيلقان، ويصبان إذ ذاك في بحر الخزر.

أقول: الكر هو النهر الذي يشق مدينة تفليس عاصمة جورجيا، والرس هو نهر (آراس) الآن الذي يمر بأرمينية الحالية، وبمدينة نخجوان في أذربيجان، وقد وصفت الأول في كتاب ((بلاد العربية الضائعة: جورجيا))، والثاني في كتاب ((رحلة الشمال))، وكان أسلافنا العرب يعتبرون أن أرمينية تمتد حتى تشمل تفليس ونواحي جيورجيا في الوقت الحاضر.

وقال الحميري في الروض المعطار:

إرمينية: بكسر أوله وإسكان ثانيه: بلد معروف يضم كوراً كثيرة، سميت بكون الأرمن فيها، وهي أمة كالروم وغيرها، فتحت في زمان عثمان ﷺ، فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين، قالوا: وفي السنة التي بويع فيها عثمان ﷺ غزا الوليد بن عقبة ﷺ أذربيجان وإرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أيام عمر ﷺ، فدعا الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه أمامه مقدمة له، وخرج الوليد في جماعة الناس يريد أن يمعن في أرض إرمينية فمضى حتى دخل أذربيجان، وبعث سلمان بن ربيعة إلى إرمينية في اثني عشر ألفاً، فسار في أرضها فقتل وسبى وغنم، وانصرف مملوء اليد إلى الوليد،

---

(١) بحر الخزر: هو الذي يسمى الآن: (بحر قزوين).

فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته، فلما دخل الموصل راجعاً أتاه كتاب عثمان ﷺ بأن معاوية ﷺ كتب إليه بأن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن نمدّهم بإخوانهم من أهل الكوفة. وحكى الواقدى أن عثمان أمر معاوية رضي الله عنهما، بإغزاء حبيب بن مسلمة في أهل الشام إرمينية، فوجهه إليها معاوية، فبلغ حبيباً أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك، وكان حبيب صاحب كيد، فأجمع على أن يبيِّت الموريان[1]، فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبية يذكر ذلك فقالت له: فأين موعدك؟ فقال: سرادق الموريان أو الجنة، ثم بيتهم فقتل من أشرف له، ثم أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت إليه فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق، ثم مات عنها، فخلفه عليها الضحاك بن قيس الفهري فهي أم ولده.

قلت: وإرمينية من الثغور الجزرية، وقل سميت إرمينية باسم إرمين قومس ياشور الملك، فسمي البلد باسمه، وسميت المراحل بأسماء بنيه: إردبيل وورثان ودبيل وبيلقان بني أرمين.

وفي سنة تسع وتسعين احتفر عدي بن عدي نهراً بأرمينية يقال له اليوم نهر عدي.

قول لأحد المؤرخين المتأخرين:

من المؤرخين المحدثين الأستاذ يوسف عزة باشا الذي كتب كتابه: ((تاريخ القوقاز))، وعرّبه عبد الحميد غالب بك قال فيما يتعلق بإرمينيا ناقلاً معظم ما ذكره عن مصادر غير عربية.

---

(١) يبيّته: أي يهجم عليه ليلاً.

تاريخ بلاد الأرمن (أرمنستان)

أرمنستان القديمة هي البلاد الواقعة ما بين نهاية ققفاسيا الجنوبية والشمال الغربي لإيران، والشمال الشرقي لآسيا الصغرى.

وثلثا هذه القطعة داخلان الآن في حدود إيران وروسيا، والثلث الباقي في بلاد الحكومة العثمانية. وأقول اتباعاً لرأي العلامة مورجان إن الأرمن ينتسبون للجنس (الآري)، وكانوا قبل ١٣٠٠ سنة ق. م. يعيشون بجوار ((أرميد))، وقبل ذلك كانوا يسكنون البلقان.

وكانوا يقطنون حوالي قونية (فريجي) وقيصري (قابيادوس) ومنها اتجهوا نحو جبال (آرارات)، وذلك قبل (هيرودوت)، واستمر تقدمهم إلى جوار أرضروم في القرن السادس قبل المسيح حتى (وان) وحوض نهر كر قبل المسيح بـ ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة (مورجان المجلد الثاني صحايف ٤٨- ١٢١- ١٤٨)

ويدعي الأرمن أن أصلهم يمتد إلى نسل (هايغ بن توغامور) الوارد ذكره في الإنجيل، وإن لفظة أرمن مشتقة من اسم (أرماناغ)، أومن اسم (آرام) أحد أحفاده.

كان الأرمن قبل المسيح بقرنين تابعين للدولة (السلوقية) التي تأسست على أنقاض مملكة إسكندر الأكبر بسوريا (سلوقوس هذا قائد من قواد إسكندر الأكبر، وشكل حكومة بسوريا بعد وفاة الإسكندر بثلاثة عشر سنة يعني سنة ٣١٠ قبل المسيح).

وعندما قهر الرومان (أنتيوكوس) Antiochus العامل للدولة السلوقية بسوريا قام الأرمن وأعلنوا استقلالهم وقسموا البلاد إلى قسمين:

أرمينيا الكبرى وأرمينيا الصغرى (الغربية) وصار (أرتاقسياس) ملكاً

على أرمينيا الكبرى، وهو قائد من قواد (أنتيو كوس) وأسس مدينة روان (أرتاقسانا) ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى تغلب عليه آخر ملوك الدولة (السلوقية)، وضم البلاد إلى الحكومة الأصلية (مورجان المجلد الثاني ص ١٦٨)، وأما أرمينيا الصغرى فحكمها (دريادارس) آخر قواد (أنتيوكوس) وتملك عليها وعلى أرمينيا الكبرى.

ولا يعلم بالتحديد بقاء أرمينيا الكبرى تحت نير الدولة السلوقية ولكن من المعلوم أن الملك (ديكران) حكمها مستقلاً قبل الميلاد باثنتين وسبعين سنة. ولما حاول الملك (ديكران) أن يشد أزر (متريداد) حاكم بونت - سواحل البحر الأسود- ضد (بومبيي) القائد الروماني انهزم هو وحليفه، ووقعا تحت سلطة الرومان، وعلى كل حال فإن من الثابت أن أرمينيا الصغرى وقعت تحت استيلاء (متريداد) في حدود سنة ١١٢ قبل الميلاد، وإن أرمينيا الكبرى حكمها ولاة اسكندر الأكبر، والدولة السلوقية مدة ١٧٦ سنة تقريباً، أي من سنة ٣٢٥ إلى سنة ١٤٩ قبل الميلاد، ومن هذا التاريخ انتقلت من حكم الدولة السلوقية إلى حكم دولة الفرس (مورجان - المجلد الثاني - صحيفة ٢١٠).

وكان الرومان والفرس كفرسي رهان على امتلاك أرمينيا وجنوبي القفقاس لعلمهما أن هذه النقطة هي المسيطرة على التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى التي لا ينضب معينها (مورجان- المجلد الثاني- صفحة ٢١٥).فلهذا كان مركز جنوبي القفقاس في نظرهما الهدف الأعلى وكانا دائماً يتحينان الفرص ويقفان بعضهما لبعض بالمرصاد.

وفى صدر القرن الثاني للميلاد احتل (تراجان) إمبراطور الرومان بلاد أرمينيا وجعلها ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية، كما أن الإمبراطور

(وسبسيان) شيد القلاع والاستحكامات في جنوبي قفقاسيا وأقام فيها قوة عسكرية أمام هجمات سكان قفقاسيا الشمالية خصوصاً جيرانه القوصحه (آستين) الأقوياء جداً في ذلك الوقت، ولقد أراد الإمبراطور (أوجست) تعيين البرنس (آريو بارزان) أحد أمراء (ميديا) أميراً على أرمينيا، بيد أن الأرمن لم يقبلوا حكم هذا الأجنبي، ولم يذعنوا له فقتلوه، وكان ذلك في أوائل القرن الثاني للميلاد.

ولم يستفد الأرمن قط من ضعف حكومة روما بل إن الفرس هم الذين استفادوا من ذلك وبسطوا سلطانهم ثانياً على تلك الربوع.

و نظراً لعدم استقرار الأحوال حينذاك وقعت بلاد الأرمن مرة أخرى في قبضة (متر يداد) ملك إيبريا، واحتل (ارتاقستا- روان) وأقام (تير يدات) الروماني ملكاً عليها، وهو أول ملك مسيحي جلس على عرش أرمينيا (مورجان المجلد الثاني، صفحة ٢١٦).

غير أن الحال لم يدم طويلاً حتى امتلكتها مرة أخرى دولة (آل ارزاس) الفارسية Arsace - Arsacides.

وفي هذه الفترة استولى (آل ساسان) على عرش الفرس سنة ٢٢٦ م وقلبوا معتقدات القوم رأساً على عقب، وجعلوهم يعبدون الكواكب والنجوم بدلاً من الأصنام والنار. وفي سنة ٢٣١ م استولى أول ملوك الساسان (ارتاسه رخس) على بلاد ما بين النهرين وسوريا وبلاد الأرمن وأعمل فيها الهدم والتخريب وقتل الملك الأخير من حكومة ((آل أزراس))، وولى إرداشير ابنه (سابور) حاكماً على أرمينيا في سنة ٢٣٩ بدله ومحا (سابور) من بلاد أرمينية جميع الآثار الدينية التي شيدها (آل ارزاس) وحرق معبد النار المشهور بمدينة

(باكو)[1]، وأجبر الأرمن الحديثي العهد بالنصرانية على أن يعتنقوا مذهب (المزدقية).

***

ولقد ناضل الأرمن كثيراً لاسترداد استقلالهم أمام ظلم وعسف الفرس ولكنهم لم يظفروا بشيء، وغلبوا على أمرهم.

وظلوا هكذا تتقاذفهم الأقدار إلى أن ابتدأت القلاقل العظمى بآسيا بين الهند والهند الصينية بسبب الاختلاف المذهبي بين عباد (بوذا) و (البراهمة)، وانتهى الأمر بقبول مذهب بوذا وانتشاره في الصين.

وبسبب هذه الاختلافات الدينية وما جرتها من حروب اختلت النظم الحكومية بآسيا الوسطى، وفقد الأمن وسادت الفوضى بصورة فظيعة، وعم البلاء جميع هذه البلاد الواسعة، الأمر الذي أجبر كثيراً من الأقوام على مغادرتها والهجرة إلى خارجها.

وكان أكثر الناس هجرة (الأتراك) الذين خرجوا من جوار جبل (آلتاى) واتجهوا ناحية الغرب قاصدين أوروبا.

وهؤلاء الأتراك (الهون) فتحوا القسطنطينية واحتلوها، وكان من نتائج هذا الاختلال في التوازن أن وقعت هذه الارتحالات المتسلسلة التي أدت إلى إحداث انقلابات عالمية.

وقسم منهم اتجه نحو سواحل بحر (الخزر)، وانحدروا منه إلى (دربند) ومنها إلى جنوب القفقاس، وأحدثوا به هرجاً وفوضى.

---

(١) باكو: هي عاصمة جمهورية أذربيجان في الوقت الحاضر.

ولم يسلم حاكم أرمينيا العامل من قبل الفرس وقتئذ من بطش (الهون)، فانهزم أمامهم ودانت حكومته لهم بالطاعة، واغتنم الأرمن وسكان جنوبي القفقاس فرصة تقهقر الفرس السياسي وضعفهم المادي، وعمدوا إلى الثورة، ووقفوا في وجه الفرس، ولكن لا يوجد ما يثبت أنهم نالوا استقلالهم من وراء هذه الحركة.

***

و يؤخذ من المصادر التاريخية أن (هرقل) إمبراطور بيزانطة احتل بلاد (أباظة- أبخاز) ومنغارايا وأرمينيا سنة ٦٢٤ م، فأرسل عليه الفرس جيشاً عظيماً. ولما علم (هرقل) بذلك استعان بسكان شمالي قفقاسيا، وطلب معونتهم، فنزلوا إلى الجنوب ودحروا جيش الفرس وغلبوه.

ولكنهم في الوقت نفسه خربوا كثيراً من بلاد الجنوب.

وفي سنة ٦٢٦ توغل (هرقل) داخل إيران، وقهر الساسانيين وبذلك شملت حدود بلاده الشرقية السكينة والاطمئنان.

***

وكان العالم وقتئذ يتخبط في ظلمات الجهل والتوحش لا يعرفون قبلة يرضونها ولا قبساً يهتدون به مما كانوا فيه من فوضى حتى شع نور الإسلام وانشق فجره، ولمع بريقه في آفاق بلاد العرب.

وفي هذا العصر جاء الحق من عند الله وظهر دينه القيم على لسان نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام في شبه جزيرة العرب المقدسة التي لم تكن معروفة في آسيا ولا أوروبا، ومن ذلك الوقت ابتدأ نور الإسلام يزداد شعاعاً ويبهر الأنظار، ويشع على الكون، ويهدي الخليقة إلى الصراط المستقيم.

وكانت الأخلاق البشرية وقتئذ محتاجة إلى التقويم، والنفوس إلى الاطمئنان، والقائد إلى الهدى.

***

وابتدأ الموحدون (المسلمون) في الانتشار على الأرض لهداية الناس ووصل منهم ١٨٠٠٠ فارس إلى جنوبي القفقاس سنة ٧٣٧ م (سنة ٢٢هـ)، وجعلوا ينسخون العادات والمعتقدات البالية ،ويحاربون النصرانية و يدخلون الناس في دين الله أفواجاً.

ولقد حكم العرب بلاد الأرمن أيضاً حتى إن أحدهم استقل بحكم مقاطعة من بلادهم وضمها إليه نهائياً.

وفى أثناء حكم ا لعرب ابتدأ أمراء الأرمن باعتناق الإسلام وتبعهم باقي الأهالي مقتدين بهم.

ودام حكمهم لجنوبي القفقاس لغاية سنة ١١٠٠ م، أي إلى ابتداء الحروب الصليبية (دام حكم العرب مدة ٤٦٣ سنة)، ونظراً لتألب النصارى ضد العرب ومحاربتهم في كل مكان اضطر العرب لتوحيد صفوفهم،فسحبوا معظم قواتهم من جنوبي ا لقوقاز.

وعندما ابتدأ انفصام قوة العرب في القرن الحادي عشر للميلاد ترك (السلجوقيون) بلادهم التركستان واستولوا على خوارزم وإيران و بغداد ، وفي سنة ١٠٦٣ استولوا على جنوبي القوقاز مبتدئين ببلاد الأرمن.

وكما أن السلجوقيين خلفوا العرب على تلك الممالك فكذلك جيش "جنكيز خان " (المغولي) قد استولى عليها سنة ١٢٣٦ م، وجعل عاليها سافلها ، وصارت بلاد القفقاس الجنوبية مرة أخرى مسرحاً للظلم والتخريب.

وأمام هذا السيل الجارف من القتّالين اعتصم أكثر الكرج[1] بجبال القفقاس، والأرمن بجبال (الأكوز) و(كوك جاى)

و بينما كانت الأمور تجرى هكذا كان السفاح الآخر ((تيمورلنك)) يكتسح إيران وآسيا الصغرى، ويتقدم فيهما مخرباً سفاكا نهاباً حتى التقى في صحراء ((أنقرة)) بجيش السلطان العثماني ((بيلدرم بايزيد)) فمزق شمله وأسر السلطان ودخل جنوبي القفقاس.

***

فيتضح من الحوادث التي مرت على أرمينيا أنها كانت ميداناً مهماً لغزو الفاتحين والطامعين وسبباً لحروب المغيرين والمقيمين، وأنها كانت ضحية أطماعهم ومسرحاً لأغراضهم.

***

وبعد عهد تيمورلنك يجيء عهد التنافس عليها بين (الترك) و(العجم) فتراق لأجلها دماء غزيرة وتزهق أرواح كثيرة، وفي القرن الثامن عشر تشترك (الروسيا) معهما في هذا التنافس.

وبعد ذلك يجيء عصر تسود فيه السكينة لمدة طويلة على ربوع أرمينيا.

فيستخلص من هذا أن ملوك الأرمن لم يحكموا أرمينيا الكبرى طويلاً وإن حكومتهم المستقلة لم تدم كثيراً.

يقول المؤرخ (مورجان) بناء على رواية الأرمن أنفسهم أن أول من سكوا النقود بأسمائهم هم ملوك أرمينيا الصغرى في سنة ١٩٠ ق. م، وكان يكتب

(١) الكرج: هم سكان جمهورية جورجيا.

عليها بحروف رومية، وكذلك كتاباتهم كانت بتلك الحروف.

وفى القرن الرابع للميلاد اخترع (مسروب) حروفاً خاصة للغة الأرمنية وكتب بها كتبهم الدينية. ومن ذلك العهد ظهرت الآداب الأرمنية ودونت في الكتب.

وكانت اللغة الأرمنية لا رابط لها. وهى خليط من جملة لغات وجملة لهجات، وقد اتخذوا لغة أهل (أرارات) مثالاً لهم وجعلوها لغتهم الكتابية والأدبية وأساساً للغة الأرمنية (مورجان المجلد الثاني صفحة ١٢٢).

ولقد اشتهر ((موئيس دوخران)) عند الأرمن الأقدمين، كما اشتهر ((هيريدوت)) عند اليونان وكتب تاريخهم، ونقل إلى اللغة الأرمنية جملة مؤلفات، وترك آثاراً أدبية، وعند نزوح الأرمن إلى جنوبي القفقاس كانوا في غاية الجهل لا يكتبون ولا يقرؤون رغم قدومهم من وسط آسيا مهد المدنية الأولى، ورغم ما اشتهروا به من أنهم أرقى الأمم التي كانت تجاورهم.

والدليل على ذلك أنهم قبلوا الحروف التي خصصت لهم على علاتها من غير أن يضيفوا عليها شيئاً من عندهم، وكانت خليطاً من حروف الآشوريين والسريان والروم والإيرانيين.

ونقودهم التي كانوا يتداولونها كانت نقود إسكندر الأكبر (دراخمه) من الفضة والذهب إلى أن استولى العجم على بلادهم، فانتشر تداول عملة الفرس فيما بينهم.

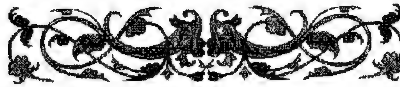
وكانوا يعبدون الأصنام و يتمذهبون بمذهب (براهمة) ثم أدخلت عليهم النصرانية التي وجدوا صعوبة كبرى في اعتناقها، وسالت دماء كثيرة من جراء ذلك، وأخيراً تمذهبوا بمذهب (مزدق) دين إيران قبل الإسلام.

وفي القرن السابع قبلوا الإسلام ديناً ولكنهم ارتدوا نصارى عقب ضعف الحكومات الإسلامية خصوصاً حكومتهم العربية التي كانت تحكمهم.

ورغم كل هذه التقلبات التي انتابت الأمة الأرمنية فإنهم أمة حافظة لتقاليدها محبة لوطنها، وبيدها تجارة القفقاس حتى إن الروس كنوهم (يهود الشرق).

كما أنهم متقدمون في العلوم والمعارف ولهم رئاسة دينية مستقلة عن باقي الكنائس.

والخلاصة فإن الأرمن عنصر قوي بفضل محافظته على أخلاقه وتقاليده، وغنى بثروته وعلومه، ومشهور بكثرة عدده.



يوميات أرمينية

يوم الثلاثاء: ١٤١٧/١٢/١٥هـ - ٢٢/ ٤/ ١٩٩٧م.

من إسطنبول إلى يريفان:

خرجنا إلى طائرة الخطوط الأرمينية المسماة (أرمينيان أير لاينز) على حافلة واسعة مثل التي في مطاراتنا، ووجدنا الطائرة من طراز توبوليف الروسية كالتي قدمنا عليها البارحة إلى إسطنبول، ولكن مقاعدها أوسع، وتنجيدها أجمل وأحدث.

ومن اللطيف أننا وجدناهم ربطوا أحزمة المقاعد فوق المقعد حتى إذا جاء الراكب فكها وربطها ثانية.

ركبنا في القسم الأول من الطيارة الذي هو بمثابة درجة رجال الأعمال، وليست فيها درجة أولى، وليس فيها كثير ركاب مع أنها رحلة أسبوعية، وذلك لسوء حالة الاقتصاد في أرمينية وقلة من يسافرون إليها.

والمضيفون والمضيفات كاللبنانيين، مثل أكثر الركاب الذين هم من الأرمن والأتراك، إلا أن الأرمن عليهم مظاهر عدم التغذية الجيدة، وملابسهم ليست بذاك.

كان إعلان الطائرة بالأرمينية أولاً، وهي لغة غريبة على سمعي، لم استطع أن ألحقها بأية لغة أعرفها من حيث اللفظ وجرس الكلمات، وبعدها بالإنجليزية، فكان مما ذكروه أن الطيران إلى يريفان سيستغرق ساعتين وثلثاً دون توقف.

وقد أقلعت الطائرة في الثانية عشرة تماماً بعد تأخير ١٠ دقائق عن الموعد المحدد في الأصل لقيامها، وهذا تأخير لا يذكر، ولا تعتذر عنه شركات الطيران العالمية.

واستمرت بعد تحليقها لفترة وهي متجهة شرقاً فوق الساحل التركي على البحر الأسود.

كان الجو صاحياً والشمس مشرقة، لذلك تمتعنا برؤية الساحل التركي الذي رأينا أراضيه كلها على وجه التقريب معمورة بالزراعة والقرى، وإن كانت القرى فيها لا تبدو متقاربة.

ثم ران سحاب على الأرض، فحرمنا من رؤية الأرض التي كانت ميداناً للفتوحات الإسلامية ما كان منها عربياً وما كان تركياً، وتذكرت أننا قدمنا البارحة من مسارح الفتوحات الإسلامية التركية في (مولدافا) وما حولها، ونذهب الآن إلى مسارح الفتوحات العربية في أرمينية، والمنطقتين من المواطن الإسلامية الضائعة.

منابع الرافدين:

كلنا نعرف أن منابع الرافدين دجلة والفرات هي من هضبة أرمينيا، وكنت أتمنى أن أراها، ولكن الوقت لم يسعفني بذلك، وقد حانت الفرصة اليوم لأرى بعضها من الطائرة، فقد تقطع السحاب، وصحا الجو فرأينا تحتنا وقد فارقنا منطقة البحر الأسود جبالاً متصلة واسعة تجللها الثلوج العظيمة حتى إن المرء يرى الجبل مجللاً بالثلج من سفحه إلى قمته، وهذا خلاف المعهود في مثل هذه الحالة؛ غير أن المنطقة مرتفعة بطبيعتها والفصل فصل بارد فيها، ولم يكن في الطائرة أي خبر أو إيضاح عن خط سيرها، ولا عن موقعها، ولا توجد خريطة تبين ذلك، ثم عاد سحاب أبيض غير مطبق فاختلط بياضه في النظر مع بياض الثلوج، إلا أنه ما لبث أن اضمحل أو نحن تجاوزناه.

واستمر منظر الجبال الثالجة حتى خيل إليّ من منظرها من الطائرة أنها لا نهاية لها.

هذه المنطقة الثلجية الجبلية التي هي في الحقيقة مستودع ضخم لمياه الرافدين تسمى هضبة أرمينيا، وهي الآن تركية لأنها واقعة في جمهورية تركيا، ولكنها كانت كذلك قبل أن يوجد الشعب الأرميني في المنطقة، وبالتالي قبل أن يوجد الشعب التركي فيها أيضاً، ولذلك أخذ العقلاء على رئيس جمهورية تركيا (سليمان دميريل) قوله مبرراً قطع مياه نهر الفرات عن سوريا والعراق مدة خمسة عشر يوماً: إن هذه مياه تركية هي لتركيا مثل البترول للعرب، ويجب أن نبيعها عليهم مثلما يبيعون علينا البترول.

وقد نسي أو تناسى أن الشعب العربي في مجرى هذين النهرين حيث ينتهي بهما المطاف في مياه الخليج العربي كان موجوداً في المنطقة قبل أن يوجد الشعب التركي في منبع هذين النهرين بقرون متطاولة، وإن مياههما كانت تعتبر مياهاً عربية في المنطقة العربية قبل أن يقدم الأتراك من بلادهم من تركستان الشرقية بدهور لا يعلمها إلا الله.

ولا شك أن كلامه هذا ناتج عن استخفافه بالعرب، لكن ذلك بلا شك سببه حال العرب وتفرقهم واختلافهم فيما بينهم حتى صاروا لا يخيفون أي عدو، بل هم يخافون من أي عدو.

هذا وقدموا وجبة غداء من السمك والخبز والجبن الأصفر.

وقد نزلت الطائرة قليلاً فاتضح منظر الجبال الثالجة الذي يوحي بالبرد مما جعلنا نوجس خيفة من البرد.

وزاد ذلك أن الطيار ذكر بعض الأشياء المعتادة، وقال من بين ما فهمنا منه قوله: إن درجة البرودة خارج الطائرة هي ٥٤ درجة مئوية تحت الصفر، وإن

كان سماع ذلك أمراً مألوفاً لمن يكون مثلي قد أكثر من السفر بالطائرات.

هذا وقد انعكست أشعة الشمس على تلك الجبال الثالجة العالية، فغدت لامعة تكاد تعشي العيون.

وكلما أمعنت الطائرة في الطيران شرقاً شمالياً في اتجاه (أرمينية) زاد منظر الثلوج مما ذكرني بمنظر جبال الهمالايا وثلجها الكثيف، وإن كانت هذه الجبال أوسع منها بالنسبة إلى طيران الطائرة حيث اخترقنا الهمالايا ونحن قادمون من مدينة (شنغ دو) عاصمة مقاطعة (سي شوان) الصينية قاصدين مدينة (لاسا) عاصمة التبت، فاخترقناها عرضاً حتى وصلنا التبت، وقد ذكرت ذلك في كتاب: ((على سقف العالم)).

وعندما قاربنا الوصول إلى (يريفان) جاءت المضيفة ببطاقات الدخول، فإذا هي مكتوبة بالأرمينية والروسية، وليس فينا من يعرف واحدة منهما، فاستعنا بالمضيفة التي كان فهمها للإنكليزية ليس جيداً، وهذا غريب في كونهم لم يكتبوها بالإنكليزية التي هي لغة عالمية، ولكن هذا يدل على قلة القادمين إلى بلادهم.

هذا وما زلنا نشاهد من الطائرة ثلوج الجبال التي كانت الشمس عليها صاحية، فكان منظرها كذوب الفضة؛ بل كذوب النور الذي يأخذ بالألباب.

وقد صارت الطائرة تميل في طيرانها إلى الشرق جهة اليمين قليلاً ونحن لا نرى من الأرض إلا الثلج.

في مطار يريفان:

بعد ساعتين إلا ربعاً بدأت الطائرة في التدني إلى الأرض، وأعلنت

المضيفة أن درجة الحرارة في يريفان هي ٢٢ درجة مئوية فوق الصفر.

ولم نكد نصدق ذلك ونحن نرى الجبال الثالجة منذ مدة، ثم بدأت الثلوج تتقلص وتقتصر على رؤوس الجبال دون الوديان والأماكن المتسعة بينها، ورأينا نهراً أحمر المياه ينساب من بين الجبال إلى وادٍ منخفض، ثم رأينا لأول مرة حقولاً زراعية ضيقة، وقرى في الأماكن المتسعة من سفوح الجبال والوديان بينها، ورأينا على البعد في جهة الغرب قمماً من قمم جبال القوقاز مجللة بالثلوج.

ثم وصلنا إلى مكان منخفض واسع بين الجبال التي لا تحاصره، وليست جبالاً محيطة به فحسب، وإنما هي جبال قصيرة، خلفها جبال أعلى، وقد كونت ما يشبه الحوائط الطبيعية لهذا السهل كأنما لتحميه من الرياح الباردة، والقرى في أسفل الجبال القريبة من هذا المتسع.

هذا والطائرة تحوم فوق هذا المكان المتسع بين الجبال، وهو يزيد اتساعاً في رأي العين كلما تدنت إلى الأرض.

ورأيت مدينة عجيبة في سفح أحد هذه الجبال، وقد تسلقته بيوتها تسلقاً، وأسفل منها وادٍ أخضر، وخيل إليّ أن هذا المكان المتسع بين الجبال فيه كثافة سكانية مع أن خضرته ليست شاملة.

ثم صارت تطير فوق نهر نزر المياه، والطابع العام على القرى والمنطقة هنا ليس جميلاً؛ بل هو قابض للنفس، لأن لون أكثره أصفر مع ميل إلى السواد.

ثم تجلى منظر يريفان في مكان من هذا المتسع بين الجبال وحلقت فوق حي رديء من أحيائها سقوفه من الصفيح غير اللامع.

وكان منظر الأرض التي تقع فيها المدينة والتي تحيط بها عجباً من العجب؛ إذ هو مؤلف من عدة ألوان منها: الأحمر والأسود والرمادي والأصفر الباهت، وهي على وجه العموم أرض تكاد تكون صخرية أو تؤلف الأرض الصخرية جزءاً منها.

وهبطت في الساعة الثانية إلا دقيقتين، أي بعد طيران استغرق ساعتين إلا دقيقتين، وليس ساعتين وثلثاً كما أعلنوا ذلك بالإنكليزية التي فهمناها كلنا.

كانت حالة الزفت في المدارج غير جيدة، لذلك صارت الطيارة تتمايل وهي تدرج فوقه، وأما المبنى فإنه جديد ليس فيه من عيب إلا صغره، ووقفت الطيارة عند كمٍ متحرك، أو إن شئت قلت: دهليز متحرك، وعندما دخلنا منه كانت العيون الفاحصة بالعشرات، وقد استقبل هذه الطائرة غير الكبيرة التي لم تمتلئ ركاباً جيش من الناس لا أدري أعمالهم، حتى فاق عددهم عدد ركاب الطائرة.

لم نكن نحمل سمات دخول إلى أرمينية، ولكن المكتب السياحي الذي حجزنا منه للسفر إلى يريفان قد قال: إنه صنع لنا شيئين: أحدهما أنه أبرق لمنحنا سمة الدخول من المطار، وجاء الجواب بالموافقة، وأنه حجز لنا في فندق جيد بخمسين دولاراً، وذكر أن ممثل المكتب سيستقبلنا في المطار وينهي لنا ذلك كله.

ولم نجد ممثل المكتب في المطار، فأخذ ضباط من إدارة الجوازات جوازاتنا فوقفنا فترة دون الوصول إلى مكاتب الجوازات، لأن المكان ليس بمكتب، وليس فيه كراسٍ، وتبين أنهم كانوا يعدون غرفة كبار الزوار فقد نقلونا بسيارة المطار التي تشبه سيارات الجيب اليابانية إلى غرفة كبار

الزوار من دون أن نمر بمكاتب الجوازات أو غيرها ، وذلك لسبب الجواز (الدبلوماسي).

وجدنا المكان ليس غرفة وإنما هو مكان يشبه الممر المتسع فيه عدة كراسٍ، وفيه الفاحص الكهربائي الذي يفحص الأمتعة بالكهرباء، وضعوا فيه أمتعتنا وانتظرنا فترة طويلة كان من الشكل فيها أنهم لا يفهمون الإنكليزية فكانت الإشارة هي أداة التفاهم؛ إلا أنها ناقصة لأنها غير مصطلح عليها بين الطرفين.

وكان عدد من الضباط يأتون إلينا ويحملقون، فكأنما يبحثون في وجوهنا عن شيء ضائع لهم.

وقد تولى أمرنا امرأتان كانتا في مكتب صغير مجاور لغرفة كبار الزوار، وليس على وجه الواحدة منهما أية مسحة من جمال، وتبين لنا فيما بعد أن هذه هي الصفة الغالبة على النساء في هذه البلاد.

مدينة يريفان:

بعد ساعة ونصف الساعة من الانتظار الذي طال علينا لكوننا لم نعرف سببه، وخشينا أن في الأمر شيئاً قد يمنعنا دخول (أرمينية) التي نحن في أشد الشوق إلى مشاهدتها ومعرفة أحوال المسلمين فيها، جاءت ممثلة المكتب السياحي وهي تلهث وبيدها (الفاكس) الذي أرسله المكتب بشأننا من إسطنبول، واعتذرت عن التأخير بعذر لم نأبه به، وهي كسائر النساء في هذه البلاد لم ترزق حظاً من الجمال، وقد تجاوزت الأربعين، ولكن عملها متقن وخدمتها جيدة، واسمها (نيللي هاكوبيان).

وأعطونا جوازاتنا، وإذا بهم منحونا سمة مرور لمدة ثلاثة أيام يمكن

النظر في تمديدها عند الحاجة.

ثم أحضرت سيارتي أجرة نقلتنا إلى الفندق في قلب المدينة، وتبين أن المدينة بعيدة من المطار.

عندما أخذنا طريقنا للمدينة كانت الغرابة هي السائدة ليس ذلك في ألوان الأرض الغريبة فقط، وإنما أيضاً في وضعها، فليست مستوية كلها، ولا هي جبلية كلها، وإنما هي مزيج من هذا وذاك يضاف إلى ذلك أماكن منخفضة ضيقة شبيهة بالحفر الكبيرة، وأماكن ضيقة مرتفعة شبيهة بالتلال غير العالية.

وأما ألوانها من القرب فإنها ليست بهيجة، بل هي حمراء داكنة أو رمادية حائلة.

والطريق ذو اتجاهين وصلنا بسرعة إلى ما يشبه القرية ظننتها أول الأمر من العاصمة (يريفان)، وتبين أنها امتداد للمدينة الأرمينية الثانية المسماة إيتش ميازي، وسوف نزورها فيما بعد بإذن الله.

كانت السيارة تسير على مهل، والناس كثير في سوق هذه القرية أو الحي الواقع على طريق المطار، واستطعت أن أقول لنفسي: إن نساءهم يقل فيهن الجمال، ورجالهم ليسوا كذلك، وهذا من الأشياء الغريبة أن يكون النساء في بلد أقل جمالاً من الرجال فيه أو العكس، والعكس هذا موجود في كوريا الجنوبية حيث يرى المرء مسحة من جمال على وجوه النساء، والرجال ليسوا كذلك.

ومن بين الأشياء اللافتة للنظر سرعة التجاعيد في وجوه النساء حتى المتوسطات في العمر.



الطريق الممتد من المطار إلى الفندق في يريفان

هذا ويبعد المطار عن المدينة٢٥ كيلومتراً ،وتجلت الغرابة أيضاً في لون الصخور قرب المدينة حيث فيها صخور سود ، وأخرى حمر.

ومررنا بالأبنية العالية ذات الطبقات المتعددة التي أسميتها (العمائر) الشيوعية ، لأن الحكومات الشيوعية تبنيها شققاً سكنية لإسكان العامة من الناس، وطلاؤها غريب أيضاً ، ففيه ما هو أحمر كحمرة الجرانيت، وفيه ما هو أسود ، ولا يكاد يوجد اللون الأبيض الناصع فيها.

هذا والأشجار لم تستكمل أوراقها بعد ، لذلك لم يخفف منظرها من هذا المنظر غير البهيج.

ونزلنا في (فندق أرمينيا) الذي كان حجز لنا المكتب السياحي الأرمني في إسطنبول فيه، ويقع في وسط المدينة، وقد أنجزت مندوبة المكتب السياحي إجراءات الدخول في الفندق، لأنها كانت قد حجزت من قبل، ومع ذلك استغرق هذا وقتاً طويلاً، كما هي العادة في البلدان الشيوعية السابقة، وتذكرت ما حدث أمس في فندق إسطنبول حيث أعطونا مفاتيح الغرف قبل التسجيل.

ولاحظت قلة الابتسام هنا، بل إن العبوس هو المسيطر، ولا أدري السبب.



جانب من ميدان الجمهورية في يريفان

نزلنا في غرف جيدة في الطابق السابع، وهو فندق كبير فيه قسمان

قسم يعتبر قديماً، ولكنه نظيف ومصاعده واسعة ومعتنى بها، وقسم أحدث يصل بينهما جسر قصير.

عندما دخلنا إلى الفندق كانت الساعة هي الرابعة والنصف بوقت إسطنبول، وهي الخامسة والنصف بتوقيتهم؛ لأنه يتقدم ساعة عن وقت إسطنبول.

ولذا أسرعنا إلى الراحة وصنع الشاي الخفيف في غرفنا، وعزمنا على أن يبدأ برنامجنا غداً، إذ لا توجد لدينا عناوين لأشخاص نستطيع أن نستعين بهم على الاستفادة من هذه الليلة، وفي الثامنة نزلنا للعشاء في مطعم الفندق، في الطابق الثاني، وهو واسع نظيف لا يقل في ذلك عن مطاعم فنادق الدرجة الأولى، والخدمة فيه جيدة.

وأسرعوا بإحضار المقبلات، وهي جبن أصفر وآخر أبيض، وكرات من نقل عندهم يشبه الفول.

وطلبنا سمك الكافيار، وهو من أغلى أنواع السمك؛ لأنه الذي يبيض الكافيار وهو بيض السمك الغالي المشهور، ولا يوجد هذا السمك إلا في بحر الخزر المعروف ببحر قزوين في الوقت الحاضر.

ولاحظنا أن المطعم مزدحم بأناس من أصل أرمني، ولكنهم من المهاجرين الذين جاؤوا إلى هذه البلاد لمناسبة أرمينية تتعلق بذكرى المذابح التي ذكروا أن الأتراك أجروها ضد الأرمن، أغلبهم من الشبان والشابات.

يوم الأربعاء: ١٤١٧/١٢/١٦هـ - ٢٣/ ٤ / ١٩٩٧م.

جولة في يريفان:

اختلف في اسم يريفان كما قالت الدليلة السياحية إنه قيل في أسطورة

أن الطوفان عندما غمر الأرض أرسى نوح عليه السلام ومن معه في السفينة على جبل، (أرارات) القريب من (يريفان)، وصاح قائلاً (يارفان)، ومعنى ذلك بالأرمينية: الممكن رؤيته، أو الذي رآه - يعني نوحاً عليه السلام -. والثانية أنه وجد حجر أثري عليه كتابة مؤرخة في عام ٧٨٢ قبل الميلاد مؤداها أن ملك أرمينيا واسمه: (أرقشتي) بنى قلعة هنا سماها: (أرافوني) أو (أرابوني) فصارت (أرفاني) ثم (يريفان).

(يريفان) قديمة مضى على بنائها ٢٧٥٠ سنة، ولذلك سيحتفلون بهذه المناسبة، وقرروا أن ينشئوا ٢٧٥٠ نافورة فيها لهذه المناسبة، وبدؤوا بذلك.

ويبلغ عدد سكان يريفان مليوناً و ٢٠٠ ألف نسمة من مجموع سكان جمهورية أرمينيا البالغ ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف نسمة.

بدأت الجولة من عند مكتب سياحي في فندق (أرمينيا) الذي نسكنه، وهو أكبر فنادق (يريفان) وأكثرها غرفاً إذْ بعث معنا دليلة تعرف الإنكليزية اسمها (زارا) قالت أو قيل لها: ربما كان أصله (زهرة) العربية.

وإذا كان هذا هو أصله، فإنه ليس لها من اسمها نصيب.

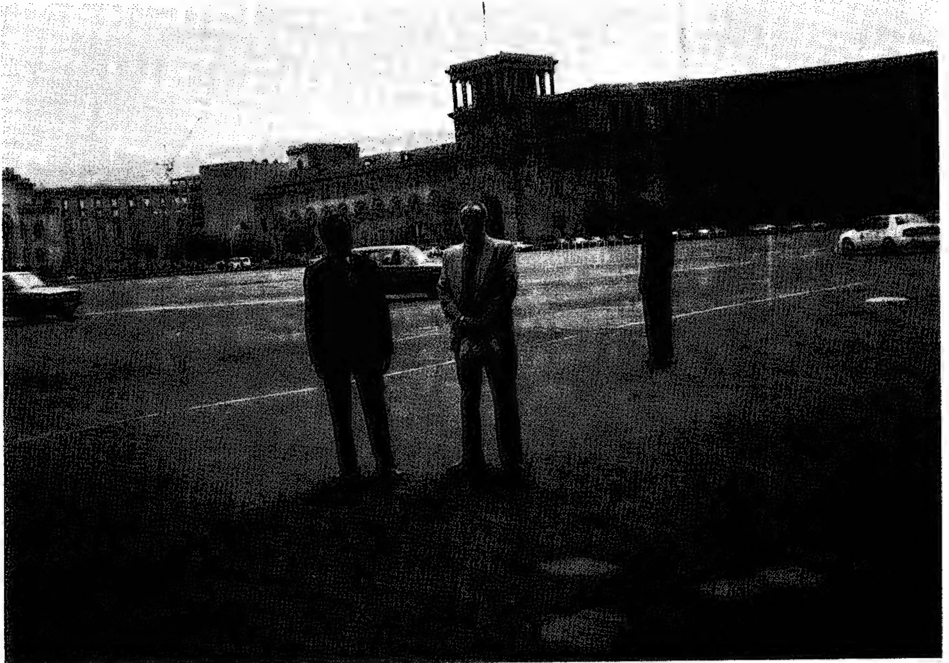
وتبين أنها تعرف كثيراً من أحوال بلادها، وقد أفادتنا في الوصول إلى الطلبة العرب في الجامعة في يريفان كما سيأتي.

ميدان الجمهورية:

كانت أولى المعلومات التي حصلنا عليها متعلقة بميدان رئيسي يقع عليه فندقنا، وكنا شاهدناه من قبل، وأعجبنا بطراز الأبنية التي تقع عليه، فهي أبنية حجارة متميزة، ولكن هندستها غريبة متميزة، وربما صح القول بأنها فريدة في أسلوبها، شأن بعض الأبنية المعتنى بها في البلاد، وإذا صح ذلك يكون الأرمن قد تفردوا بأشياء، منها إنشاؤهم كنيسة مستقلة عن

الكنائس الأخرى، والمراد بذلك المذهب الديني المسيحي، فليسوا تابعين لبابا روما، ولا هم بالبروتستانت، ولا بالأرثوذكس، وإنما لهم مذهب مسيحي خاص، وكذلك القول بالنسبة إلى الأبجدية في الكتابة، فلهم حروف اخترعوها لأنفسهم منذ القديم يكتبون بها، أما لغتهم الأرمينية فإنها أيضاً مستقلة عن اللغات الأخرى.

وألوان المباني على هذا الميدان هي حمراء وصفراء باهتة، ويمكن تلخيص طابع البناء عليه بأن أسفله بمعنى الطبقة الأولى منه هي ذات عقود تشبه الأهلة يكاد من لا يعرفها يقول إنها عقود عربية، وليس الأمر كذلك فلها طابعها الخاص، أما ما فوق الطابق الأول فالأعمدة - جمع عمود - هي رومانية أو تشبه الأعمدة الرومانية.



مع الأخ حسن إزميرلي في ميدان الجمهورية في يريفان

وأرض الميدان مفروشة بالزفت، وليست بالحجارة، وليس فيه أشجار أو زهور، وعليه أبنية مهمة غير الفندق مثل إدارة الشرطة، ومبنى البريد هو أحمر اللون، وعليه متحف تاريخي، ومعرض للرسم، ووزارة الخارجية، وقد تبين بعد ذلك أن الحجر الأحمر يستعمل بكثرة هنا بأنه حجر معروف يعرف بالأرمني.

وعلى ذكر الشرطة أقول: إنهم يبدون هنا بكثرة مفرطة، فالجنود كثير، وسياراتهم كثيرة، وهم يفحصون الناس بأعينهم، وعرفت فيما بعد أن ذلك ليس مقتصراً على الشرطة، فالناس يفحصون الغريب بأبصارهم إلى درجة قد يوجس منها شراً.

ذكرت الدليلة أن الذي خطط لهذا الميدان هو مهندس مشهور اسمه (الكسندر ساما نيان) لم تعرف سنة وفاته إلا أنها ذكرت أنها في بداية القرن العشرين.

واسم الميدان الآن (هانوا بنو شيان) بمعنى ميدان الجمهورية، وكان اسمه في زمن الاتحاد السوفيتي ميدان لينين، فغيروه بعد الاستقلال.

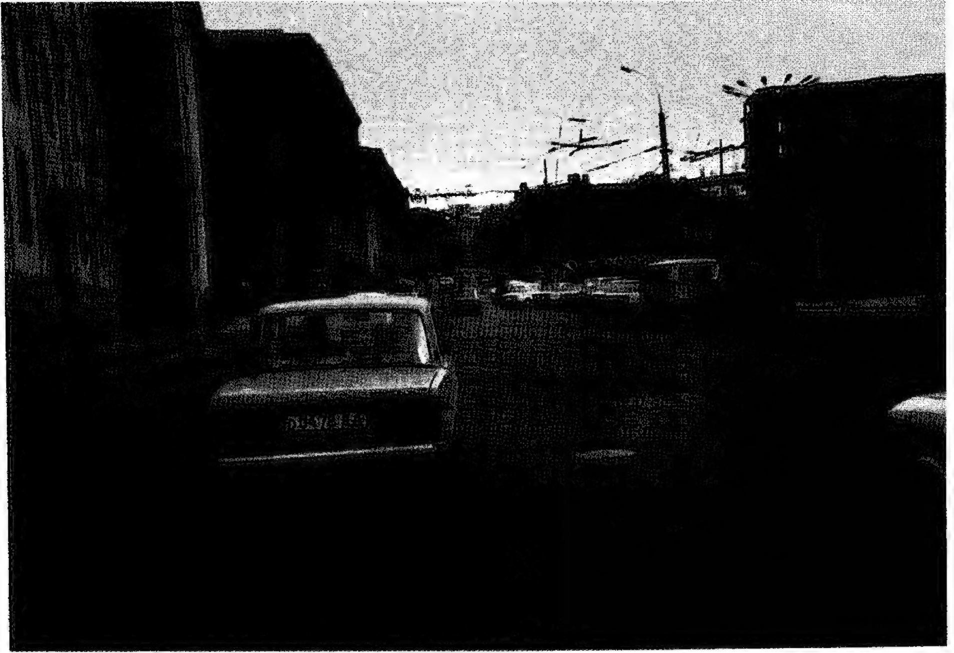
ويتفرع من الميدان شارع اسمه (نان باينان) سلكناه ومعظم المباني فيه ليست بهيجة الألوان، وتبدو كما لو كانت قديمة مع أنها جديدة، وذلك طابع ألوان الحجارة عندهم، ثم سلكنا شارعاً آخر لم أحفظ اسمه ولكن في آخره مقطع (يان) مثل أكثر أسماء الأماكن والأشخاص عندهم.

وعلى هذا الشارع معرض لرسوم الأطفال معتنى به تقابله (دار الأوبرا).

ومررنا بمبنى لأكاديمية العلوم و (البرلمان) وسكن رئيس الجمهورية واسمه (أبدار راميان) كل ذلك على شارع واحد مهم، وعليه أيضاً الجامعة الأمريكية، وهو من أطول الشوارع في يريفان إن لم يكن أطولها، وكان

يسمى قبل الاستقلال (شارع الصداقة) التي يراد بها الصداقة بين الروس والأرمن.

وما زالت الألوان الباهتة غير البهيجة في المباني هي السائدة.



شارع نان بانيان في يريفان

ورأيت الدليلة تهتم بالأبنية أكثر مما تهتم بالتعريف بالأشياء الأخرى وأكثرها أبنية معتادة ليس فيها ما يسترعي الانتباه إلا غرابة هندستها في بعض الأحيان، وربما كان ذلك راجعاً إلى قلة إقامة الأبنية المنفردة عندهم في السابق.

شارع الأخوين :

مضينا بالسيارة التي هي أيضاً تابعة للمكتب السياحي، وهي نصف حافلة رديئة، فسلكنا شارعاً يسمونه (شارع الأخوين) ذكروا أنهما عالمان مشهوران، أحدهما أول رئيس لأكاديمية العلوم في البلاد، والثاني عالم معروف عندهم.

ومنه انتقلنا إلى (شارع كييف) على اسم مدينة كييف عاصمة جمهورية أوكرانيا، أسموه بذلك تخليداً لمؤاخاة مدينتي يريفان هذه ومدينة كييف، وهو شارع معتاد وغير طويل إلا أنه واسع.

نهر رازدان :



على جسر فوق نهر رازدان أكبر الأنهار هنا في يريفان

في نهاية شارع كييف جسر أقيم على نهر صغير نزر المياه اسمه (نهر رازدان) ذكرت الدليلة أنه أكبر نهر عندهم، وهو ضيق لا يزيد على نهر بردى في دمشق في المجرى ومقدار المياه فيه، إلا أنه عميق المجرى جداً.

فوق تلة عالية:

قلت للدليلة عند بدء الجولة: إنني أحب أن نصعد إلى مكان عالٍ يشرف على المدينة، أو على جزء منها، ونلتقط منه صورة عامة للمدينة، فذكرت أن هذا آتٍ، وأنه من ضمن البرنامج، وتبين أن المسألة أعمق من ذلك، وأن الصعود إلى هذا المكان المرتفع يرتبط بالدعاية حول ما أسموه المجازر التي قام بها الأتراك ضد الأرمن.

صعدنا من المدينة إلى تلة صعودها متدرج، مفروشة بأشجار كثيفة اسمها: (تيترناكابرو).

مذابح الأرمن:

لم يكن الطريق إلى التلة طويلاً، فقد وصلنا بسرعة ووقفنا في ساحة واسعة منسقة تجاه مبنى ضخم هو جزء من المنشآت في المنطقة.

قالت الدليلة تشرح حال هذا المكان: في عام ١٩٧٥م قرر الأرمن بناء أثر لتخليد ضحايا الأرمن الذين سقطوا عام ١٩١٥.

وقالت وهي تقدم للموضوع: إن تاريخ أرمينيا قديم ومليء بالأحداث، وهو تاريخ محزن، فأرمينيا كانت تقاوم جيرانها، وقد ظلت فترات طويلة تحت الاحتلال، وكانت حالتهم مأساوية ففي عام ١٩١٥ قررت تركيا الفتاة قتل كل الأرمن، ليتملكوا الأراضي الأرمينية، وليحلوا مشكلة الأرمن كما يقولون، فبدؤوا بذبح الأرمن هنا، وهذا سبب شتات الأرمن.

وسألت الدليلة عن الأرمن، ما هو أصل التسمية به؟ فقالت وهي أرمينية أصيلة: كانت في القديم قبيلتان اختلطتا على سفح جبل، إحداهما: أرمن والثانية: هياسا، فامتزجتا وكونتا شعباً واحداً، فصار لهذا الشعب اسمان، نحن نسمي أنفسنا (أرْمَن) وهم يسمون أنفسهم (هاي) والدولة: (هايستان).

ثم عادت الدليلة من تلقاء نفسها تذكر عدد الذين ماتوا في المذابح وأنه مليون ونصف.



منظر لمدينة يريفان

(تصوير المؤلف)

ونريد أن نوضح هنا أن الدليلة كانت تجيب على مذابح الأرمن، ولم تكن تبدأ بذلك ابتداء؛ غير أنه لا بد لمن يأتي إلى هذا المكان من أن يتطرق

الحديث معه إليها، لأنه لا بد من أن يسأل عن هذه الأبنية والأنصاب والتذكارات فيأتيها الحديث عنها جاهزاً معداً من قبل، وكانت مؤدبة جداً ومهذبة، فلم تقل كلمة واحدة توحي بالذم أو التجريح للشعب التركي، كما أنها لم تذكر الدين الإسلامي بسوء، وربما كانت تعرف أنها إن فعلت لم نسكت على ذلك.

ثم أوقفنا السيارة وسرنا في ظهر هذه التلة مع طريق مبلط ومعتنى بما حوله وسط حديقة غير نضرة، وذلك لرؤية مبنى تذكاري آخر.

مسلة العودة:

من ذلك مسلة ارتفاعها ٤٠ متراً هرمية الشكل إلا أن أسفلها دقيق، مدببة الرأس، ذكرت الدليلة أنها تمثل عودة ولادة الشعب الأرمني، ولم أر فيها معنى يدل على العودة إلا إذا كان ذلك رمزاً مجرداً.

ورمز العواصم:

تركنا المسلة بعد أن التقطنا لها صورة تذكارية، وواصلنا السير مع طريق للمشاة مبلط وسط منطقة معتنى بها من الترصيف والتشجير حتى وصلنا إلى مبنى غريب على هيئة غطاء الطبق، إلا أنه مؤلف من ١٢ جزءاً متمايزة، وإن تكن متلاصقة، وذكرت الدليلة أنه يمثل اثنتي عشرة عاصمة من عواصم الأرمن القديمة.

وقفنا عليه نطل من علٍ من دون أن ندخل، فإذا فيه نار تتقد، رمز للشعلة التي لا تنطفئ تنطلق منه موسيقى حزينة، ذكرت الدليلة أن الذي ألف هذه الموسيقى ألفها في وقت مذابح الأرمن، وأنه أصابه الجنون، ورأيت الناس يأتون بباقات الزهور ويضعونها على هذا المبنى من الخارج.



داخل النصب التذكاري لأموات الأرمن في معركة لهم مع الأتراك في عام ١٩١٥م، يريفان

هذا وقد سرنا في هذا المكان المتسع الذي يشرف جانب منه على مدينة (يريفان) عاصمة الأرمن الوحيدة، وقلت في نفسي: أين عواصمهم الاثنتا عشرة، وهم لم يستطيعوا المحافظة إلا على عاصمة واحدة هي هذه، مع أن الفضل في بقائها لهم يرجع إلى قوة الروس الذين افتكوها من الأتراك، ولو كان الأمر مقتصراً على قوة الأرمن لما استطاعوا أن يحتفظوا بها، ذلك بأن الأرمن أكثر الشعوب إقداماً على ما لا يستطيعون الحصول عليه، وعلى ما يستطيعون الحصول عليه، وعلى سبيل المثال لم يعرف المسلمون شعباً من الشعوب التي احتكوا بها أكثر شقاقاً وانتقاضاً عليهم من الأرمن منذ أن

فتح العرب المسلمون بلادهم (أرمينية) في وقت مبكر من الفتوحات الإسلامية، أي في النصف الأول من القرن الأول الهجري، حتى حروبهم التي يسمونها مذابح مع الأتراك في أول هذا القرن الحالي.

وما غزا عدو بلاد الإسلام إلا كان الأرمن معه عليهم، فعلوا هذا مع الصليبيين والتتار، ثم مع الصفويين الشيعة ضد الأتراك السنة.



مدينة يريفان من إحدى التلال

وآخر ذلك هذه الحرب التي شنوها على جارتهم جمهورية أذربيجان قبل ست سنوات فاحتلوا فيها إقليم (نقورنو قاراباخ) و ٢٠٪ من أراضي أذربيجان، وما يزالون يحتلونها، ولذلك كان ما ذكرته الدليلة من كون تاريخ الأرمن مليئاً بالحروب والمآسي صحيحاً، ولكن المآسي تلك ليست خاصة بهم، وإنما

هي عامة لمن يجاورونهم أو يحتكون بهم أيضاً ، أما ما ذكرته الدليلة عن المذابح الأرمينية فإنه أمر صار معروفاً في العالم ، ولكن حجمه وأسبابه غير موضح فيما ذكرته إلا من وجهة النظر الأرمنية ، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك عند الدراسة المتعلقة بأرمينيا من هذا الكتاب.

عود إلى أصل الأرمن :

سألت الدليلة وقد وجدتها مثقفة ملمة بهذا الفن عن المنطقة التي جاء منها الأرمن إلى أرمينيا ، أو على الأدق: من أين جاؤوا إلى أرمينيا؟ فقالت: ربما كانوا جاؤوا من الشرق الأوسط، لكن لهم علاقة مع القبائل الرومانية القليلة.

وهذا الأخير - في ظني - هو الأقرب لأنهم شعب فريد ذو صفات استقل بها عن غيره سواء الصفات النفسية والخَلقية التي من مظاهرها ما ذكرته أولاً من ناحية الشكل والمظهر حيث لا يرى الغريب فيه ، وبخاصة في نسائه جمالاً كالذي في نساء أذربيجان المجاورة؛ فضلاً عن جيرانهم الشماليين (الكرج) الذي يسمون الآن بالجورجيين ، أو في جيران الكرج الشماليين من الداغستانيين والشركس حيث هم في قمة جمال المظهر.

ومما يؤيد ما ذكرته الدليلة من علاقتهم بالقبائل الرومانية القديمة وجود الأنف الروماني في بعض وجوههم ، وهو الدقيق المقوس ، وإن لم يكن موجوداً فيهم جميعهم ، مثلما أنه موجود في بعض الألبان ، وبعض الأرمن هنا يبدون بهيئة غريبة من الحزن أو الكآبة أو عدم الرضا ، حتى إن الابتسام لا تراه على شفاههم إلا نادراً ، فإما أن يكونوا بطبعهم شعباً غير مرح ، أو أن تكون الظروف الاقتصادية السيئة التي تعاني منها بلادهم سبباً في ذلك.

لقد كانت الشمس صاحية ، والجو دافئاً ، وقد أثقلتنا ملابسنا التي

كنا نلبسها في (مولدوفا)، فقالت الدليلة: أرمينيا استوائية في الصيف إذ تصل الحرارة فيها إلى ٤٠ درجة.



المؤلف في مرتفع يطل على مدينة يريفان

لقد كانت الدليلة تتكلم وهي حزينة، أو هي بدت لنا كذلك، ولما سألتها عن ذلك لم تجب جواباً مباشراً وإنما قالت: الأرمن في الشتات، ويأتون هنا للزيارة، تريد أنهم لا يأتون بنية العودة إلى أرمينيا والإقامة فيها بحيث تزداد قوة بهم.

العودة إلى المدينة:

انحدرنا من التلة عائدين إلى المدينة، فسرنا مع شوارعها، وهي شوارع

تتسم بالسعة والتنظيم، ولكن المرء منا يعجب من عدم وجود لون ناصع، فلا تكاد ترى بناءً طلاؤه أبيض ناصع، ولا أصفر فاقع، ولا أحمر قانٍ، وإنما معظمها ألوان باهتة.

شارع السلام:

سلكنا شارعاً رئيسياً ذا اتجاهين يفصل بينهما شجر قليل الورق اسمه (أزاد توتسيان) ذكرت الدليلة أن معنى ذلك شارع السلام.

ولما سألتها عن قلة التشجير في الشوارع وبخاصة في شوارع الضواحي، قالت: الأمطار ليست كثيرة، لذا تبدو بلادنا كالبلدان العربية حارة وجافة.

ويغلق شارع (أزاد توتسيان) من جهة الجنوب نصب تذكاري آخر اسمه (أوبلسك) بمعنى أن الشارع ينتهي عنده حيث يقع هذا النصب على مكان مرتفع ذكرت أنه أقيم لمناسبة مرور (٥٠) عاماً على وجود الإدارة السوفيتية أي الشيوعية في أرمينيا، وقد أقيم في عام ١٩٧٠م، وكانت الإدارة السوفيتية قد بدأت فيها عام ١٩٢٠، وطبيعي أن الذين أقاموه هم الشيوعيون أنفسهم.

وهذا النصب مرفوع بحيث يبدو كالأنصاب التي يقيمها المسيحيون على رأسها تمثال لرحل دين مسيحي، إلا أنهم هنا وهم ملحدون - أقصد الشيوعيين - قد جعلوا في رأسه ورقة مذهبة.

وفي مثل هذه الحالة قد يضع غيرهم ورقة الزيتون رمزاً للسلام، ولكنهم لم يضعوها لأنه ليس في بلادهم زيتون، ولذلك صار اسم الزيتون عندهم كالعربية: زيتون وزيت.

وبهذه المناسبة قالت: لغتنا وحيدة متفردة، لكن فيها كلمات عربية عديدة وتركية، ونوهت بأن عمر الهجاء الأرمني هو ٢٤٠٠ سنة، فقلت لها:

أنتم شعب عريق، ومع ذلك لا تعدون في بلادكم أكثر من ثلاثة ملايين إلا قليلاً، لماذا لا يزيد عددكم؟ فقالت: نحن نزيد لكن ليس كزيادتكم أنتم العرب الذين تزيدون أكثر من مليون نسمة في السنة في عدد من الأقطار العربية، وفي مجموعها أكثر من ذلك.



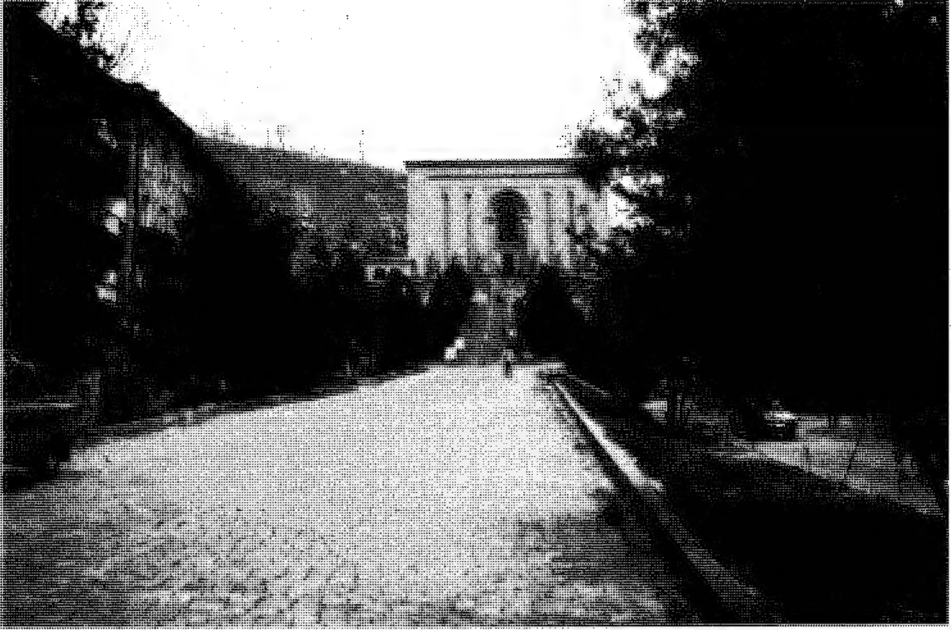
المؤلف في شارع أزاد توتسيان في مدينة يريفان

وسألتها وقد نشأت في عهد الشيوعية عما إذا كانت متدينة أم لا؟ فقالت: هي مسيحية، ولكنها غير متدينة، ولذلك لا تذهب للكنيسة للصلاة وإنما تذهب للمناسبات الاجتماعية كالزواج ونحو ذلك.

يقع هذا النصب كما قدمنا في مكان مرتفع، وهذا المكان المرتفع متسع معتنى به، ويطل جزء منه على جزء كبير من مدينة (يريفان) التي هي

غير مستوية الموقع - كما قدمت - وقد التقطت صورة للمدينة وما حولها منه.

معهد المخطوطات:



معهد المخطوطات في يريفان (أرمينيا)

انحدرنا مع طريق قد بنوا عليه جدراناً قصيرة بمثابة الحواجز، وكلها مبنية بحجارة سوداء، فمررنا بـ (معهد كارل ماركس) للهندسة هكذا ذكرت اسمه، ولم نسألها عن بقية أمره لأننا في عجلة من أمرنا الآن، وهذه تسمية شيوعية متكررة لم يغيروها رغم ذهاب الشيوعية.

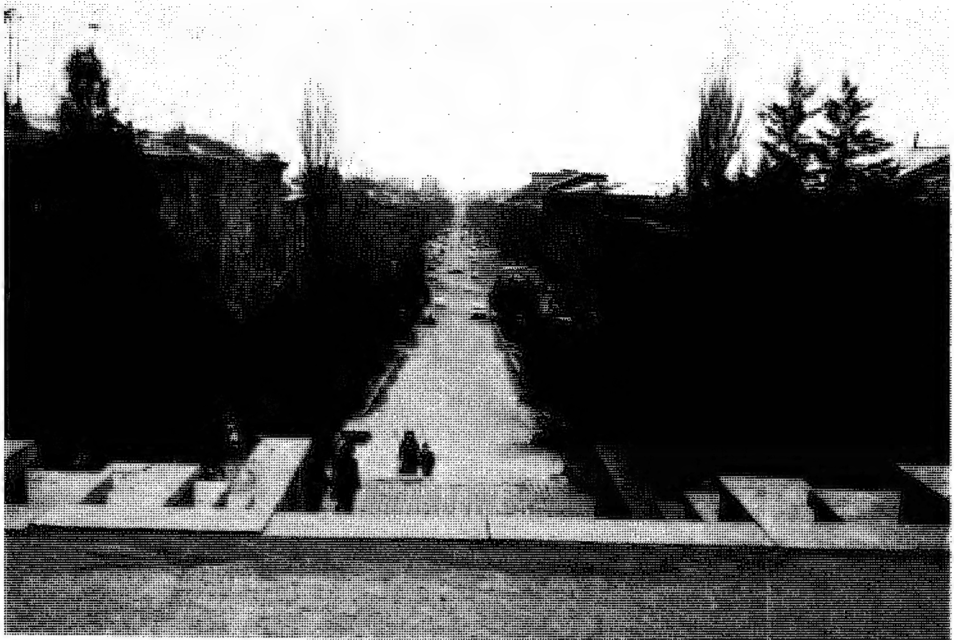
ثم وصلنا إلى مبنى مهم في مكان عالٍ مشرف على ما فوقه، أشارت إليه دون أن تبدي ما يوحي بأنه مهم للسياح في نظرها، وقالت: هذا هو معهد المخطوطات.

فقلت لها: قفي، أريد أن أدخله وأسأل عما فيه من المخطوطات العربية، فأوقفنا السيارة أسفل درج عالٍ صعدنا منه إلى المعهد الذي أبرزوه ورفعوا من قدره أكثر مما أبرزوا الكنائس القديمة، وذلك نتيجة للحكم الشيوعي الذي يحارب الدين.

ورأيناهم أقاموا تمثالاً ضخماً عند مدخل معهد المخطوطات كتب عليه أن صاحبه هو (ميسروب ماشت وتس) وأنه هو الذي اخترع الحروف الأرمنية في القرن الرابع الميلادي.

وبجانب (ميسروب ماشت وتس) تمثال أصغر من تمثاله لتلميذ له.

ولا تزال هذه الأبجدية أو حروف الكتابة الأرمنية مستعملة عندهم حتى الآن.



الشارع الرئيس المقابل لمعهد المخطوطات في يريفان

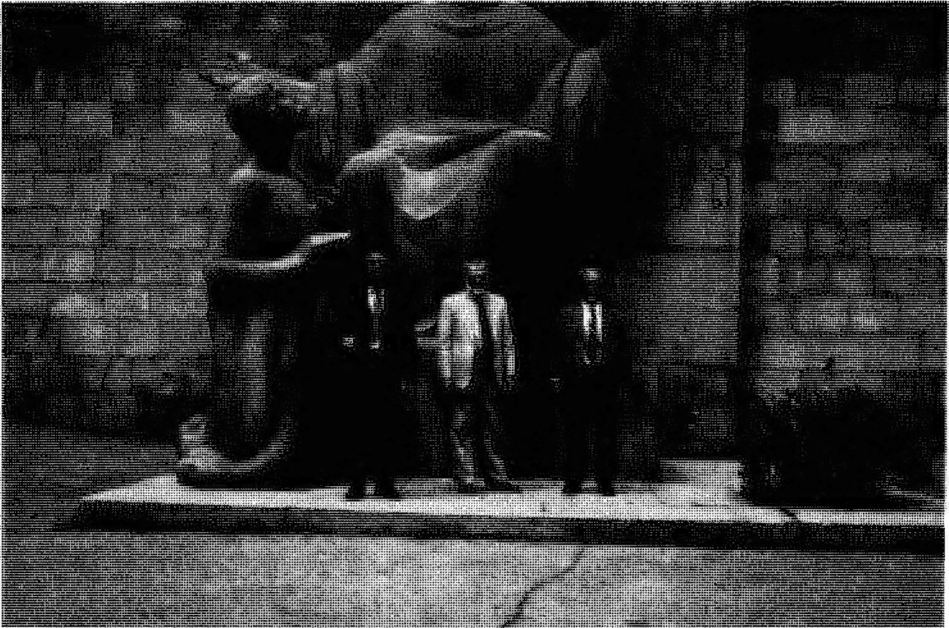
وجدنا المعهد مغلقاً لمناسبة ذكرتها الدليلة.

والتقطنا صورة للشارع الذي يغلقه المعهد وهو شارع مستقيم جداً في نهايته معهد المخطوطات هذا واقعاً على ربوع عالية.

لولا الإسلام لكنا مثلهم :

فكرت في قومنا العرب وكيف كانوا أمة بدوية صغيرة متشتتة ليس لها من المدنية حظ عريق كالذي لهؤلاء الأرمن إلا ما كان من مدنيات محلية اندثرت في حواشي الجزيرة في أقصى شمالها أو جنوبها.

فنحن أمة عريقة مثل هؤلاء، ولكننا الآن لنا لغتنا التي تعد من اللغات العشر العالمية الأوسع انتشاراً في العالم، ولنا أقطارنا وأمصارنا التي تمتد من الخليج إلى المحيط، ولنا أمجادنا التاريخية التي يبدو بعضها ماثلاً أمام أعيننا الآن في هذه البلاد (أرمينيا) التي فتحناها في أول عهدنا بالفتوحات.



عند معهد المخطوطات أمام مجسم مخترع الأبجدية الأرمينية (يريفان)

وقلت: ماذا لو لم يبعث الله فينا محمداً رسولاً ونبياً؟ كيف تكون حالنا الآن؟

وحاولت أن أتخيل صورة لنا في الوقت الحاضر لو لم نكن مسلمين، ولم استطع، لأن صورة الأمة البائدة أو المحصورة صارت تلح علي، وأغلب الظن أننا لن نكون إلا كذلك.

ولمَ لا يفترض ذلك وقد بادت أمم عربية لها ماضٍ وصولة وجولة مثل طسم وجديس وعاد وثمود؟ وكانت لديها من أسباب البقاء أكثر مما لدى عرب الجاهلية!.

وإنه لجدير بقادتنا أن يبصّروا بني قومنا بعظم هذه النعمة الكبرى نعمة الإسلام على العرب بخاصة، وعلى البشرية عامة، وأن يوضحوا لهم ذلك الفضل العظيم للإسلام على الأمة العربية وعلى لغتها وآدابها وتاريخها، عسى أن يحملهم ذلك على العمل على نشر الإسلام، وبالتالي نشر اللغة العربية.

شارع الملك القديم:

والقديم صفة للملك وليس للشارع، فقد كنا نسير مع شوارع (يريفان)، التي ترتفع وتنخفض بنا لطبيعة أرض المدينة غير المستوية حتى وصلنا شارعاً اسمه: (شارع الملك برام)، ولما سألت عن هذا الملك، وكنت أظنه كان قبل الشيوعية بقليل، أجابت الدليلة بأنه الملك برام شابور الذي حكم في آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس للميلاد، أي قبل البعثة المحمدية، وقد حاولوا أن يبعثوا مجده إن كان له مجد يبعث بتسمية شارع باسمه رغم ما على اسمه (شابور) من مسحة فارسية، وإن كان من الجائز أنه اسم أرميني خالص فذلك ما لا أعرفه.

ويصب شارع الملك (برام) في ميدان الجمهورية الذي بدأت منه جولتنا هذه ويقع عليه فندقنا: فندق أرمينيا الكبير.

راحة لمدة ساعة:

عندما وصلنا إلى الفندق كانت الساعة هي الواحدة والربع، واقترحت الدليلة أن نستريح لمدة ساعة تذهب هي والسائق للغداء، ونحن كذلك على أن نستأنف الجولة بعد ذلك.

فذهبنا إلى مطعم الفندق، وهو جيد وسعره متوسط.

كان عدد الرواد في المطعم قليلاً، وكنت توقعت من قبل أن يكون وجود الأرمن المغتربين الذين يوجدون في أنحاء كثيرة من العالم كثيراً، إلا أنه تبين أنه قليل، وأنهم كما قالت الدليلة يأتون زواراً إلى أرمينيا ثم يعودون، وظني أن زيارتهم أيضاً هي قليلة وقصيرة ولاحظت في هذا المطعم وغيره قلة حظ النساء في هذه البلاد من الجمال، وإسراع التجاعيد ومظاهر الهرم إلى وجوههن، مع أنهن لا يعملن عملاً شاقاً مثلما يعمل الرجال.

إلى مدينة ايتش ميازي:

استأنفنا الجولة في الثالثة والنصف، فقصدنا إلى مدينة كبيرة هي الثانية من مدن أرمينيا بعد (يريفان).

وهي أقدم مدن أرمينيا التي لا تزال مسكونة على الإطلاق، فهي أقدم من العاصمة.

وكانت عاصمة لأرمينيا من القرن الثاني إلى القرن الرابع الميلاديين.

وهي قريبة جداً من (يريفان) حتى لا تزيد المسافة إليها عن ٣٠ كيلومتراً، أو تقل قليلاً عن ذلك.

سلكنا إليها شوارع يريفان الجيدة لولا طبيعة المدينة غير المستوية وغير المستقرة التي يشمل عدم كونها على حالة واحدة عدة أشياء فيها غير خشونة الأرض وغير استوائها، مثل تنوع ألوان الصخور والتربة تنوعاً غير مريح؛ لأنه من ألوان غير بهيجة وغير متناسقة.

ومررنا بمصنع نوهت به الدليلة، ولو كانت تعرف مشاعرنا عنه لما فعلت ذلك، وهو مصنع للخمر، قالت بشيء من الفخر: إن تشرتشل رئيس وزراء بريطانيا الفارط كان يشرب الكونياك الأرمني، وذكرت أنه يوجد عندهم عنب كثير في وادي أرارات.

ولمناسبة الحديث عن الفاكهة ذكرت أن بلادهم تعتبر مهد المشمش، وأن الاسكندر المقدوني كان أوصى أن يحمل إليه المشمش منها.

ومن الفاكهة عندهم التي ذكرتها الدليلة: التفاح والبطيخ.

مررنا على بحيرة منخفضة صغيرة ذكرت أن اسمها بحيرة يريفان.

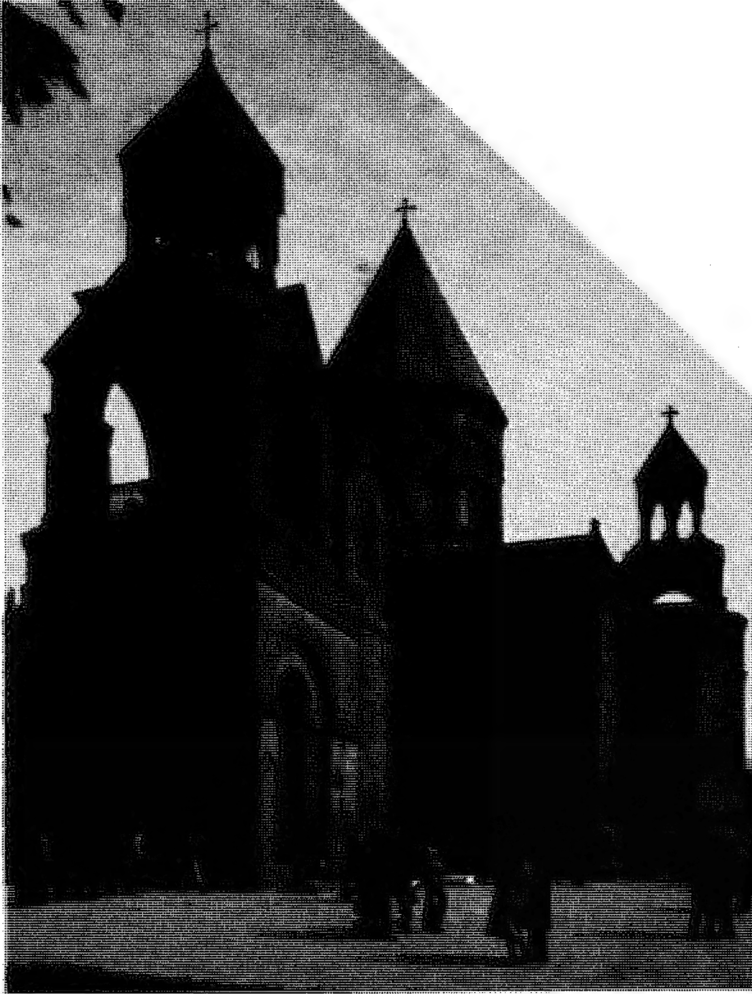
ثم خرجنا إلى ضواحي المدينة التي هي أيضاً غير جميلة، وعندما رأيتها تكرر في ذهني الخيال الذي تخيلته وهو أن هذا العبوس الظاهر أو المتخيل لي على وجوههم إنما مرجعه إلى هذه المناظر غير البهيجة في بلادهم، والمراد بذلك ما رأيناه منها، وأما ما كان بخلاف ذلك فإنه لا علم لنا به، ولكننا رأينا من الطائرة نواحي عديدة كلها ذات طبيعة أرضية غير سهلة.

أول كنيسة في أرمينية :

وصلنا مدينة (ايتش ميازي) في الساعة الثالثة، فكان أن قصدت الدليلة لكنيسة ليست بذات منظر فخم، ولكنها أشارت إليها باهتمام قائلة: هذه أول وأهم كنيسة في بلادنا اسمها (ربسي ماه) يعود تاريخ بنائها إلى تاريخ دخول المسيحية إلى هذه البلاد لأول مرة، بل ذكرت أنها أول كنيسة في كل الاتحاد السوفيتي.

وتقول الدليلة: إن سبب بنائها أن ثلاث فتيات مسيحيات هربن من اضطهاد

إمبراطور روما الوثني إلى أرمينيا، فأراد ملك أرمينيا سردات الأول أن يتزوج من إحداهن فرفضت زواجها منه لأنه وثني، وكانت أرمينيا آنذاك وثنية أهلها يعبدون الشمس، فقتلها الملك لما رفضت زواجها منه، فأقيم معبد على قبرها في مكان هذه الكنيسة، وكان قتلها في القرن الثالث الميلادي تقريباً، وفي القرن الرابع اعتنق الأرمن المسيحية، وصارت دولة أرمينيا دولة مسيحية.



أول كنيسة في أرمينيا

وفي القرن السابع بنيت هذه الكنيسة بهذا الشكل، وشددت الدليلة على أن هذا الشكل التي هي عليه الآن هو الشكل الأصلي لها، غير أنها رممت عدة مرات، آخرها قبل ١٠ سنوات.

ويبدو شكلها غير بعيد عن شكل المساجد التركية الصغيرة التي لا تكون فيها أعمدة من الداخل، وقد دخلناها فألفيناها كذلك، وليست واسعة، ولها محراب فيه صورة مريم وطفلها المسيح عليهما السلام.

وبداخلها باب قديم لكنيسة ذكرت أنه مصنوع في القرن الثاني عشر الميلادي، وفي أرض الكنيسة سجادة صغيرة أشبه ما تكون بالرمزية لأنها في وسطها لا تغطي إلا جزءاً صغيراً منه.

وأما باقي صحن الكنيسة فإنه مبلط بالحجارة الكبيرة القديمة.

ثم نزلنا إلى مكان تحت الأرض مع درج حجري قصير حيث قبر الفتاة التي ذكروا أنها رفضت الزواج من الملك الوثني فقتلها، وهو قبر معتاد ويرتفع عن الأرض بقدر شبر وظهره مستوٍ رسموا عليه صورتها.

ومما ينبغي تذكره أن مقر رئاسة الكنائس الأرمينية هو في مدينة (اتيش ميازي) هذه، ولذلك كانت جميع الكنائس الأرمينية في الخارج ترسل ممثليها لاجتماع يعقد فيها كل سبع سنوات، يقيمون أثناءه احتفالاً كبيراً بالماء الذي يسمونه مقدساً.

هذا وكان الجو حاراً في ساعة الظهيرة إلى درجة أننا كنا نسرع إلى الالتجاء للظل هرباً من حرارة الشمس مع أن المرء يرى على البعد قمة جبل (أرافات) الثالجة تطل على هذه المنطقة الدافئة من أرمينية.

وجبل (أرافات) هذا هو أعلى جبال أرمينية، ويبلغ ارتفاعه ٤٠٩٥ متراً

عن سطح البحر.

أما جبل (أرارات) الشهير بأن سفينة نوح أرست عليه بعد انحسار الطوفان، فإنه واقع في داخل تركيا، ويبعد (٥٠) كيلومتراً من مدينة يريفان ومع ذلك يرى منها إذا كان الجو صافياً.

وهو غير جبل الجودي الذي فهم بعض الجغرافيين أنه جبل في جزيرة ابن عمر التي تقع في الشمال من سوريا حيث حدودها مع العراق.

وقد نص القرآن الكريم على أن سفينة نوح قد استوت على (الجودي) ولكن أين هو؟ هذا هو المهم، وهو موضع الاختلاف.

هذا وقد غادرنا هذه الكنيسة المهمة من الناحية التاريخية سالكين شوارع المدينة التي رأينا شوارعها أضيق من شوارع العاصمة، ولكن موقع المدينة معتاد، وليس كموقع العاصمة فيه أماكن منخفضة وأماكن مرتفعة، وصخور ذات ألوان متعددة.

وقفنا في الشارع الرئيسي فيها الذي يأتي إليها من جهة المطار ومدينة (يريفان)، فرأيت الأطفال فيها شبه عراة بسبب الحر، أو لنقل إنه بسبب عدم البرد، ولا شك في أن الشمس عندهم الآن كشمس الرياض في هذا الوقت.

ومررنا بالميدان الرئيسي في المدينة، فطلبت أن نتليث فيه قليلاً.

ولما لاحظت عدم وجود الناس بكثرة فيها، وردت على ذهني قلة السكان في البلاد، فسألت الدليلة وهي متزوجة، ولا أدري لها أولاد أم لا، فقلت لها: إن الملاحظ أن السكان هنا قليل، فهل معنى ذلك أن بعض الرجال أو قسماً كبيراً منهم لا يتزوجون؟ فقالت: إن رجالنا يحبون أن تكون لهم علاقة، بأكثر من امرأة، والحكومة تدرس ذلك الآن، وقالت: أما عن

نفسي فإنني أتمنى أحياناً أن لزوجي زوجة ثانية، لأنني أعود إلى بيتي متعبة فأرى أن يكون علي أن أقوم بإعمال البيت والعناية بزوجي، ولو كانت له زوجة ثانية لساعدت على خدمته وخدمة البيت.

هكذا قالت، ومع أن هذا مفهوم في بلادنا، فإنه عندهم غير مفهوم إلا إذا كان زوجها ليس لديه ما تغار المرأة منه، فإن ذلك جائز.

الكنيسة الرئيسية:

يظهر أنه لا يوجد لديهم في هذه المدينة ما يطلعون السياح عليه إلا الكنائس، ولولا أنها تاريخية، وذات أبنية قديمة لما قبلنا أن نزورها.

قالت الدليلة وهي تقبل على كنيسة كبيرة وسط فناء واسع في أطرافه أبنية عدة.

ذكرت أنها منذ أن بنيت وهي مفتوحة للناس حتى إنها لم تغلق في العهد الشيوعي.

وذكرت أن من أسمته قريغوري، وهو الكاهن الأول في عصره، رأى في المنام أن المسيح نزل من السماء وطلب منه أن يبني كنيسة في هذا المكان، فبنى هذه الكنيسة.

قالت: كان ذلك في القرن الخامس عشر، ثم أضيفت إليها إضافات عديدة بعد ذلك، ورممت أكثر من مرة.

ومما استرعى انتباهنا أن عند بابها الداخلي من الخارج عدة قبور لرؤسائها الذين ماتوا ودفنوا عند مدخلها، وعددهم ٨ ابتداء من الذين تولوا رئاستها في القرن السابع عشر.

وجدنا الكنيسة واسعة من الداخل بالنسبة إلى الكنيسة الأولى، وليس

فيها فراش ولا مقاعد، وإنما يصلي المسيحيون فيها واقفين، وفيها ثريات معلقة، شبيهة بالتي في المساجد.

ورأيت فيها شموعاً كثيرة تتقد يوقدها الزائرون، ولم نفعل مثلهم، لأنهم يفعلون ذلك من باب التعبد أو من باب التعظيم، إذ يدفعون ثمنها للمسؤول في الكنيسة ويوقدونها.

المدينة التي دمرها الزلزال:

(أرمينية) مشهورة بكثرة زلازلها، وأكثرنا يتذكر الزلزال المدمر الذي حدث عام ١٩٨٨م، ودمر مدينة بأسرها، وهي بعيدة عن العاصمة وعن هذه المنطقة.



الدليلة السياحية الأرمنية قرب مدينة زفارت نوتس التي دمرها الزلزال

أما المدينة الذي نحن ذاهبون إليها الآن فإنها قريبة من مدينة (إيتش ميازي) التي خرجنا منها قاصدين هذه المدينة (زفارت نوتس) فمررنا بحقل واسع من أشجار العنب الذي لم يورق بعد، وقد غرسوا العنب فيه مقاماً على أعواد يقف عليها غير مرتفعة وليس فيه عرائش كالتي تكون عندنا.

وبساتين العنب هذه واقعة يمين الطريق ويساره.

ومررنا بالأبنية المتعددة الطوابق المعهودة في البلدان الشيوعية؛ حيث تبنيها الحكومات الشيوعية شققاً سكنية صغيرة للإسكان الشعبي حيث تؤجرها بأجور قليلة للناس، لأن الحكومة وحدها هي المرخص لها ببناء المساكن، ولا يستطيع الأفراد أن يبنوا لهم بيوتاً في المدن، هذا فيما لو حصلوا على النقود الكافية للبناء، وهم لا يستطيعون ذلك إلا إذا حصلوا عليه من الخارج.

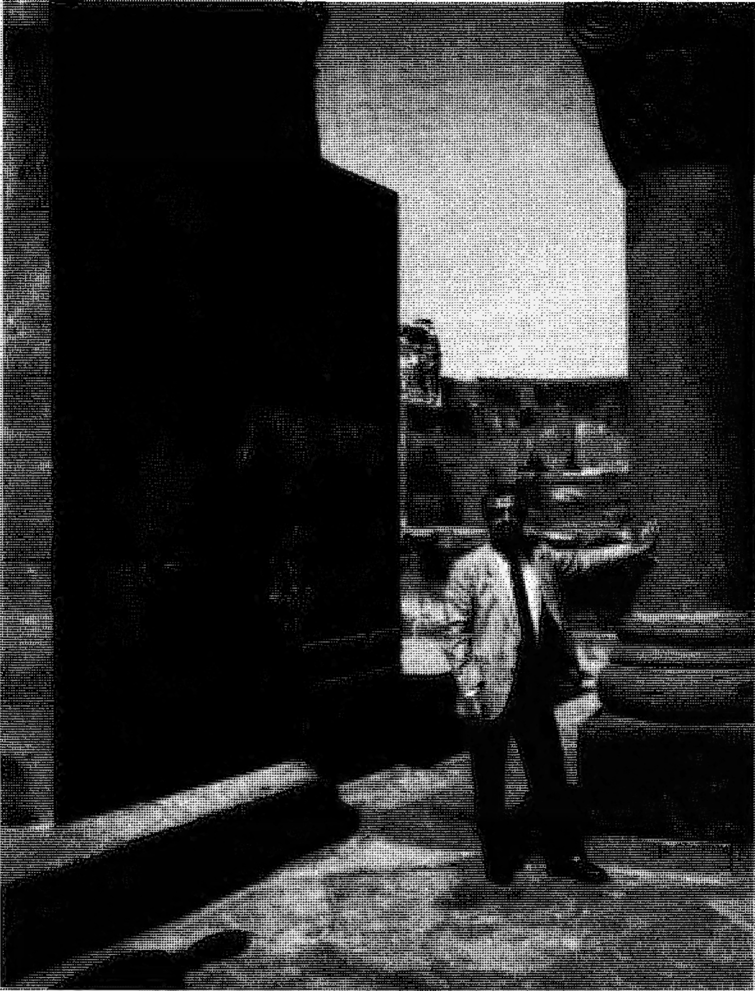
ذكروا أن مدينة (زفارت نوتس) هذه بنيت في القرن السابع الميلادي ودمرها الزلزال في القرن العاشر.

وأهم الآثار التي بقيت من هذه المدينة كنيسة قوية مبنية بالحجارة المهذبة بطريقة غاية في الإحكام، وبهندسة عجيبة حتى إن الإمبراطور الروماني قسطنطين الثالث أعجب بها لما رآها، فأمر بأن تبنى مثلها في بلاده.

ومع ذلك لا يعرف من الذي بناها بالضبط.

وبناؤها الحجري على هيئة الأبنية الحجرية الشائعة في البلدان العربية في العصور الوسيطة، فحيطانها من الحجارة المهذبة يصنعون من كل وجه من وجهي الحائط حجراً منقوشاً، ويملؤون ما بين أعقاب الحجارة بحجارة أخرى صغيرة، ويربطونها بمادة تشبه الجبس.

وأما العُمد، فإنها من حجارة واحدة كما تبدو، ولكن تبين أنها من أكثر من حصاة واحدة، إلا أن تهذيب الحصى وإلصاق بعض ببعض جعله يبدو كأنما هو حجر واحد.



عند الكنيسة القديمة في مدينة زفارت نوتس التي دمرها الزلزال في أرمينيا

وقفنا فوق أنقاض هذه الكنيسة التي رفعوا موقعها وهي أصلاً مرتفعة قليلاً يطل على بساتين المشمش ذي الأشجار الهامدة التي لم تستيقظ من سبات الشتاء بعد، فالتقطنا لها وللمنطقة صورة تذكارية.

وكانت الشمس - كما قدمت - ساطعة حارة، وقالت الدليلة: إن سماء بلادنا تكون صافية تماماً في الصيف، حيث لا يوجد في السماء ولا قزعة من سحاب، وقالت: تظل الشمس مشرقة بدون انقطاع مدة أربعة أشهر ونصف.

العودة إلى يريفان:

عدنا إلى يريفان، ولاحظت وجود قمائم تحرق على الطريق أي أنهم لم يبعدوها عنها إلى محرقة خاصة مثلاً، ومن المعلوم أن حرق القمائم يلوث الجو بالدخان، ويلوث الأرض بالرماد.

وسألناها فيما إذا كان يوجد مطعم للمسلمين في (يريفان) كأن يوجد مطعم تركي أو لبناني أو داغستاني؟ فأجابت بأنه لا يوجد أي مطعم للمسلمين.

كان رجوعنا من طريق المطار إلى المدينة في الخامسة إلا الربع، ورأيت بقرة واحدة معها راعيها وهو شاب، وهي تأكل من أعشاب الجزيرة التي في طريق المطار تفصل بين السيارات الذاهبة والآيبة.

المسجد الأزرق:

كررنا على الدليلة قولنا: إننا نريد أن نرى مسجداً ونصلي فيه، فهذه البلاد الأرمينية كان فيها مسلمون، وكانت فيها عدة مساجد، ولا يمكن أن تضيع، وإذا كانت غيرت فإننا نريد أن نرى كيف كان ذلك.

وبعد أن سألت بعض الأشخاص أخذتنا إلى (المسجد الأزرق)، وهي لا تعرف اسمه، ولا تعرف المقصود منه، وإنما نزلت على رغبتنا.

رأينا منارة المسجد وصورناها مع جزء منه، وذلك من مكان مرتفع فيه بعض الموانع، فأردنا بعفوية أن ندخل إليه، فوجدنا باباً له خارجياً عريضاً مؤقتاً مغلقاً بقفل ضخم، فقرعنا جرساً جاء على أثره رجل ففتح الباب فأسرعنا نريد الدخول إليه، وكنا نرى عمالاً وسيارات وآلات تعمل فيه فمنعنا وقال: لا بد من أن يأتي المسؤول، ثم جاء المسؤول، وهو إيراني يعرف شيئاً من العربية، فسألناه عن المسجد فامتنع من أن يخبرنا بأي شيء عنه، وقال: المعلومات عند السفارة الإيرانية.

فقلنا له: إننا لا نريد إلا أن نعرف اسمه، ومن الذي يقوم على إصلاحه الآن، وذلك فخر لمن يقوم به، فأبى وقال: راجعوا السفارة الإيرانية.

ثم طلبنا منه أن ندخل ونراه لا سيما أن فيه عدداً من العمال يعملون، فامتنع فلما لمناه قال: سيأتيكم رجل مسؤول عن سير العمل، وقال: لا يمكننا أن نسمح لكم بدخوله إلا بعد أن تأذن السفارة الإيرانية، فقلت له: إنني سوف ألتقط صورة لهذا الذي نراه منه، فقال: لا نسمح لكم بأخذ الصورة إلا إذا أحضرتم إذناً بذلك من السفارة الإيرانية.

ثم أغلق الباب في وجوهنا مع أنه باب كبير مؤقت تدخل منه سيارات النقل، وكنا رأينا منه قبل أن يغلقه أن المسجد ذو فناء واسع، في فنائه أروقة فيها غرف.

ولم نعرف من الذي يقوم على بنائه ولا من أنشأه حتى غفل المسؤول فأسرّ أحد العمال أو الوكلاء لنا بأنه يسمى (المسجد الأزرق)، وأنه سوف يكون جزء منه مركز ثقافياً، وجزء للعبادة، وإنه بني أول الأمر في عام

١٧٧٤م.

ولم أر تعليلاً صحيحاً لامتناعهم عن دخولنا إلى مسجد فيه عدد كبير من العمال، وكنا أخبرناهم بأننا من مكة المكرمة، وأننا سررنا لترميم المسجد.

ويقع موقعاً ممتازاً على شارع (ما ستوش).

وقد بدا المسجد كما لو كان مهجوراً؛ بل كما لو كان خراباً منذ مدة طويلة، والواقع أن الأمر كذلك، فإنه كان مهجوراً مهملاً، ولكن العلاقات حميمة الآن بين إيران وحكومة أرمينيا، حتى إن الآذريين - أهل أذربيجان - كانوا ولا يزالون يشكون مرّ الشكوى من أن الإيرانيين ساعدوا الأرمن في حربهم مع أذربيجان، ومن أهم ذلك أن الحدود الإيرانية كانت الحدود الوحيدة لأرمينيا التي كانت مفتوحة يأتيها منها الوقود وغيره مما يساعد في الحرب.

وقد تكلمت الدليلة مع أشخاص آخرين فذكروا أنه يوجد في العاصمة ثلاثة مساجد كلها معطلة، وأحدها غيِّر إلى مسكن، وسكنه أناس غير مسلمين.

ونحن نعرف أن مدينة (يريفان) كانت فيها ٨ مساجد في السابق، ولكنها تقلصت إلى ٢ أو ثلاثة الآن كلها غير مفتوحة وتحتاج إلى إصلاح إذا أريدت استعادتها.

ويصعب الآن ذلك على اعتبار أن المسلمين الذين كانوا فيها غادروا إلى بلدانهم، وبخاصة من كانوا فيها من الأذريين أهل أذربيجان، مع العلم بأن المعلومات التي لدينا تفيد أن (يريفان) كان فيها في مطلع القرن العشرين ٥٠٪ من السكان المسلمين أي نصف سكانها، وفي صلاة الجمعة لا يمر بالشارع

أحد من غير المسلمين، أي أنه يمنع مرور غير المسلمين من الشارع الذي تقام فيه صلاة الجمعة أثناء الصلاة، وأما الآن فإنه ليس فيها مسجد يصلى فيه، ولا مقبرة خاصة بالمسلمين.

هذا وقد حاولنا الحصول على عنوان أي مسجد من المساجد المهجورة لنطلع على حالتها الحاضرة، فلم نستطع رغم كوننا بذلنا جهوداً عديدة في هذا الشأن.

مع الطلاب العرب:

انتهت الجولة السياحية بعد الخامسة بقليل، وودعنا سائق السيارة السياحية وسيارته، ولكننا طلبنا من الدليلة أن تذهب معنا إلى الجامعة في يريفان حتى تساعدنا في العثور على الطلبة العرب لكونها تعرف الإنكليزية، فاستأجرنا سيارة أجرة وذهبنا إلى الكلية الطبية في ضاحية من ضواحي المدينة.

كانت الطرق والشوارع في هذه الضواحي سيئة جداً مثلما عليه الحال في طرق البلدان الشيوعية السابقة، والمراد بذلك الطرق في الضواحي والشوارع خارج قلب المدينة، وأما الطرق الخارجية التي تربط بين المدن والقرى فإنها أحسن حالاً، وإن لم تصل إلى أن توصف بأن حالها حسنة، وقد عجبت من سائق سيارة الأجرة، وسيارته (فولقا) قديمة كيف يصبر على السير فوق هذه الطرق السيئة التي جعلتها تهتز وتقرقع، وأحياناً ترتفع وأحياناً تنخفض مع أصوات سيئة لأجزائها، وهي تتحرك ويخيل إليك أن بعضها سوف ينفر من بعض.

حتى وصلنا مبنى منعزلاً ظنوه سكناً للطلبة، وليس في الشارع أي شيء من الزفت، وتبين أن العرب ليسوا فيه، وإنما هم في سكن الجامعة في داخل المدينة فذهبنا إليه، والدليلة هي التي تسأل لأننا لا نعرف لغتهم ولا يعرفون لغتنا، فكانت المفاجأة أن وجدنا عند باب السكن الجامعي عدداً من

الطلاب الذين يتكلمون العربية، وهم من الأرمن من العراق وهم الأقل، ومن سوريا وهم الأكثر، فأخبرونا بلغة عربية فصيحة كأنها لم تر (أرمينية) من قبل بأن عدد الطلاب العرب هنا يزيد على (٣٠٠)، فيهم ٢٥٠ من أصل أرمني، والبقية من السوريين المسلمين.

ولهم اتحاد معترف به من إدارة الجامعة اسمه (اتحاد طلاب سوريا) رئيسه مسلم مع أن الأكثرية من الأرمن.

تقدمنا هؤلاء الطلاب حتى أدخلونا غرفة في السكن الجامعي فيها بعض الطلبة المسلمين السوريين، فرحبوا بنا أجمل ترحيب، وأسرعوا بإصلاح الشاي وإحضار ما قبله من البسكويت والفاكهة التي فيها التفاح واللوز الأخضر جاء إليهم هدية من سوريا، وكان هذا حدثاً غير مألوف لنا في رحلة الشمال هذه التي لم يكن من نلقاهم فيها يسرعون بمثل هذه الأشياء.



مع الطلاب العرب في يريفان

ثم كان الجد بأن سألناهم عن أوضاع المسلمين بعامة، وعن أوضاعهم خاصة، وكان عددهم خمسة، حضر معهم بعد ذلك اثنان كما حضرت في آخر المقابلة امرأة أرمنية عربية، فذكروا أن الطلاب المسلمين نحو ٥٠ من سوريا جاؤوا في الأصل بناء على اتفاقية للتعاون الثقافي بين سوريا وحكومة أرمينيا، وفي الجامعة طلاب مسلمون من بنغلاديش ومن الهند، ولكنهم لا يجتمعون بهم ولا يصلون هم ولا غيرهم مطلقاً في أي مصلى، والذي يصلي منهم يصلي في غرفته خلف باب مغلق، وهو خائف على نفسه، من فرط ما يشعر به من العداوة الشديدة لكل ما هو إسلامي أو يمت للمسلمين بصلة.

وستأتي في آخر الكتاب، خلاصة لما دار من حديث.

العيش في البلدان العربية أفضل:

تحدثنا مع المرأة الأرمنية، وهي شابة طالبة، ومع غيرها من الطلاب الأرمن الذين عاشوا في البلدان العربية عما إذا كان الأرمن عادوا إلى هذه البلاد بعد أن استقلت أرمينيا، فأجابوا بأنه لم يعد أحد، وحتى هم لا يفكر أحد منهم في العودة إلى هذه البلاد والعيش فيها؛ لأن العيش في البلدان العربية أفضل، وذكروا أنهم لا ينوون حتى العودة إلى أرمينيا بعد تخرجهم، وقالوا: من جرب العيش في البلدان العربية لم يستطع أن يعيش في مثل هذه البلاد التي تفتقد الآن أكثر أسباب العيش المريح.

وقلت لهم بعد أن سمعت من إخواننا الطلاب المسلمين مدى التعصب ضد الإسلام المسلمين إنه يجب عليكم وأنتم قد عشتم في البلاد العربية أن تخبروا الأرمن أن المسلمين لا يريدون بهم سوءاً، لكونهم أرمن، ولا ينظرون إلى الخلف حول العداوة السابقة التي اتسمت بها علاقة الأرمن بالمسلمين على مدى التاريخ.

وأخبروهم أن الأرمن في سوريا ولبنان ومصر لهم جمعياتهم ومؤسساتهم، وحتى كنائسهم، ولا أحد يمنعهم من التعبد فيها على حين أنه لا يوجد مسجد واحد مفتوح في هذه البلاد الأرمنية، وقلت لهم: لقد جئنا إلى هذه البلاد التي كانت فيها مساجد كثيرة، فبحثنا في العاصمة عن مسجد نصلي فيه فلم نجد ولا مسجداً واحداً، فذكروا أنه لا يوجد مسلمون هنا إلا الإيرانيون فلهم سفارة في هذه البلاد، لأنهم جيران لها، ولهم تجارة معها.

ولا توجد سفارة لأي بلد عربي إلا السفارة المصرية.

قتلوا بسبب صلاة العيد:

كان الإخوة في (كتشنيف) عاصمة مولدوفا قد أخبرونا أن الأرمن قتلوا بعض الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون عندهم بسبب صلاة العيد.

ولما وصلنا إلى هذه البلاد سألنا الطلبة السوريين المسلمين عن ذلك فأكدوه، وذكروا أن الطلبة العرب أقاموا صلاة العيد في مطعم السكن الجامعي، لأنه لا يوجد مكان آخر يصلون فيه، ولما صاروا يكبرون للعيد حضرت إليهم الشرطة الأرمنية فأوسعتهم ضرباً وقطعت عليهم الانتظار للصلاة، فلم يصبر الطلاب الجزائريون على ذلك من دون سائر الطلاب المسلمين، فأخذوا يدفعون عنهم الجنود، ويردون الضرب عنهم بضرب الجنود، فكانت النتيجة أن قتل اثنان أو ثلاثة من الطلبة الجزائريين وانسحب الباقون من أرمينيا.

وقال أحد الطلبة السوريين: لقد عشت في روسيا وغيرها من الأقطار، فكنت أستطيع أن أصلي وأعلن أنني مسلم إلا في أرمينيا فلم أستطع، ولم نر تعصباً ضد الإسلام والمسلمين مثلما هو هنا في هذه البلاد الأرمينية.

كلمات عربية في اللغة الأرمنية:

لغة الدراسة في هذه الجامعة الأرمنية كانت اللغة الروسية لأنها هي لغة التعليم في الاتحاد السوفيتي المنحل، ولذلك لا يجد الطلاب الأجانب هنا وفي (مولدافا) أية حاجة لتعلم اللغة الوطنية، ولكونها لغة محلية ليست لها قيمة عالمية.

ومع ذلك نجد أكثر الطلاب يعرفون أشياء من الأرمينية نتيجة للإقامة الطويلة فيها، ولكن معلوماتهم لا يعول عليها فيما يتعلق بالكلمات الموجودة في اللغة الأرمينية من العربية إلا من وجود الطلاب الأرمن، وعلى رأسهم تلك المرأة التي هي متعلمة.

قالت وقالوا معها: توجد كلمات عربية في اللغة الأرمنية منها مثلاً كلمة (حمار) للشخص الغبي الذي لا يفهم يقولون (همار)، وهي كلمة (حمار) العربية، وإن كانوا يستعملون لاسم الحمار لفظاً آخر هو (ايش)، والياء خفيفة مما حملني على أن أتذكر أن العامة عندنا في القصيم يسمون الحمار (اش)، فيقولون له عندما يريدونه أن يقف: (اش)، ويقولون للغبي أو المحتقر من الأشخاص، (كنك أش) أي كأنما أنت حمار. وبذلك يصح القول بأن اسم الحمار متبادل في اللغتين، من دون أن يطمس الاسم الأصيل الشائع له فيهما.

ويقولون للزيت (الزيت) كالعربي، ويقولون لغير الحلال (حرام) كما يقولون للسرير (تخته)، وحتى الجُمل العربية يقولون للمباح (حلال زلال) أي كما يقول المصريون: حلال بلال، ويقولون للبر الذي يستعمل في الجريش ونحوه (برغل).

كما يقولون لمكان الاجتماع (مجلس) وهي الكلمة العربية، والكيف

بمعنى الانبساط، ومن التركية التي دخلت العربية (شاكوش) للمطرقة.

وإذ أرادوا أن يقولوا للشخص: يا أخي، قالوا: (اخيير) ويسمون الأرمن الذي يعيشون في سوريا (أخيار) بمعنى إخوان.

ولا شك أن المسألة تحتاج إلى دراسة واستقصاء، ولكن هذا ما أمكن معرفته من خلال المحادثة غير الطويلة معهم.

وفي النهاية صحبنا بعض الطلبة السوريين إلى الفندق لتوديعنا، فأعطيتهم بقية من تمر كانت معي ومصحفين، وكانت مديرة الفندق منعتهم من دخول غرفنا، وقالت: هذا من مصلحتكم، من أجل الأمن.

يوم الخميس: ١٧/ ١٢/ ١٤١٧هـ ٢٤/ ٤/ ١٩٩٧م.

العدول عن السفر شرقاً:

كان من خطتنا أن نسافر بعد (أرمينية) إلى جمهورية قزاقستان أو جمهورية أوزبكستان غير أن الوقت داهمنا، ولم يبق على موعدا استئناف العمل في بلادنا إلا يومان؛ إذ يبدأ يوم السبت القادم، ولو كان الأمر متعلقاً بالعمل في مكاتبنا وحده لتجاوزناه قليلاً لأن رحلاتنا هذه نعتبرها من صميم عملنا، ولكننا لم نجد أية وسيلة للسفر إلى هناك في الرحلات التي كنا عرفنا أنها كانت موجودة من قبل، وأوقفت نتيجة لقلة عدد المسافرين ومصاريف الرحلات، ولا يمكن ذلك إلا بالسفر إلى موسكو ثم إلى تلك الجهة أي آسيا الوسطى التي تقع إلى الشرق من منطقة القوقاز التي تقع أرمينية في جنوبها.

وحتى إسطنبول الرحلة إليها أسبوعية لا تحين إلا بعد خمسة أيام وهناك رحلة إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام، ولكننا وقد حصلنا على ما نريده من

رؤية هذه البلاد الأرمنية، ومعرفة أحوال المسلمين فيها رأينا اليوم أن أفضل الطرق وأسرعها أن نسافر بعد الظهر إلى (دبي)، فلها رحلة من عدة رحلات تسافر إلى هناك؛ لكون (دبي) تعتبر سوقاً مفتوحة يجدون فيها من البضائع الرخيصة ما لا يستطيعون أن يجدوه إلا في أماكن قليلة بعيدة عنهم، لذلك ألغينا السفر شرقاً إلى آسيا الوسطى، مؤجلين ذلك إلى فرصة تسنح فيما بعد مع أنها بلاد تعتبر معروفة لنا وسبق أن زرناها أكثر من مرة.

مغادرة أرمينية:

عند المغادرة جاءت مديرة الطابق، ولكل طابق في الفندق مديرة مسؤولة عنه لها مكتب عند المصعد تراقب منه الصاعدين والنازلين إلى الطابق، ولها مكتب داخلي، وتأخذ المفاتيح من النزلاء، وتعطيهم إياها دون أن تعرف الإدارة ذلك، ولكن لا تفعله إلا بعد أن تخبرها الإدارة بأن النزيل قد دفع أجرة الغرفة، وذلك جرياً على العادة في الفنادق الروسية، وقد عرفنا أن وجود مثل هذه المديرة المسؤولة في الطابق هو عامل أمان مفيد.

وهذه المديرة واحدة من اثنتين كل واحدة تعمل يوماً وكلاهما نَصَف أي في منتصف العمر ليس فيها شيء من الجمال على العادة في نساء هذه البلاد.

عندما أردنا الخروج جاءت بنفسها لتفحص الثلاجة الصغيرة التي في داخل الغرف وفيها مشروبات محرمة وحلال، فقلت لها: إننا لم نقربها لأننا مسلمون لا نشرب الخمر، فابتسمت بخبث وقالت: الإيرانيون نزلوا عندي وشربوا الخمر في الغرف، فقلت لها: ربما يكونون من غير المسلمين لأن في إيران رعايا من غير المسلمين.

ثم خرجنا إلى المطار مع حافلة صغيرة استأجرناها من الفندق بـ: ٢٠

دولاراً، وذلك لأن سيارة الأجرة الصغيرة لا تتسع لنا مع أمتعتنا.

عندما وصلنا إلى المطار نظر ضابط في جوازاتنا وتذاكرنا ثم أعطاها لموظف الترحيل، ولكنه توقف من دون أن نعرف السبب إلى أن جاءت عجوز تعرف الإنجليزية وقالت: أتريدون أن تجلسوا في غرفة كبار الزوار؟ فقلنا: شكراً. سنكون مع سائر الركاب.

والغريب الذي يدل على دناءة نفوس الشيوعيين السابقين وقلة المجاملة عندهم أنهم عندما وزنوا أمتعتنا ونحن ثلاثة قالوا لديكم ٨ كيلو زيادة وزن عن العشرين كيلو لكل واحد، ومعنى هذا أن كل واحد لديه حسب قولهم أقل من ثلاثة كيلوات وهو مبلغ زهيد لا تنظر إليه شركات الطيران العالمية، وأخذوا أجرة عن هذا المقدار الزائد ١٥ دولاراً أمريكية، وهذا أمر عرفناه في كثير من الأقطار الشيوعية السابقة حتى إنهم في مطار أومسك عاصمة جمهورية روسيا البيضاء وزنوا حقائبنا اليدوية، وأخذوا أجرة على حملها مع أنها بأيدينا.

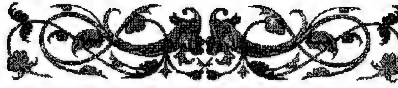
ثم انصرفنا من عند موظف الترحيل إلى قاعة المغادرة، ووجدنا عند مدخلها حارساً ضخماً ينظر إلى الناس بعيون محمرة، ومعه ثلاثة ضباط كبار ما لبث أن انضم إليهم ضابط رابع أكبر منهم كل واحد منهم ينظر إلى جوازاتنا يتفحصها ثم ينظر إلى وجوهنا.

ثم أذنوا بالدخول إلى مدخل قاعة المغادرة، ولكننا وجدنا قبلها ضابطاً يفرق الركاب على مكاتب خمسة للجمارك يقف المسافر عند المكتب فيملأ استمارات ويكتب الضابط مثله، فأفهمناه أننا نحمل جوازين دبلوماسيين فأعفانا، وأمر رفيقنا الأخ رحمة الله بذلك، وكانت ضابطة الجمارك امرأة صارت تكتب وتسجل في الحاسب الآلي وتنظر فيه.

ثم وقفنا ننتظر أن يأذنوا بدخول قاعة المغادرة وكانت مغلقة، ولكن موظفها الحارس اعترضنا طالباً أن نقف ووقفنا فأطلت امرأة من باب جانبي وقالت: انتظروا، وبعد وقوف جاءت وفتحت لنا باب القاعة.

ورأينا القاعة جيدة نظيفة، وإن لم تكن واسعة مثلها في ذلك مثل مبنى المطار كله الذي هو جديد، ولكنه ليس كبيراً، وهو على هيئة خيمة مستطيلة قليلاً حيطانه مكسوة برخام أبيض غير ناصع.

وكنت قلت لموظفة الترحيل: إنني أريد مقعداً عند نافذة الطائرة فقالت: الركاب قليل، والمقاعد كثيرة في الطائرة، ولذلك لم أعجب لعدم كثرة الركاب الذين في القاعة، وليس في قاعة المغادرة مقهاة ولا متجر، وربما كان ذلك لحداثة بنيانها إضافة إلى قلة الركاب.



ملاحظات أخيرة:

يبدو أن حقد الأرمن وعداءهم لم يقتصر على الأتراك والآذاريين فقط بل أصبح ضد المسلمين بدون تفريق، حتى إن الطلاب العرب المسلمين لم يشفع لهم كونهم طلاباً عزلاً يدرسون في بلادهم أرمينيا بموافقتهم يؤدون صلاة عيد الأضحى جماعة حتى هجم عليهم الأرمن وضربوهم، وقتل عدد منهم، وعلى ضوء ذلك نصح طلاب مسلمون في أوكرانيا ومولدوفا وفد الرابطة بعدم السفر إلى أرمينيا خوفاً وخشية عليهم من التعرض للاعتداء إذا عرفت شخصيتهم، واتضح من الزيارة أن الحقد الأرمني والاضطهاد السوفييتي الإلحادي أدى إلى تلاشى المسلمين واختفائهم من أرمينيا، واختفاء معظم آثارهم الإسلامية، وأصبح المسلم بالفعل يخشى على نفسه.

ويتضح أن الأرمن يغرسون في أبنائهم الحقد وحب الانتقام من الأتراك بالاحتفال التأبيني الذي يقام سنوياً حول النصب التذكاري الذي وضعوه لذكرى قتل الأتراك لأكثر من ١.٥ مليون أرمني في ٢٣ أبريل ١٩١٥م، ويحضره المسئولون والمواطنون على مختلف فئاتهم، وكذلك ممثلو الجماعات الأرمينية في أنحاء العالم.

أما الرقم الذي ذكروه لمن قتلهم الأتراك من الأرمن وأنه مليون ونصف فإنه يبدو مبالغاً فيه، إذ قدر عدد الأرمن بنحو ٦٣ ألف نسمة في الولايات الأرمينية العثمانية عام ١٨٩٦ أي قبل الحادث المذكور بتسعة عشر عاماً علاوة على أن المستشرق برنارد لويس Bernard Lwice أكد أن المجازر الأرمينية لم تكن كما يصورها المؤرخون الأرمن، وأن عمليات الترحيل الجماعي تكمن أسبابها في الاستفزازات التي مارسها الشبان الأرمن مدعومين من الروس القياصرة ضد الأتراك.

مع أن العلاقات التجارية ووسائل الاتصال والتنقل والسياحة موجودة بين أرمينيا وتركيا، ولكن يبدو أن النفوذ الإيراني أقوى، والعلاقات بين أرمينيا وإيران متطورة؛ بحيث إن إيران استطاعت أن تتولى ترميم وإصلاح المسجد الأزرق، وتخطط لإقامة مركز ثقافي إيراني فيه مما يعيد إلى الذاكرة التعاون الأرمني الصفوي ضد العثمانيين في القرن السادس عشر الميلادي.

ويبدو أن الأرمن ينظرون إلى العرب على أنهم يشكلون العنصر العربي وليس على أساس أنهم مسلمون، فالكاتب الأرمني غريغور أفانجيان Grigoy Avagyan في كتابه ((أرمينيا والأرمن في العالم))، المطبوع والمنشور في يريفان ١٩٩٤م يقول: لم يرحب الأرمن بالتأكيد بالغزاة العرب؛ بل ثبت أنهم أبدوا مقاومة طويلة الأمد كما نتصورها من الأسطورة الشعبية (ساسونتسي دافيد Sasuntsy David) التي ظهرت في ذلك العهد، ولكن عندما ننظر إلى الماضي البعيد يجب أن نجيز لأنفسنا أن نقول بأن أرمينيا حظيت بتطور حضاري، وقد عانى العرب والأرمن مظالم الترك، ولقي الأرمن اللاجئون ترحيباً ومساعدة في سوريا ولبنان والأردن.

ويظهر أن الأرمن الذين يعيشون في بلدان عربية وإسلامية لا يعملون على تصويب نظرة الأرمن إلى الإسلام والمسلمين الذين لقوهم بالترحيب والمساعدة مع أن الكتاب يشير إلى وجود خمسة عشر ألف أرمني في المملكة العربية السعودية وحدها.

وهذا غير صحيح إذا أريد به أن في السعودية أرمن من أرمينيا، أما إذا أريد أنه يوجد فيها أرمن من الذين استوطنوا سوريا أو لبنان، فذلك جائز، وقد جاؤوا بصفتهم مواطنين في دول عربية، مع أن الرقم مبالغ فيه أيضاً حتى على هذا الاعتبار.

توصيات:

أولاً: مولدوفا:

١- تخصيص مبلغ مالي سنوي من رابطة العالم الإسلامي لجمعية السلام الطلابية لمساعدتها في تسديد نفقات وإيجار المصليات، وتسيير أعمال الدعوة الإسلامية.

٢- توصية هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بتقديم مساعدات إنسانية إلى اللاجئين الشيشان والمسلمين الجدد المتضررين الموجودين في تلك البلاد.

٣- متابعة الاتصال بالأستاذ البر بابايف رئيس جمعية السلام الثقافية حول مشروع إقامة مركز ثقافي إسلامي في كيشينيف، وعلى ضوء ما انتهى إليه الموضوع تتقرر مساعدته.

٤- تخصيص منح دراسية عاجلة لأبناء المسلمين في مولدوفا.

ثانياً- أرمينيا:

١- توصية المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالإيعاز إلى الجماعات الإسلامية في البلدان العربية التي يوجد فيها الأرمن مثل سوريا ولبنان والأردن لإرسال دعاة أكفاء بصفة طلاب يتولون تنظيم أمور الدعوة الإسلامية بين الطلاب الوافدين إلى أرمينيا، وكذلك يعملون بهدوء على توضيح مبادئ الإسلام وتعاليمه لغيرهم، وقد يتمكنون من دعم المسلمين المختفين عن الأنظار، وخاصة أن أرمينيا الحالية تضم مناطق يسكنها بعض الأكراد.

٢- الكتابة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي عن الوضع الإسلامي في

أرمينيا لحث الدول الإسلامية التي لها علاقة بها بمطالبة أرمينيا في علاقاتها واتصالاتها الثنائية بتمكين المسلمين من ممارسة شعائرهم الإسلامية وإقامة صلاتهم في المساجد بدون خوف من قتل أو اضطهاد، أسوة بما يجده الأرمن في البلدان الإسلامية.

٣- طبع عدد من الكتب الإسلامية الميسطة باللغة الأرمنية وتوزيعها هناك حسب الإمكان.

من يريفان إلى دبي :

خرجنا إلى الطائرة التي كانت واقفة في ساحة وقوف الطائرات سيراً على الأقدام، وكان الجو صافياً أكثر ميلاً إلى الحر، فوجدناها من طراز توبوليف ١٥٤ الكبير، وهو من صنع روسي كأغلب طائرات جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

ورغم كون عدد الركاب قليلاً فقد رأيتهم يتزاحمون على الصعود لهذه الطائرة الكبيرة، وتبين لي السبب بعد ذلك، وهي أنهم حولوا الجزء الأكبر منها إلى الشحن بحيث أبعدوا عنه الكراسي، وبقي الركاب محصورين في مقاعد معينة ضيقة جداً حتى إن أحد الركاب من ذوي الطول في الجسم ظل واقفاً طول الرحلة لأن المقعد لم يتسع له مع رجليه الطويلتين، أما أنا فإنني لم أستطع أن أجد مكاناً لحقيبتي اليدوية.

فهذه الطائرة بمستواها أقل من الدرجة السياحية المعتادة بكثير.

وقد حملهم على ذلك كونهم ينقلون فيها بضائع من دبي التي تعتبر سوقاً حرة عالمية هي أقرب الأسواق العالمية من بلادهم من حيث المسافة، ووفرة السلع.

ومع أن الطائرة تحمل في العادة ١٥٠ راكباً فإنه ليس فيها الآن إلا ٦٦ كرسياً في مقدمتها في كل صف ستة كراسٍ.

ومن الأشياء التي تدل على عدم التطور هنا أنهم جاؤوا بجرة ضخمة من جرار الغاز يسحبها جرار زراعي فضخوا في الطائرة منها، وهذا أمر تجاوزه غيرهم الآن إذ ينقلون الغاز على عربات معدة لذلك كما هو معروف.

والطائرة مثل طائرة أمس تابعة لمؤسسة (أرمينيا آير) ومن الطريف الذي يدل على عدم انتشار هذه الشركة في العالم أنهم يرمزون لها اختصاراً بحرفي AA وهذا رمز لشركة (أمريكا أيرلاين)، ولكنهم لم يصلوا إلى الأماكن التي تصل إليها الشركة الأمريكية، وإلا لاضطروا إلى اتخاذ رمز غير هذا الرمز.

هذا وقد أعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الطيران إلى مدينة (دبي) سيستغرق ساعتين وأربعين دقيقة تقطع الطائرة خلاله المسافة التي تبلغ ٢١٤٠ كيلو متراً.

وهذا أمر عجيب، إذ هذه المسافة قصيرة حسبما يتخيله أمثالنا، وكنا نظن أن أرمينية تبعد عن بلادنا أكثر من ذلك، ولكن إذا نظر في الخريطة وجد أنها لا تبعد عن حدود العراق الشمالية إلا مسافة قريبة.

وكان الإعلان بلغتهم ذات الجرس غير الجميل، ثم بإنجليزية واضحة، ورأيت في جانب من المطار عدداً من الطائرات الروسية الصنع هي في الواقع حصتهم من شركة (أيروفلوت) السوفيتية السابقة التي كانت تملك أكبر عدد من الطائرات تملكه مؤسسة أو شركة واحدة في العالم، وعندما انفرط عقد الاتحاد السوفيتي تقاسمت الجمهوريات التي كانت مشتركة فيه تلك الطائرات.

تحركت الطائرة فرأيت المدارج كما رأيتها عند الوصول ليس فيها أعشاب خضر، وإنما تبدو على البعد كأرض المطارات العربية في غير فصل الربيع من ناحية قلة الأعشاب الخضر فيها، ثم أقلعت في الواحدة وعشر دقائق متأخرة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل، وهو الساعة الواحدة بعشر دقائق، وهذا لا يعتبر تأخيراً في عرف شركات الطيران.

وحلقت فور طيرانها فوق ضاحية غير بهيجة من ضواحي (يريفان).

ثم صارت تطير فوق الريف الذي كانت خضرته باهتة أيضاً، فهي قليلة ويغلب اللون الرمادي عليه، ثم وصلت إلى الجبال الثالجة الذي يبعث منظرها القشعريرة في البدن.

ولا شك أن لموقع مدينة (يريفان) في وهدة منخفضة بين الجبال التي لا تحاصرها ولا تضايقها دخلاً في جوها الدافئ.

ومن الطريف أن المضيفات أعلن بالأرمينية والإنجليزية بالتناوب بين اللغتين جملة فجملة كيفية التصرف عند الهبوط الاضطراري ومن ذلك كيفية استعمال سترة النجاة عند الاضطرار للهبوط في البحر مع أنه ليس بينهم وبين دبي إلا مساحة قصيرة من مياه الخليج العربي.

هذا ولم يلبث منظر الجبال الثالجة إلا قليلاً حتى انقطع بخلاف ما عليه الحال عندما قدمنا من إسطنبول إلى يريفان؛ حيث ظلت تساير الطائرة أو تسايرها الطائرة لمسافات طويلة.

وقد حل محل الجبال الثالجة في المنظر أراضٍ زراعية بحقول غير كثيفة تحت سماء صافية وشمس مشرقة، ولا ندري أهي من أراضي إيران أم تركيا، فلم يخبرنا عن ذلك مخبر من الطائرة، ولا توجد فيها خريطة للرحلات، ولا أية مطبوعات فيها بيانات عن الرحلة ولا صحف ولا مجلات.

ثم جاؤوا بالغداء، والوقت الآن وقته، واللحم فيه فخذ دجاجة لا يمكن أن نقربه نحن وأمثالنا؛ لأننا نعرف أنهم يذبحونه ذبحاً غير شرعي، وفي الصحن بطاطس معه شيء كقطع البصل الصغيرة أحمر اللون تركناه لخوفنا من أن يكون من لحم الخنزير. وليس مع الخبز زبدة يؤتدم بها، وإنما جاؤوا بقطعة صغيرة من الجبن الأصفر، وقطعة من الحلوى (الشكولاته) مغلفة، ثم الشاي والقهوة.

هذا وكان المنظر على الأرض ليس كثيف الخضرة، ولا أثر للثلج، ثم غامت السماء تحتنا حتى احتجبت الأرض تماماً، وصارت أعالي السحاب تحت الطائرة بيضاً قد انعكست عليها أشعة الشمس يكاد سناها يذهب بالأبصار.

وبعد ساعتين إلا ربعاً من الطيران انحسر السحاب عن الأرض بمعنى أننا تجاوزنا المنطقة التي كان قد ران عليها، فأسفر المنظر عن تلال بينها وديان متسعة.

وقد حاولت أن أكتب في الطائرة فلم استطع لضيق ما بين المقاعد، وقد استمر ذلك الرجل الطويل، وكان إلى طوله سميناً الذي ذكرت أنه كان واقفاً لكون المقعد لا يتسع له، ظل واقفاً بجانب مقعده طول الرحلة.

وقبل الوصول بقليل أعلنوا ربط الحزام، وصرنا نطير فوق مياه الخليج العربي الصافية كما نرى من الطائرة صفاء جوها من الغيوم.

في مطار دبي:

حامت الطائرة وهي تتدنى فوق منطقة الساحل العربي، فبدت إمارة دبي منسقة رائعة التنسيق بعد منظر البلدان الشيوعية المهملة، والغريب أنها

وهي بلاد صحراوية تقل فيها الأمطار، بدت المدينة وما حولها أكثر خضرة من ريف مدينة (بريفان) في الوقت الحاضر، مع أنها تقع في وسط منطقة ثالجة خصبة، وحتى الصحراء في الجزيرة العربية بدت فيها الأشجار الصحراوية مزدهرة كأنما حظيت بالعناية أيضاً، مع أنها أشجار برية غير مغروسة.

وظهرت رمال الشاطئ صافية أيضاً حتى من النبات.

ولا أثر بطبيعة الحال للبحيرات أو تجمعات المياه العذبة.

وبدت البيوت في دبي بهيجة المنظر، بيض الطلاء بياضاً ناصعاً وسطها جامع يسر العين والنفس منظره بمنارته وقبته البهية.

وتتخلل ذلك الطرق الحديثة المستقيمة المنسقة المعتنى بها حتى لا ترى فرقاً بينها وبين الطرق في أوروبا، وربما فاقتها في النظر من الطائرة من حيث السعة والاستقامة.

ثم كان المنظر الفخم بل الرائع لمبنى مطار دبي الذي لم نر مثيلاً لجماله والتنسيق فيه منذ أن خرجنا من بلادنا، ثم كثرة الطائرات الضخمة في المطار، والتي تعود لشركات عالمية مختلفة.

وهبطت في مطار دبي في الساعة الرابعة إلا عشر دقائق بعد طيران استمر ثلاث ساعات إلا ثلثاً، وأعلنوا أن درجة الحرارة في المطار هي ٣٧ درجة مئوية، وهذه درجة مرتفعة إذا كانت معها رطوبة، ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك، وأننا الآن في وقت العصر الذي ينتهي فيه صعود درجة الحرارة في البلدان الصحراوية، وتبدأ بعده بالهبوط شيئاً فشيئاً حتى الفجر.

وعندما نزلت الطائرة ورأيت الكتابة العربية واضحة على المطار، وبجانبها النخيل العربية في هذا المطار الذي اجتمعت فيه الفخامة والذوق

والجمال، وذكرت مطار (يريفان) القزم، وقبله مطارات كييف وغيرها من البلدان الشمالية، شعرت بالنشوة والزهو، فها هي لغتنا الجميلة بحروفها العربية تقترن بالجمال والذوق والقدرة المالية والتنسيق الذي يدل على حسن الإدارة.

هذا ووقت دبي مساوٍ لوقت أرمينيا الذي يتقدم على توقيت بلادنا بساعة واحدة.

وقفت الطائرة، وهي روسية الصنع بجانب طائرة روسية تابعة لشركة ايروفلوت كانت متوقفة في ساحة وقوف الطائرات.

ونزلنا في جو بهيج حنون لا كالعراء في مطار موسكو الذي يجمد برده الدم في العروق.

وسرنا وسط جو من النور الغامر من نور الشمس الساطعة، تطالعنا فروع النخيل الوارفة، وتحتها الزهور الملونة التي غرست في الممرات وعلى حواشي المطار مما يلي الأبنية، وهي زهور متفتحة مما جعل مطار دبي في هذا الأمر أجمل من مطارات بعض الدول الأوروبية.

واستعرضت في ذهني ما رأيته في مطارات البلدان البيض التي أتيت منها، فوجدت أنها أسوأ بكثير من مطارات بلدان السود في إفريقيا، لذلك عرفنا أن التقدم والتأخر لا لون له، ونحن بحمد الله وسط بين بياض الشماليين وسواد الإفريقيين، ولكن مطار دبي بدا لي أجمل بمراحل من مطار موسكو، بل إنه أجمل منه بكثير، وربما صح القول بأنه لا وجه للمقارنة بين المطارين في ابتغاء الجمال من الأبنية والتزيين، ولا فيما يستعمل فيهما من الآلات والأجهزة المتطورة، أما السعة والكبر فمطار موسكو أكبر، ومدرجاته وساحات الوقوف فيه أوسع من مطار دبي بمراحل، وقد

أنسنا برؤية الملابس العربية الفضفاضة التي كانت رؤيتها مقترنة بالجمال والعناية والنظام في هذا المطار.

كانت إجراءات الوصول في المطار سهلة في كل شيء، وحجزنا في فندق من مكتب للحجز في المطار، وركبنا مع سيارة أجرة جديدة سائقها رجل خليجي سمحٌ يلبس القميص والغترة، وهي سيارة جديدة فاخرة.

نزلنا في فندق نظيف جداً في قلب مدينة دبي، غرفه واسعة أشبه بأن تكون قاعات، وكل ما فيه من الأثاث فاخر يفوق ما في فنادق الدرجة الأولى في أوروبا، والسعة والفخامة والسخاء يتجلى في كل شيء في الغرفة، حتى الحمام الذي هو واسع مجهز بأحدث ما يكون في الحمامات الفاخرة.

وفي الغرفة جهاز كبير للتلفزة تشاهد منه قنوات عديدة بالعربية والإنجليزية.

وأجرته ٨٠ دولاراً، وهو أمر لا يصدقه من كان مثلنا قادماً من بلاد الشمال؛ حيث كان نزلنا في فندق خاركوف الكبير في أوكرانيا بـ ١٠٨ دولاراً، وهو فندق لا يصح وصف غرفه إلا بأنها مزبلة مهملة، وقد ذكرت ما يتعلق بزيارة خاركوف وغيرها في كتاب: ((خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين)).

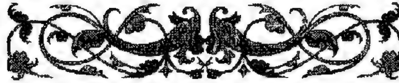
ثم أسرعنا في الخروج من الفندق نبتغي الغداء، فأعجبنا كون الزهور مفروشة أمام الأبنية المهمة، وفي الأماكن الصغيرة المشجرة، والأبنية كلها نظيفة الطلاء، وذات ألوان بهيجة.

ثم تغدينا في أحد المطاعم من مائدة مفتوحة فيها ما لذ وطاب مما تطلعت إليه أنفسنا من الأطعمة العربية التي حرمنا منها طيلة السفر، وبخاصة الخضرات المطبوخة والسلطات، مما لم نجد له مثيلاً ولا يمكن أن يوجد ما

يقاربه في بلدان شيوعية سابقة كالتي قدمنا منها إلا إذا تغيرت الأحوال، ودار الزمان بغير ما في البال، ولله الأمر من قبل ومن بعد على كل حال.

هذا وقد أعجبنا في دبي الرخص والنظافة والمنفعة بما تنفقه من نقود، وليس المقصود بكتابنا هذا أن نتحدث عن بلد عربي مثل دبي، ولكن المقارنة بينه وبين البلاد التي قدمنا منها اقتضت ذلك.

ومن ذلك أننا أقمنا في دبي بعض هذا اليوم وبعض يوم الجمعة الذي بعده، وسافرنا مساءً من دبي إلى جدة في الخطوط السعودية، واستغرق السفر من دبي إلى جدة ساعتين وثلثاً، مع أن المسافة من (يريفان) إلى دبي لم تستغرق إلا ساعتين وأربعين دقيقة، وهذا يعطي صورة عن قرب أرمينيا من البلدان العربية لا سيما العراق. والله أعلم.



خلاصة زيارة وفد الرابطة لأرمينية:

وصل وفد الرابطة بالطائرة من إسطنبول إلى يريفان Yerevan عاصمة أرمينيا ظهر يوم الإثنين ١٤/ ١٢/ ١٤١٧ هـ الموافق ٢٠/ ٤/ ١٩٩٧م، وفي المطار أمكن الحصول على تأشيرات دخول لمدة ثلاثة أيام.

وبعد الاستراحة في فندق أرمينيا في وسط يريفان عاصمة أرمينيا تمكن وفد الرابطة من معرفة عنوان مسجد في يريفان فذهب إليه في اليوم التالي.

يوم الثلاثاء ١٥/ ١٢/ ١٤١٧-٢١/ ٤/ ١٩٩٧م:

قام وفد الرابطة بجولة لمعالم يريفان التاريخية على أمل أن يشاهد آثاراً إسلامية لحكومات إسلامية سادت في أرمينيا استمرت في مجموعها أكثر من ألف عام، ولكن لم يكن هناك أي وجود ظاهر لأثر إسلامي سوى المسجد الأزرق الذي يقع على شارع زاكيان Zakian أمام السوق المركزي، وبزيارة له وجد وفد الرابطة أن العمال يجرون الإصلاحات والترميم فيه، ولما أراد الدخول لرؤية المسجد ومشاهدة ما يجري فيه منعه رجل إيراني، وطلب إليه أن يطلب الإذن بالدخول من السفارة الإيرانية في يريفان قائلاً: إن حكومة إيران هي التي تتولى أعمال الإصلاح، وتحدث غيره عن تاريخ المسجد أنه يعود إلى عام ١٧٧٤م، وأن مساحته ٧٠ × ٥٠ متراً، وإن حكومة إيران حصلت عليه بصفة خاصة من حكومة أرمينيا، وإنها تخطط لجعله مركزاً ثقافياً إذ يقدر عدد المسلمين في يريفان بنحو ١٢٠٠ ، وكلهم من إيران. وعندما استفسر وفد الرابطة عن مساجد أخرى قال: إن هناك مسجدين أحدهما مغلق، والثاني حوّل إلى سكن، ولكن لم يحدد عنوانهما بالرغم من الإلحاح.

ثم قام وفد الرابطة بالبحث عن طلاب مسلمين، وقد علم بوجود طلاب عرب في الجامعة، وبعد بحث طويل وجد في سكن الطلاب الجامعيين

الأجانب طلاباً أرمن سوريين تعرف بواسطتهم إلى طلاب مسلمين عرب من سوريا، اجتمع وفد الرابطة في سكن أحدهم، وتحدث رئيسهم بأن عدد الطلاب السوريين نحو ٣٠٠، والمسلمون منهم هو خمسون طالباً، وأما الباقون فهم من الأرمن الذين يعيشون في البلدان العربية، وأنهم يصلون في غرفهم، وقد حدث قبل أربعة أعوام أن قام الطلاب المسلمون، وفي مقدمتهم الجزائريون، بتنظيم صلاة عيد الأضحى في فناء سكن الطلاب، وعندما هلل وكبر المسلمون هجم عليهم الأرمن فقتل ثلاثة من الطلاب، وهرب الباقون إلى خارج أرمينيا، وأنهم يعتبرون كل مسلم تركي أو آذري بمثابة العدو، وأن بلادهم يعتبرونها أول دولة مسيحية في العالم، وبتعصبهم الأعمى لا يرون أن يكون في بلادهم مكان لغير المسيحيين. وأن الحكم السوفيتي كان خيراً للمسلمين في أرمينيا، وكان لهم وجود ملموس، ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي واندلاع الحرب الأرمينية الآذارية هرب المسلمون بعد تعرضهم لاضطهاد واغتيال من الأرمن، وأصبح المسلمون يخشون من ظهورهم.

ثم أنهى حديثه بأنهم يحاولون من خلال المقالات والكلمات شرح مبادئ الإسلام وتعاليمه كلما سنحت لهم الظروف بذلك.

وقد شكرناه على حديثه، وقلنا لهم: إن الواجب الإسلامي يحتم عليهم بذل الجهود لشرح أحكام الإسلام السمحة، ودعوتهم إلى معاملة المسلمين بمثل ما يعامل الأرمن في بلدان إسلامية مثل سوريا والأردن ولبنان ومصر، والاستعانة بالأرمن الذين يعيشون هناك لتعريف الأرمن بالحياة الكريمة والحرية التي يتمتعون بها في البلدان الإسلامية، وأن حقدهم على الترك والآذاريين بسبب العداء التقليدي بينهم يجب أن لا يمنعهم من معرفة الحقيقة، وخاصة أن أرمينيا من البلدان التي فتحت في عهد الخلفاء الراشدين

الأوائل، وحكمها المسلمون فترة طويلة. ثم حثهم على تنظيم صلاة الجماعة والجمعة في مصلى خاص في سكن الطلاب كما يفعل زملاؤهم الطلاب في بلدان أوكرانيا وروسيا، وإن رابطة العالم الإسلامي وهي هيئة إسلامية شعبية دولية مقرها في مكة المكرمة على استعداد تام للتعاون معهم على ما ينفع دينهم ويخدم المسلمين من دون التدخل في الشؤون الداخلية لأرمينيا.

ويريفان Yerrvan قاعدة لقصبة عرفت باسمها، وكانت كنيسة أران التي مقرها ايجميازين Echmiadzin تبعد عن يريفان بنحو ٣٣ كيلو متراً تضم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية، ومع أن الصدر الأعظم العثماني فرحادباشا فتحها في عام ٩٩٠ هـ/١٥٨٢م إلا أنها انتقلت إلى الصفويين بموجب معاهدة قصر شيرين في عام ١٦٣٩ ثم الحروب التي اندلعت بين الصفويين والعثمانيين والروس جعلتها تتنقل بينهم، ثم انتهت إلى الاحتلال الروسي في شعبان عام ١٢٤٣ هـ/ فبراير ١٨٢٨.

وبعد الاحتلال الروسي مباشرة كان في يريفان ٨٥١ دكاناً منها السوق الذي يضم ٥٤٣ دكاناً، والباقي يتوزع في محطات استراحة القوافل (كروان سراى)، وكان بها ثمانية مساجد، في كل واحد منها مدرسة، وأحد هذه المساجد هو مسجد شهري جامع الذي بناه الأتراك عام ١٦٨٧ وسبع كنائس أرمينية، وعشرة حمامات تركية أكثرها بجوار المساجد.

وأما الآثار الإسلامية الحالية فهي تعود إلى الحكم الإيراني، وهي جسر حجري على نهر زنغي Zengi والمسجد الأزرق، وبقايا مسجد، وقصر السردار عباس مرزا، وإن كان أحد المسجدين قد حوله الروس إلى كنيسة لهم عام ١٨٣٠.

انتهى الكتاب ولله الحمد

الفهرس

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- وراء المشرقين: رحلة حول العالم وحديث في شؤون المسلمين
٢- رحلات في البيت : رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٣- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٤- ذكريات المؤتمرات (الخارجية).
٥- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٦- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٧- رحلة المسافات الطويلة.
٨- حول العالم في خط متعرج.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- بقية البقية من حدث إفريقية.
١٢- إلى أقصى الجنوب الإفريقي.
١٣- المستفاد من السفر إلى شاد.
١٤- من إفريقيا الاستوائية إلى ساوتومي.
١٥- العودة إلى المغرب الأقصى

رحلات إلى القارة الأوربية

١٦- بلاد البلطيق.
١٧- البرتغال وبلجيكا وهولندا.
١٨- خلف الستار العقيدي.
١٩- إلى جنوب الشمال: بلاد السويد.
٢٠- شمال الشمال: النروج وفنلندا.
٢١- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
٢٢- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.
٢٣- رحلة الشمال.
٢٤- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
٢٥- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
٢٦- العودة إلى داغستان.
٢٧- من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء.
٢٨- بلاد العربية الضائعة: جورجيا.

الرحلات الهندية

٢٩- على أعتاب الهملايا.
٣٠- رحلات في شمال الهند.
٣١- بلاد الهند والسند: باكستان.
٣٢- في أقصى شرق الهند.
٣٣- وسط الهند.
٣٤- الاعتبار في السفر إلى مليبار.
٣٥- الشمال الغربي من الهند.

الرحلات الأسيوية

٣٦- إلى إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين.
٣٧- مشاهدات في تايلند.
٣٨- رحلات في بلاد الملايو.
٣٩- نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة.
٤٠- في مهد الترك: تركستان الشرقية.
٤١- في أحناء إندونيسيا.
٤٢- بالي: جزيرة الأحلام.
٤٣- العودة إلى ما وراء النهر.
٤٤- في شمال شرق آسيا.
٤٥- الجنوب التايلندي (فطاني).
٤٦- جمهورية قازاغستان: ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٤٧- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٤٨- إلى جنوب البرازيل.
٤٩- العودة إلى البرازيل.
٥٠- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٥١- رحلة الجنوب.
٥٢- شمال البرازيل.
٥٣- فنزويلا وترينداد.
٥٤- في الشرق الشمالي من البرازيل.
٥٥- رحلات فنزويلية.

رحلات في أمريكا الشمالية

٥٦- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية
٥٧- تلبية النداء لزيارة كندا

الرحلات الصينية

٥٨- في وسط الصين.
٥٩- على سقف العالم.
٦٠- فوق سقف الصين.

الرحلات الكاريبية

٦١- المارتينيك وبربادوس.
٦٢- قرينادا وسانتا لوسيا.
٦٣- دومنيكا وقوادي لوب وأنتيقوا.
٦٤- بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٦٥- بلغاريا ومقدونيا.
٦٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادئ

٦٧- وراء العمل الإسلامي في القارة الأسترالية.
٦٨- في شمال أستراليا.
٦٩- في جنوب أستراليا.
٧٠- في شرق أستراليا.
٧١- في غرب أستراليا.
٧٢- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٧٣- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهوريات الموز

٧٤- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٧٥- بيليز والسلفادور.

الرحلات الروسية

٧٦- جمهوريات القبائل الروسية.
٧٧- إقليم أورنبورغ.
٧٨- إقليما سمارا وأستراخان.
٧٩- إلى الشرق الأقصى الروسي

الرحلات السيبيرية

٨٠- غرب سيبريا
٨١- شمال سيبريا
٨٢- شرق سيبريا

ردمك : ٠-٢٠٠-٣٦-٩٩٦٠

مطابع التقنية للأوفست
ت : ٤٨٢٣٧٣٤ فاكس ٤٨١١٩٨٨